

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٨٢) المجلد (٦٤) العام [٦٨] رجب وشعبان ١٤٢٣ هـ - أكتوبر ونوفمبر ٢٠٠٢ م

لسان ابن حزم
وسيف الحجاج شقيقان

محااولات قتل
الموت في بنية
الفكر العربي
طه حسين
ليس مغروراً
كالعقاد

الشتاء النووي .. كارثة محتملة

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الصحافة

مجلة شهرية للأدب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دائرة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المقفول له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م



المركز الرئيسي

جدة الشرقية ص ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١ برفقيا المنهل

فاكس ٦٤٢٨٨٥٣ تلفون ٦٤٢٧٨٣١

٦٤٢٩٦٧٥ - ٦٤٢٩١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض ص ب ٢٩٠٠٠ تلفون ٤٥٤٢٤٢٢

مواقف

وظاء الاصدقاء .. !!



يقول الشاعر العربي القديم:

وأخوان تخذتكم دروماً

فكانوها ولكن للامادي

وقالوا قد صغت منا قلوب

لقد صبقوا ولكن عن ودادي

وقالوا قد سعينا كل سعي

لقد صبقوا ولكن في فسادي

تلك شكوى الأجيال الصارخة من الصداقات الواهية

الكاذبة .. واصدقاء هذا الزمان هم كاصدقاء كل زمان: يكثر

عند النعمة والاقبال ويقلون عند المحنة والإدبار، وبذلك طبيعة

النفوس، مالها من محيص على أن من صداقات هذا الزمن لونا

جديداً يتميز عن كل لون سبقه بالظاهرة التي انطبع عليها قلبه

وهذا النوع من الصداقات يتمثل في «المادية المكشوفة» فهذه

الظاهرة وإن كانت موجودة فيما مضى من أجيال إلا أنها قد

تضخمت الآن تضخماً هائلاً جعلها «فصيلة» حديثة مستقلة تقريباً

عن زميلاتها السالفة.

ومن أمثلة هذه «الصداقة» العجيبة المظهر والمخبر إنه إذا كان

أزيد لديك مصلحة ما فإنه ليقسر نفسه راضياً مطمئناً هادئاً على

موالاتك ويلتزمك ملازمة الظل لا يريم عنك ولا يتحول فإذا قضى

وطره وأنجز مصلحته فسرعان ما يقلب لك ظهر المجن وسرعان

ما يحقرك ويزدريك ولا يكتفى بذلك بل يعمل لأحباط

مسايعك وأنت الذي قد جهدت في أنجاح مساعيه

بدل أن يشكرك ويفدك.

«عبد القدوس الأنصاري»

جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ
١٩٤٦ م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالاً - قطر ٨ ريالاً - المغرب ٩ دراهم

مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ خليم - الكويت ٦٠٠ فلس

عمان ٦٠٠ بييسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس

موريتانيا ١٠٠ أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.

لقطة

صاحب المجلة

رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس

الأنصاري

مستشار التحرير

أ. هـ / عبد الوهين الأنصاري

نائب رئيس التحرير

المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

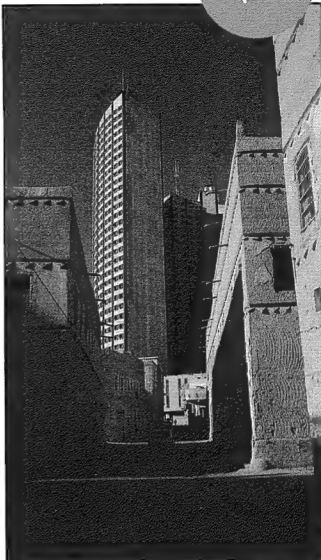
عزيزي القاريء

عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحصل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجودة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



الرياض - القديم والحديث

تصوير / حامد تلبى

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

قيمة الاشتراك السنوي

للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.

قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

الاشتراكات

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة

تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥



رجب الخير ..

كلما أطل هذا الشهر الكريم المبارك ببهي طلعت أشرفت قلوب المسلمين بشرا، وعلاها البهاء والصفاء ..

ذلك ، لأنه في هذا الشهر الكريم المبارك كانت بشري (الاسراء والمعراج) لرسولنا الكريم عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .. تكريماً وتسرية ..

(سبحان الذي اسرى بعيدة ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا) ..

وكلما قرأ المسلم تلك الذكرى المباركة، أفاد فيها جديداً،

وأولها: هذا الرباط الوثيق بين الحرمين الشريفين (المكي - والقدس) ..

وثانيها: هذا الرباط الوثيق بين رسل الله أجمعين، وبين دعوتهم التي أرسلوا بها لتوحيد الله سبحانه وتعالى، وتحقيق العبادة له وحده في كل أشكالها ..

وصلاة خاتم رسل الله أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إماماً بجميع رسل الله السابقين - عليهم صلوات الله وسلامه - تقف دليلاً: أولاً: على وحدة الغاية ..

ثانياً: على أن سيدنا محمدأ صلى الله عليه وآله وسلم هو الرسول الخاتم، وأن رسالته هي الخاتمة ..

ثالثاً: على اتباع كل الرسل له .. رابعاً: وجوب إيمان المسلمين بكل رسل الله، بدون تفریق بينهم ..

ثم يأتي (المعراج) الى السماوات العلاء، حيث رأى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما رأى من آيات ربه الكبرى ..

وهذا المعراج يفيد منه المسلم ضرورة نقاء نفسه وطهارة روحه ليعرج بروحه وقلبه الى ربه في كل لحظة من لحظات حياته ..

المحرر

٤ - مخطوطة لمحة بصر على البلاد المقدسة

د. محمد قرقزان

١٢ - القصص النبوي (قصة نوح عليه السلام)

د. عبد الباسط أحمد حمودة

٢٠ - صاحب الجنتين

د. مصطفى رجب

٣٢ - من سلافة الروح (شعر)

مصطفى عوض الله بشاره

٣٤ - الاسلام والفنون الجميلة

د. محمد عماره

٤٠ - التجهم عند ابن تيمية وابن حزم

احمد بن مسفر العتيبي

٤٤ - المتنبي .. وعمق المكان

صالح زامل حسين

٥٠ - أبو القاسم الشابي

د. نور الدين صمود

٥٦ - رحلة في الذاكرة (كامل كيلاني)

د. محمد رجب البيومي

٦٢ - مجلة السائح العدد (١٣٣)

٧٨ - الفروق في اللغة (الترجمة والتفسير)

د. ياسين الخطيب

٨٢ - ادباء من الخليج (سعدية مفرح)

عبد الله بن احمد الشيبان

وكلاء
التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع / جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع / القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة / تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريعة للتوزيع / الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع / أبوظبي ٤٠٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة / النواحة

فقرات مسئلة ..

□ تحريم التماثيل والصور مرهون بعلمه وجوداً وعدماً ..

ص ٣٤

□ لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان ..

ص ٤٠

□ التنبئ اعتصر المدن ليستخرج منها مدينته الحلم ..

ص ٤٤

□ طه حسين ليس مغروراً كالعقاد ..

ص ٥٦

□ الموت في احساس الجاهلي عدم لا يرغب فيه ..

ص ٨٦

□ حرية المرأة وحقوقها حركة تفكيكية عديمة ..

ص ٩٨

□ الثقافة انتاج جماعي يتسم بالاستمرارية والاستدامة ..

ص ١٣٢

□ ابداع المرأة قصير النفس ..

ص ١٤٠



فدا



غلاف السلا

٨٦ - محاولات قتل الموت في بنية الفكر العربي

د. كاظم حمد المحرات

٩٨ - المرأة واللغة

د. مصطفى عبد الواحد

١٠٢ - ومضات

١٢٠ - أحماض أدبية (أنجع العلاج في كسب

الازواج)

د. احمد عطية السعودي

١٢٧ - مجلة هن العدد (١٢٧)

١٤٦ - الشتاء النووي

د. علي احمد غانم

١٥٢ - شذرات الذهب

د. ابو حسام

١٥٦ - مسك الختام

عبد العزيز صالح العسكر

الاعلانات:

يراجع بشأنها

الإدارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ -

الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال

لتوزيع الصحف/ البحرين/ التامة ٥٢٤٥٥٩

المضمون:

يبدأ الكتاب بمقدمة مركزة حول ازدهار الفكر المغربي، والاتصال التاريخي الوثيق الذي كان يربطه ببلاد الحجاز إذ كان المغرب يرسل وفوده إلى تلك الديار المقدسة تحمل رسالته، مبيناً الظروف والأحداث التي أخذت تفصل العالم الإسلامي بعضه عن بعض، واستئناف المغرب الجديد نشاطه، وإعادة الاتصال، وتقوية الروابط مع إخوانه وعلى رأسه ملكه الهمام، وعامله المفكر العظيم جلالة المغفور له بإذن الله تعالى محمد بن يوسف الذي عرف بثاقب فكره أن مصلحة بلاده في إعلان الاتصال بإخوانه العرب في هذا الوقت الذي يعز فيه النصير - وأدرك أن الديانة الإسلامية وحدها هي التي يمكنها أن تُعرف الأمم بصدق القول، ووفاء الوعد، وأنها إن فهمت تعاليمها الصحيحة يمكن أن تنشئ الروح الأوروبية من حمأة المادة المسيطرة عليه، وأن تطهر تلك الروح تطهيراً كاملاً.

ثم يردف أن العامل الهمام - عليه رحمة الله - عرف كل هذا فأراد أن يواصل الأمم الإسلامية لتتقوى، ويشهد أزرها، وتزهو بأنصارها، فبعث بمناسبة حلول موسم الحج إلى المؤتمر الإسلامي العظيم وفداً عالماً موثقاً به، وزوده بنصائجه الغالية، وثقته الكبرى، فعرف بالمغرب والمغاربة، وعرف جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - عليه رحمة الله - بالجانب المهم في السيادة المغربية - واستطاع بلباقة كبرى أن يبرهن على ما عرف به المغاربة من نمائة الأخلاق، وكرم النفس، وبذل المعروف، ونشر المنثر الطيبة، والذكر الجميل.

واستقبل أعضاء الوفد فأخبرهم بالمهمة ورئاسة المؤلف عليهم، والإشراف على باقي الحجاج لما علم فيه



مخطوط لمحة بصر على البلاد المقدسة

للعلامة القاضي

محمد بن عبد السلام السائح الرباطي الأندلسي

١٩٠١ - ١٩٤٨ م - مضمونه وتقييمه

بقلم : د. محمد قرقران - خبير في الايسيسكو - المغرب

ورد لهم الزيارة، وأدرك أن القوم هناك يتتبعون الحركة الحضارية في المغرب، وأتهم يستمدون مسيرة الحياة العلمية منه.

ثم أثنى على دماثة أخلاقهم، ونقة ملاحظتهم، وسلامة أدواقهم في التفكير المنطقي. ومن ذكر من الحجاج الأفاارقة الأمير عاقبو من كينا الإفرنسية والسيد كان من دوكا من السنغال.

وطلب من المسؤولين بالباخرة إعلامهم بمسامطة الباخرة رابع ميقات أهل المغرب للإحرام، وتمديد أيام المقام بالمدينة المنورة بانتظار الباخرة للحجاج زيادة على المدة المقررة لها ثلاثة أيام.

وفي بور سعيد عند مدخل قناة السويس صعد لتحيتهم بعض الطلبة المغاربة الفاطنين بمصر للدراسة منهم السيد ابن المlich أمين رابطة الدفاع عن مراكش، وذكر يدهم البيضاء في القضية المغربية، وعملهم على إنارة الأفكار حولها، والاستعانة في ذلك بالجامعة العربية.

وأحرم الحجاج لدى مسامطة رابع، وبرزت كوكبة العلماء للناس، ليسألوهم عن مناسكهم، وأهل الناس، وعجت الباخرة وأرتجت بأصوات التلبية فبا له من مشهد عظيم تضطرب القلوب من خشيته الى أن أرسى في مرفأ جدة الذي كان آنذاك كثير الصخور الناتئة والتعاريح، لا يكاد يعبره من التوتية إلا العارف الخريت، إذ قضت الزوارق مدة غير قليلة في عبوره، واستقبلهم ثمة السيد محمد زيدان كاتب إدارة الحج (يوم الاثنين ٢٨/١٠/١٩٤٧). ولأحظ كثرة بيع التبغ في كل محطة، وقدوم عبد الله أبار نائب المطوف الحريري، فاقترض من كل حاج خمسا وثلاثين ليرة مصرية وتسعة وخمسين قرشا رسوم الحكومة، وأفق

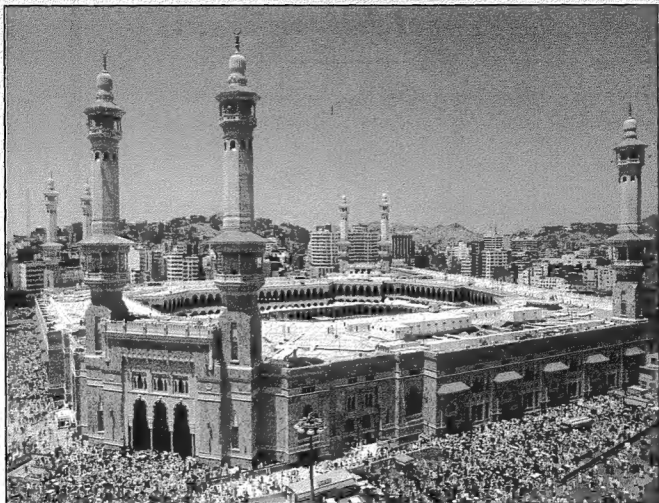
من الصدق والأمانة، وسلّم له هدايا الحرمين، ومن ضمنها سفر أنيق من كتاب (المواهب الفتحية) للفخر السلطان سيدي محمد بن عبد الله - قام جنابه بطبعه بمطبعته الأنيقة - باسم خزانة الملك عبد العزيز آل سعود، ومجموعة خطيه لتوزيع ذلك بالحرمين الشريفين، والراية المغربية، وصورة له ترتفع في محل نزول البيعة رمزاً لاحتياشها إليه، ورسالة لتليقها الى ملك الحجاز.

ثم يصف الانطلاقة بالقطار (يوم الأربعاء ١٦/١٠/١٩٤٧) من الرباط نحو فاس في مظاهر احتفالية رائعة، فوجدة، فالجزائر.

ومنها امتطيت الباخرة (أنوس ده) وعلى متنها خمس مئة وألف حاج من المغرب والجزائر والسودان وبقيّة أقطار افريقية، فيصفها لنا وكيف حولها هذا العالم العظيم الى جامعة عاتمة تمخر عباب اليم، وترتب المحاضرات والدروس العلمية فيها من علماء أجلاء كالمختار السوسي والمختار السنشيسي وبعض علماء شنقيط والجوجي، ومشاركته ببعض المحاضرات في الحديث الشريف وانضمام العلماء التونسيين للهيئة التدريسية.

ودعا الحجاج المغاربة للاكتتاب في صدقة توزع بالحرمين الشريفين، فجمعوا ثمانية وستين ألف ريال تم توزيعها هناك.

وأقلت من بنزرت بعض الحجاج التونسيين، واحتفى باي تونس بهم فعمل حفلة رائعة على شرف الحجاج المغاربة، وتحفل لهم، وأظهر اعتناء تاماً، وزار (المؤلف) ثلاثة من علماء الزيتونة الفضلاء محمد الشاذلي النيفر وأحمد بن ميلاد ومحمود بن الطاهر،



ودعاهم يوم الأربعاء سادس ذي الحجة الملك عبد العزيز آل سعود الى قصره قرب المحصب، ولدى مثلولهم ألفوا حوله حاشيته متقلدي السيوف، تلمع من أعينهم الشهامة والعزة العربية، فاستقبلهم وهش وبش فأجلس المؤلف عن يمينه، فأبلغه سلام أخيه جلالة الملك محمد الخامس، وقدم له الرسالة التي أورد نصها في هذا الكتاب، وارتجل خطاباً بين يديه بين فيه متانة الروابط بين البلدين الشقيقين التي يستحيل انفصامها، وأنه فخور بكونه ميعوتاً من لدى ملكه الهام، المصلح الكبير، ناشر ألوية العلم، سيدي محمد بن مولانا يوسف العلوي أعلى الله علاه، ذلك الإمام الذي وقف نفسه على خدمة بلاده، وكان لها ابناً باراً مخلصاً،

ذلك معرفتهم إعلان الحكومة السعودية، أن فاتح شهر ذي الحجة كان يوم الجمعة حسبما ثبت ذلك عندهم، وأن الوقوف بعرفة سيكون يوم السبت والعيد يوم الأحد.

ومما استغريوه أن العيد في المغرب يكون يوم الثلاثاء، وعليه فإن الهلال سيق في الحجاز بيومين. ثم حلوا بمكة المكرمة التي اكتظت شوارعها بالأبعية، وألقوا عصا التسيار، وسألهم الطوف بم أهلوا، فأخبروه، أنهم أهلوا بالعمرة فأنخلهم المسجد الحرام من باب السلام، فدعوا الله أمام البيت الحرام، وطافوا وقبّلوا الحجر الأسود، وصلوا بمقام إبراهيم، وسعوا ثم تحلّوا من العمرة.

الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمه الله خطاباً بنغمته الطوة افتتحه بالتكبير، (مع إيراد نصه) أتبعه الشاعر الغزالي بقصيدة طنانة في تهنئة الملك، ثم تبع ذلك حفلة استعراض الجيوش تحت إشراف نجله الأمير منصور خلال صدى الموسيقى، ومرور الدبابات على النظام الأوروبي الحديث، ورمو الجمار بعد الزوال الذي أعلن بضرية مدفع، راجعين إدراجهم إلى مكة المكرمة ومن الطريف سقوط حقيقة نقود المؤلف، لكنه عثر عليها، وردت له بمركز الأمن بمكة المكرمة كاملة لم ينقص منها شيء.

ويأتي على مآثر جلالة الملك عبد العزيز ومزاياه لما شهده في أيامه من الأمن فيلهج عليه بالثناء والإعجاب كل صادر ووارد، ويعترف له به الصديق والشاني.

على أن رشدي لمحس مدير الشعبة السياسية ذكر له أن الأمن بالبادية أكثر انتشاراً من الحواضر بفضل إقامة الحدود الشرعية، وهيبة السلطان والدين. ويستجيز بعض العلماء الذين يستجيزونه هم بدورهم أيضاً، ويدون أسعار صرف العملات، وارتفاع أسعار المواد الغذائية.

ثم يقوم بوداع صاحب الجلالة، وأم القرى - حرسها الله - وجدة، إذ يذكر ما أصابها من مطر غزير سقطت منه بعض الدور، وألغى طرقها مغمورة بالمياه، والرجال يكتسونه بالمكاس إلى جهة البحر حيث إنه ليس بالمدينة قنوات لصرف المياه، (وشتان بين اليوم والبارحة)، ودخلوا طيبة الطيبة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - يوم الاثنين الثاني عشر من الشهر المبارك.

ولاحت لهم المنائر، والقبعة الخضراء، وتحتها يثوي سيد الوجود (صلى الله عليه وسلم)، وكادت قلوبهم تطير من الشوق، فأجهشوا بالبكاء. ووجدوا في

كما كان ملكاً محبوباً من شعبه الوفي بل ومن لدن الأمم العربية جميعها، وأوضح أن عهد المولى سليمان من أعظم السنين مظهراً لتلك الصلات حيث اندفع صدى عقيدتكم الإصلاحية إلى المغرب فقام للدعوة إليه بنشراته، وعلى أعواد المنابر - (حيث استلقت نظره ذكر الحركة السلفية، وأخذ يلقي بعض كلمات في مدحها).

وكان قد اقترح على المختار السوسي تدبج قصيدة في مدح جنابه استأذن ساعتها جلالة الملك بإلقائها، فأنشدها بين يديه. وكان لها وقع حسن.

وتم في الغد حفل غسل الكعبة المشرفة، إذ قام جلالة الملك عبد العزيز بنفسه بغسلها، ودعاهم في الليل إلى العشاء مع عدد وافر من وجوه الحجاج ألقى فيها شاعر الملك أحمد بن إبراهيم الغزالي قصيدة مدح فيها جلالة الملك وأشاد بمآثره فيما يرجع إلى بث الأمن واستئصال جرثومة أهل الفساد.

ثم أحرموا بالحج من غد اليوم الثامن من مكة، وخرجوا إلى منى وعرفات فاستقبلهم المطوف وقد ضرب لهم قبة هائلة ترفرف عليها الرايات المغربية فرأوا مشهداً عظيماً ذكرهم بالموقف، تسقط أقلام الوافدين حسرى من هيئته وجلاله.

ولما غربت الشمس حاولوا الدفع إلى المزدلفة، وصلوا المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، ثم نزلوا، فالتفتوا الجمار، وامتطوا السيارة إلى منى، وبادروا رمي جمرة العقبة، ودفعوا هدي التمتع لمن يقوم على ذبحه، ودخلوا بعدها مكة المكرمة طائفين طواف الإفاضة ساعين بين الصفا والمروة، وتطلوا، ولبسوا جديد الثياب، فحصلوا بفضل الله الخير الكثير ثم خرجوا مساء إلى منى لقضاء أيام التشريق ورمي الجمار.

وهنؤوا جلالة الملك بالعيد ثمة بقصره بمعنى في قبة خضراء في غاية الأناقة، وألقى بالمناسبة شيخ

مدة الغيبة كلها ستة وأربعين يوماً. فنشروا الرايات المغربية عالية، وأبرزوها من منافذ القطار، وكان في استقبالهم عدد من موظفي الهيئة المخزنية السامين، وكاتب القصر الخاص، وأخبرهم قائد المشور بأنهم سيحظون باستقبال الجناح العالي على الساعة العاشرة، وأنخلوا للسلام عليه وقدمت له رسالة جلالة الملك عبد العزيز مع بعض الهدايا التي بعثت معهم شكراً على الصلات التي أرسلت، وحديثه عن رحلته واستقبالاته، وعناية الملك عبد العزيز بالوفد وتقديره في الاستقبال على غيره، وأعلمه بتفاني التونسيين في محبته واتجاههم في حياتهم العلمية إلى المغرب، وطيب أحواله، وجميل ذكره، ودعائهم له بالمشاهد العظام، والبيت الحرام والمقام.

قيمة الرحلة وأهميتها:

تنبثق أهمية هذه الرحلة، بتبيان حيّ لجميع ما شاهده المؤلف في مدة معينة - كالنظام العسكري المتقدم الذي يبرزه عرض الجيش أيام الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وعنايته به إلى أن أصبح على النسق الأوروبي الحديث منذ تلك المرحلة المبكرة، المشاة، والنبابات والموسيقى، وإشارة الملك إلى الصحافة لتكتب عنه.

وفيها صدى للدعوة لقضية فلسطين بثها الخطباء خلال الاحتفال وبعد عملية غسل الكعبة المشرفة.

وتعكس الرحلة الوضعية الممتازة للحالة التي كانت وما تزال عليها الجزيرة العربية إذ تتمتع في أمان، وأمانة وألفة في ظل الشريعة الإسلامية الكاملة، يلهج بها كل من كتبت له زيارة تلك الربوع، وتعطي النموذج المتقدم في ذلك، ثمرة من ثمرات الإسلام، ونعمة لا يعرف قيمتها الآن إلا من شقي في ظل حضارة الغرب، وغرق في حمأة علمانيته ومخدراتها، وتخبط

استقبالهم المزور المفضل أحمد حوالة والحاج أحمد بن بوعزي البيضاوي الذي هيا لهم النزول بداره الفحصاء، فحطوا رحالهم، وتوجهوا تواً للسلام على النبي (صلى الله عليه وسلم) في ساعة رأها أسعد أيام حياته، ودخل المسجد النبوي، ورأى ما به من الجمال والجلال وكاد قلبه يطير.

وأنجز تفريق الصلات المولوية، وتوزيع صدقة المغاربة، وسعد بزيارة البقيع، ثم انكفؤوا أورايجهم عائدين إلى جدة، فدخلوا الباخرة التي كانت في انتظارهم في (يوم الثلاثاء ٢٣ من ذي الحجة الموافق ١٩٤٧/١١/٩) ولما انتهوا إلى شاطئ جبل الطور أرست هناك، فتم عرض الحجاج على طبيب مصري فثنين أن الحج نظيف من الأمراض ذلك العام، ثم عبروا القناة، واستقبلوا من طرف المصريين بابتهاج لم ينسوه لهم مع هدير المدافع المعلقة، مرفوقين ببعض المطربين يتبعونهم في زورق خاص تثبت منه أناشيد بالحن شجية، وجميع مع بالقناة يهتفون بالسلام إلى أن فارقوا المرسى المذكور.

ومما إن حلوا بمرسى بنزرت ودعوا إخوانهم حجاج تونس الخضراء، ووافق وصولهم ميناء الجزائر عند زوال (يوم الأربعاء ١٩٤٧/١١/٢٧) ونزلهم على أرضها حيث تطرق سمعه أخبار الوطن، ونبا وفاة صديقه النقيب المؤرخ الكبير مولاي عبد الرحمن بن زيدان، وساعة ذلك استقبلهم وزير فرنسا المفوض السيد قدور بن غمريط - بفندق (وزيس) قرب المرسى وكرمهم بمائدة فخمة، ثم دعاهم إلى الجزائر لشرب الشاي في قصره.

وامتطوا القطار عابرين مدن بلعباس، قلمسان، فوجدة، ففاس، فمكناس، انتهاء إلى الرباط مستقبليين خلالها بكل مظاهر الحفاوة والتكريم.

وصادت أوتيتهم يوم السبت متم توفيمير وكانت



في تعاسة خمورها
وإباحيتها وأمراضها،
وعانى من الضياع
والاستلاب الروحي
الذي يعيشه الإنسان
فيها يومياً.

وما يتمتع به
الإنسان في موئل
العروبة والإسلام من
توازن وكمال
واستقرار نفسي.
مما يجعل ذلك - وفي
كل حال - من مآثر
الملك المؤسس العظيم

مما سئل عنه، أولهما: مرضه في أواخر أيامه، إذ كان
يقعده في الفراش كما عبر لنا صراحة حين كان في
المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى
التسليم - وثانيهما: كونه مسؤولاً مقررماً على وفد
رسمي سلطاني يتقيد بخطة رسمت له مسبقاً لا يريم
عنها.

ويضاف إلى أهمية هذه المذكرات تلك الصورة
النادرة التي حفظها لنا من ذلك الماضي القريب والتي
لا وجود لها الآن، فيصور لنا ميناء جدة المملوء
بالصخور، وشوارعها الفارقة بمياه الأمطار، بلا
مصارف وشوارع مكة المكرمة التي تعج بالجمال،
أقول: ماذا عساه يفعل اليوم لو بعث ورأى هذه
النهضة الشاملة، وهذا التقدم الهائل الذي قلب الدنيا
رأساً على عقب فغير وجه الأرض، وأحال هذه المدن
في تلك الصحراء إلى جنان الله تعالى في أرضه لا
تختلف في تنظيمها وتضميمها وأناقته وجمالها،
وسخاء المسؤولين بالإنفاق عن أي مدن في قلب الدول

الملك عبد العزيز ما يثير الإعجاب والثناء، ويوفر
لضيوف الرحمن جواً روحانياً مثالياً، ويضرب المثل
الأعلى على الرقي والسمو الأخلاقي بل أعلى درجات
الحضارة التي تفتقدها إلا في منبع الإسلام.

وهو وإن كان وضع هذه المذكرة على جهة
الاختصار، فإنه يرسم لك لوحة صادقة عن كل مكان
جاز فيه، ورآه، ويؤكد بانطباع دقيق مصور لكل حالة
من حالاته النفسية في كل ناحية مرّ فيها، وكأنني به قد
اعتنى بتدوين هذه المعلومات القيمة في مذكرة خاصة
به لا تضيع.

ولو أن سائلاً قال: لم لم يكن ينقل لنا وصفاً
لجميع الأماكن المقدسة، ولم يعرج مثله كمثل الرحالة
السابقين عليه حين دونوا رحلاتهم على جميع المآثر
التاريخية كغاري ثور وحراء، وأحصوا بدران وقباء
وسائر المشاهد التاريخية الأخرى، ويعطي مقاييس
مدققة للبنى والخطط التي رآها، ويتوسع في وصفها،
ويبان هيئاتها؟ فأبنا نجيب على ذلك بأن سببين منعه

المتقدمة. فشتان بين اليوم والبارحة [١] وسبحان مغير الأحوال ٩٩.

وهو إلى ذلك حريص على تحري الدقة والإخلاص في إقامة الشئائر من مثل محاولته أن يتعزف على مسامنة السفينة ميناء رابع لبدء عملية الإحرام.

فإذا نحن صرنا إلى الخطب التي تتضمنها هذه المذكرة لرأينا أنفسنا سواء أمام الرسالة الملكية البليغة، أم الخطبة التي ارتجلها المؤلف، أم أمام خطبة شيخ الأزهر، أم قصيدة المختار السوسي، لأدركنا، أننا أمام نصوص فنية مثلي عالية: أو نماذج قمة في البلاغة والتعبير، والسمو في الأداء، والتأثر بآيات الذكر الحكيم، وحرص على تبليغ المهمة السياسية الصادقة التي اندبوا من أجلها، وتعبير في الوقت نفسه عن آمّن العلاقات الأبدية التي تربط بين مسؤولي هذه الأصقاع وشعوبهم منذ نداء سيدنا إبراهيم - صلوات الله على محمد وعليه - إلى تاريخه، غير علماء كبار، وساسة تاريخيين على التآخي وصلة الرحم، وريث العلاقات، ونشر المعرفة الحقّة، والوفاء بالتقاليد الملكية التي سار عليها أسلافهم العظام، وتعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى، والتمسح بأركان البيت العظيم والأماكن المباركة والقيام بحق الله سبحانه وأداء الفريضة.

فله هذه الأهم الصادقة المخلصة الحريصة على سنن الأجداد العظام خير خلف لخير سلف.

وإني لأرج أن تسنح الفرصة في يوم من الأيام بتحليل دقيق لهذه الخطب الهامة التي ينبغي أن تأخذ موقعها من الدرس والتاريخ والعلم.

على أننا نلمح لديه كذلك الملاحظة الواغية لما رآه أو تحدّث به أمامه، فلما ذكر أمامه شيخ الأزهر الشيخ مصطفى عبد الزازق - رحمه الله - أن الأزهر أقدم جامعة إسلامية تلقى ذلك بروح نقدية، وعلق عليه في

هامش مؤلفه بأن القرويين أقدم منه، وهذا شيء صحيح يحمد العالم المغربي.

وإنه إذ يأتي بمعلومات غريزة ومقيدة حول جميع الآراء التي يزجّجها في مذكراته عن هذه الرحلة نراه يحيل على مجموعة طيبة من المراجع التي يعتمد عليها لمن أراد التوثيق والاستزادة والتوسع، أو على كتب ألفها هو (ص ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥).

ولنستمع إليه في هذا السبق العلمي التاريخي إذ يقول: «لما استقر بنا المقام بهذه الباخرة العظيمة، ورأينا كثرة الحجاج الذين على ظهري، واحتياجهم إلى من يلقنهم مناسك الحج، ويقيم لهم أمر دينهم جمعت من كان هناك من العلماء، وأشرت عليهم بإلقاء دروس في المناسك، ورتبت لهم أوقاتها حتى يمكن العامة أن يستفيدوا من الجميع، فاستحسنوا ذلك، وقام العلامة الفضل المختار السوسي من أعضاء الوفد بدروس علمية في المناسك بموضع من ظهر الباخرة هيئته ليكون مسجداً للحجاج، وجدّ في ذلك، واجتهد بالتدريس أولاً، ونصب نفسه لسؤال الحجاج عن مناسكهم، وما يعرض لهم من النوازل، وقام كذلك العلامة سيدي المختار السنشيسي رئيس المجلس العلمي المكناسي بدروس كذلك مهمة على ناحية من ظهر الباخرة. كما قام بعض علماء شنقيط بدروس هناك أيضاً، وأما العلامة سيدي محمد الحجوجي أحد علماء القرويين فارتأت أن يكون إلقاؤه باللهجة الدارجة للإمعان في تفهيم العامة، وعرض عليّ فكرته فوافقته على ذلك، وقام بدروس على ذلك المنوال، كما اقترحت عليه أن يقوم بالتوقييت زيادة على الإمامة تجافياً عن اضطراب الناس واختلافهم في المواقيت ولا سيما في الفجر...» ويقول (ص ١٣٦) «ثم أن السادة التونسيين اقترحوا عليّ إلقاء درس حديثي، ولما رأيت من نفسي بعض الخفة قمت بعقد مجلس إملاء في الصيّد حضره من بالباخرة من العلماء والفضلاء، ويعد تمام

في السنة، إحداهما في الربيع والأخرى في الخريف، وتمول الجامعة في معظم الأحيان شطراً من تكاليف السفر حين تحتاج إلى خبرة في موضوع ما. وقد يكون من بين الطلاب، الأكفاء والموهوبين، ويمكن أن يتحمل الطلاب الباقي من التكاليف.

فإذا بدأت الدورة الدراسية تتمر بالآخرة من الولايات المتحدة فتجوب البحار حول العالم مدة ثلاثة أشهر مارة بعدد من الدول في مختلف القارات لتعود أخيراً إلى مطلقها. وهكذا يقضي الطلاب أول أربعة أيام في البحر، وهم يستمعون إلى دروس نظرية، فإذا رست السفينة في مرفأ من المرافئ في إحدى الدول يقوم الطلاب بزيارة معالم تلك الدولة أو المكان المعين كل حسب اختصاصه عن كُتب فيما يتعلق بالجانب التطبيقي (زيارة المناطق الأثرية لمن درسوا تاريخ دولة معينة)، ويجمعون المعلومات، فإذا أنهى الطالب بحثه عن البلد فيقدمه للأستاذ المشرف الذي يقوم بتصحيحه، ثم يناقش البحث في القسم، ويحصل الطالب بعد ثلاثة أشهر على شهادة ونقط في مواضيع معينة تحسب له في الامتحان النهائي من السنة.

فانظر يا أخي إلى استشراف هذا العالم المغربي العظيم الذي سبق عصره بعشرين سنة وتحدث عن هذه الأفكار المعاصرة الآن، وطبقها عملياً، مع فروق جوهرية هامة في الوسائل والأهداف وشتان ما بين الأعمال الخالصة لوجه الله والأعمال التي يرتجى من وراء تحقيقها أهداف مادية دنيوية بحتة.

[*] زود المؤلف كتابه بخرائط توضيحية هامة لا بأس بها. وبما يذكر أنه كان عدد حجيج هذا العام (١٤١٥هـ) مليونين وخمسة وأربعين ألفاً بينما ذكر أن عدد الحجاج كان قبل أربعين سنة - وهو قريب من عصر المؤلف - ثلاثين ألف حاج.

المجلس استجازني من حضر من جامعة الزيتونة، فأجرتهم شفاهياً، وواعدهم ببعث الإجازة كتاباً إليهم. وشارك العلماء التونسيون أيضاً في الحركة العلمية، فقاموا بدروس في المناسك بالليل على ظهر الباخرة، فاستحالت بذلك إلى جامعة علمية دينية تتمر عباب البحر، فحيثما يمت ألفت أمانك العلم والعلماء، وأهل الخير والفضلاء إلى دروس منظمة، وأوقات للصلاة محكمة، واستغراق في العبادات والأذكار أثناء الليل وأطراف النهار.

ويتأملنا لهذا النص الخطير المفيد بانتهاء أول جامعة عاظمه لأول مرة في التاريخ (نوفمبر ١٩٤٧) على يد هذا العالم العظيم، تلقى فيها دروس مجانية لوجه الله، نظرية، وتطبيقاتها العملية تكون في المشاعر المقدسة، على يد مشايخ مبرزين في مختلف العلوم ولوجه الله لا ينبغي أن نجوز عليه هكذا عرضاً دون أن نسجل سبقاً تاريخياً هاما لأرقى الدول من قبل عالمنا العظيم الرائد محمد السائح في هذه الفكرة التي رأيناها تد في أمريكا بعد هذا المؤلف بحوالي عشرين سنة، نعم نجدها بمفهومها الغربي المعاصر الآن، قد ظهرت في الستينيات وبشكلها الحديث إذ أن بعض الجامعات الناشئة تتوفر على برامج فيها دراسات منظمة تبعاً لتخصصات الطلاب، فالمفروض فيها وطبقاً لبرامجها أن كل طالب يقضي عدداً من ساعات التحصيل في القسم، وقد يتجمع الطلبة من عدة جامعات: (جامعات واشنطن: Washington University) مثلاً، أو بيتس بورغ: (Pittsburgh University) وغيرها في الولايات المتحدة الأمريكية) لإعداد دراسات نظرية وتطبيقية في مواضيع معينة كل طالب حسب اختصاصه: (تاريخ، وجغرافية، وآثار، وعلوم البحار، وتضاريس ... الخ) وتهدف أيضاً للإطلاع على ثقافات الدول الأخرى وما لديها من معدات متقدمة، فتتظم هذه الجامعات دورتين



القصص النبوي

قصة

نوح

(عليه السلام)



(الحلقة الخامسة)

ذرية نوح:

يرى كثير من العلماء وأصحاب السير والمؤرخون أن نوحا - عليه السلام - أبو البشر الثاني، حيث أغرق الله الكافرين، ونجى الله نوحا ومن آمن معه وهم قليل، وبعد ميوطهم لم تكن لهم ذرية [ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجعلنا ذريته هم الباقين * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين] [١].

وفي القصص النبوي عن سمرة بن جندب عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله: (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال: (سام وحام ويافث).

ونقل الطبري [٢]: إنما الذين كانوا معه في الفلك، قوم كانوا آمنوا به واتبعوه، غير أنهم بادوا وهلكوا، فلم يبق لهم عقب، وإنما الذين هم اليوم في الدنيا من بنى آدم، ولد نوح وذريته، دون سائر ولد آدم، كما قال - عز وجل - (وجعلنا ذريته هم الباقين).

وفي القصص النبوي عن سمرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم) والثلاثة أولاد نوح لصليبه، وفي رواية لابن عساكر عن أبي هريرة: (سام أبو العرب وفارس والروم وأهل مصر والشام، ويافث أبو الخزرج ويأجوج ومأجوج، وأما حام فأبو هذه الجلة السوداء).



بقلم: أ.د. عبد الباسط أحمد حمودة

- مصر -

في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وقشوا). وينسب ابن سعد إلى ابن عباس قوله: وتزوج نوح امرأة من بنى قابيل، فولدت له غلاما فسمّاه يونان، فولد بمدينة بالمشرق يقال لها معلنور شمسا، فلما ضاقت بهم سوق الثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها وهي بين الفرات والصدرة وكانت اثني عشر فرسخا في اثني عشر فرسخا، وكان بابها موضع دوران اليوم فوق جسر الكوفة يسرة إذا عبرت، فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف، وهم على الإسلام.

ويقول ابن كثير [٦] عن زوج نوح أم أولاده: ماتت قبل الطوفان، وقيل إنها غرقت مع من غرق، وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها. وعند أهل الكتاب: أنها كانت في السفينة، فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك، أو أنها أنظرت ليوم القيامة، والظاهر الأول لقوله: (لا تتر على الأرض من الكافرين ديارا).

وقيل [٧] إن أول من آمن بنوح امرأة من قومه يقال لها (عمرة) فتزوجها فأولدها ساما، وحام، ويافث، وثلاث بنات. ثم آمنت به امرأة أخرى من قومه يقال لها: (والعة) فتزوجها فأولدها كنعان، ثم ناققت وعادت إلى دينها.

وواضح مما سبق أن الثرية التي عُميرت الأرض بعد الطوفان كلها من نوح - عليه السلام -

وأكثر الأقوال أن هؤلاء الثلاثة ولدوا قبل الطوفان، وأنهم ركبوا ومعهم زوجاتهم السفينة مع نوح، وأما أخوهم الرابع (يام) ويسمى (كتعان) كان كافرا عمل عملا غير صالح، وخالف أباه فكان مع المفرقين.

وقيل إن ساما ولد لنوح قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، وقال بعض أهل التوراة: لم يكن التناسل، ولا ولد لنوح ولد إلا بعد الطوفان وبعد خروج نوح من الفلك [٣].

والرأي الأول وهو الشائع عند الأكثر مثل ابن سعد الذي يقول [٤]: (ثم مكث بعد السفينة «بعد صنعها» ثلاثمائة وخمسين سنة، فولد نوح سام، وفي ولده بياض وأدمة، وحام وفي ولده سواد وبياض قليل، ويافث، وفيهم الشقرة والحمرة، وكتعان: وهو الذي غرق، والعرب تسميه يام، وذلك قول العرب: إنما هام عمنا يام؛ فأم هؤلاء واحدة). وهذا القول ينسبه الطبري لابن عباس.

ونقل ابن عساکر [٥] عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (ولد نوح ثلاثة سام، وحام، ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم، والخير فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة، ولا خير فيهم، وولد حام بربر والقيط والسودان). وعن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (بعث الله نوحا لأربعين سنة، ولبث

تفرق الذرية وتعدد اللغات:

تتابعت الأجيال من أبناء نوح - عليه السلام - وعمرُوا مشارق الأرض ومغاربها، فمن ذرية سام بن نوح: أرفخشذ وياسور وإرم ولوذ، ومن ذريتهم الهند والسند والبند، وجرهم وقحطان والنبط وأهل الجزيرة والعال، وعمليق أبو العمالقة، ويقال إن عمليق أول من تكلم بالعربية، حين ظعنوا من بابل، وكان يقال لهم ولجرهم العرب العاربة، ومنهم عاد وثمود وجديس.

ومن ذرية يافث الروم بنو النطى بن يونان. ومن ذرية حام نمرود بن كوش بن كنعان [١٠] (فكل هؤلاء كانوا على الإسلام، وهم يبابل حتى ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان ابن حام بن نوح، فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا، فأمسوا وكلامهم السريانية، ثم أصبحوا بلبل الله ألسنتهم، فجعل بعضهم لا يعرف كلام بعض، فصار لبني سام ثمانية عشر لسانا، ولبني حام ثمانية عشر لسانا، ولبني يافث ستة وثلاثون لسانا. ففهم الله العربية عادا وعبيل وجديس وعمليق وطسم وأميم، وبني يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح).

ولا يعنى ذلك أن اللغة العربية لم تكن معروفة قبل نوح عليه السلام - فقد سبق أن ذكرنا في قصة آدم - عليه السلام - (اختلف العلماء في تعليم آدم، هل كان باللسان السرياني أو باللسان العربي أو بغيرهما).

قال القرطبي: روى عن كعب الأحبار: إن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها، بالأسنة كلها آدم - عليه السلام - وقاله غير كعب.

وفي القرآن نداء من الله للناس بذرية من حملنا مع نوح، كما ناداهم ببني آدم. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {ذرية من حملنا مع نوح} تقديره بذرية من حملنا مع نوح. وقال في تفسير قوله تعالى: {إسلام منا وبركات} اهبط مباركا سالما، وعلى أمم ممن سيولد بعد، أى أولادك، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا ولا عقبا سوى نوح - عليه السلام - وقد سبق مثل هذا القول. وعن هشام بن محمد بن محمد بن السائب [٨] عن أبيه عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى موسى: إنك يا موسى وقومك وأهل الجزيرة، وأهل العال من ولد سام بن نوح.

قال ابن عباس: والعرب والفرس والنبط والهند والسند والبند ولد سام بن نوح.

ويقال: [٩] إن سام بن نوح ولد خمسة أولاد: أرفخشذ، وهو أبو العرب، ولوذ، وهو أبو العمالقة، وأشور، وهو أبو التساس، وعيلم، وهو أبو العادية الأولى، وإرم، وهو أبو عاد وثمود، ورزق غيرهم ممن لم يُعقب.

وأما يافث بن نوح، فإنه صار إلى المشرق، فولد له هناك خمسة أولاد: جومر، وتيرس، وأشار، سفويل، ومياشخ، فمن جومر: جميع الصقالية والروم وأجناسهم، ومن تيرس جميع الترك والخرز وأجناسهم، ومن مياشخ: جميع أصناف العجم، ومن أشار: يأجوج ومأجوج، ومن سفويل: جميع الأرض وقد سبق ذكر أولاد حام عند الكلام على دعوة أبيه عليه.



حُسْن يوسف، وعلى ميلاد عيسى، ثلاث وثلاثون سنة، وعلى لسان محمد (صلى الله عليه وسلم) جرد مرد مكحول).

وعلى قدر اختلاف ذرية نوح - عليه السلام - في اللغات، يأتى اختلاف بنى آدم في ألوانهم وخلقتهم - بصرف النظر عما تقدم من دعوة نوح على ابنه حام - التي ترجع طينة آدم - عليه السلام - لحديث أبى موسى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) {إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن، وبين ذلك} [١٥] . وروى ابن عساکر عن أبى هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) (ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافت، فولد سام العرب وفارس والروم، والخير فيهم، وولد يافت يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة، ولا خير فيهم، وولد حام بربر والقبط والسودان) [١٦].

صفات نوح - عليه السلام -:

نوح - عليه السلام - هو أبو البشر الثاني، لما تقدم من أن جميع البشر بعد الطوفان من ذريته، وهو في مقدمة أولى العزم من الرسل؛ لشدة إيداء قومه، وصبره عليهم قرونا كثيرة، ولذا أمر الله نبيه محمدا (صلى الله عليه وسلم) بأن يتأسى به وببينة أولى العزم وهم في أشهر الأقوال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. قالت عائشة - رضى الله عنها: ظل رسول الله (صلى

فان قيل: قد روى عن كعب الأحبار - من وجه حسن - قال: أول من تكلم بالعربية جبريل - عليه السلام - وهو الذى ألقاها على لسان نوح - عليه السلام - وألقاها نوح على لسان ابنه سام، ورواه ثور بن زيد عن خالد بن معدان عن كعب [١١].

وذكر ابن كثير في قصص [١٢]: أن نوحا - عليه السلام - حين هبط إلى أسفل الجودي وابتنى قرية سماها ثمانين، فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها العربية، وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض، فكان نوح - عليه السلام - يعبر عنهم، وقال ابن عباس كان من الثمانين جرهم عربى اللسان [١٣].

وقال صاحب فيض القدير [١٤] في شرح الحديث الصحيح المروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أحبوا العرب ثلاث - لأنى عربى، والقرآن عربى، وكلام أهل الجنة عربى) وقد كان سيدنا آدم - عليه السلام - لا يتكلم فيها - أى الجنة - إلا به، فلما أهبط إلى الأرض تكلم بغيره) وقال المناوى ستة من الأنبياء عرب: نوح وهود واسماعيل وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام وعلى ذلك فإن اللسان العربى سابق على خلق آدم - عليه الصلاة والسلام - حيث كان يتكلم به جبريل - عليه السلام - وهو لغة الجنة في بدء خلقها، ولغة الداخلين فيها لما روى عن أنس بن مالك قال: قال رسول (صلى الله عليه وسلم): (يدخل أهل الجنة الجنة على طول أنف، ستين تراعى بذراع الملك، على

الله عليه وسلم) صائماً ثم طواه، ثم ظل صائماً ثم طواه، ثم ظل صائماً، ثم قال: (يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله - تعالى - لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهاها، والصبر على محبوبها، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: [قاصير كما صبر أولو العزم من الرسل] وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة إلا بالله).

وتميز نوح - عليه السلام - بخصال كثيرة [١٧] فتسميته بنوح لكثرة نوحه على نفسه، وكان أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول داع إلى الله - تعالى - وأول نذير عن الشرك، وأول من عذبت أمته لردم دعوته، وكان - عليه السلام - أطول الأنبياء عمراً، وقيل له أكبر الأنبياء، وشيخ المرسلين، وجعل الله معجزته في نفسه، لأنه عاش ألف سنة، ولم ينقص له سن، ولم تنقص له قوة، ولم يبالغ أحد من المرسلين في الدعوة مثل ما بالغ، وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وإعلاناً وإسراراً، ولم يلق نبي من الضرب والشتم والأذى والجفاء ما لقي، فلذلك قال الله تعالى: [١٨] (وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوماً فاسقين).

وجعل بعد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في الميثاق والوحي، قال تعالى: [١٩] (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح). وقال تعالى: [٢٠] (إننا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده). وأعطاه الفلك وعلمه صنعتته، وحفظه بما فيه، وأجره فوق الماء، وسماه عبداً شكوراً، وأكرمه بالسلامة والبركة.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: [٢١] (إنه

كان عبداً شكوراً)، ورد في الحديث وفي الأثر عن السلف أن نوحاً - عليه السلام - كان يحمّد الله على طعامه وشرايه ولياسه وشأته كله، فلهذا سمي عبداً شكوراً، قال الطبراني: حدثني علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن أبي حصين، عن عبد الله بن سنان، عن سعد بن مسعود الثقفي قال: إنما سمي نوح عبداً شكوراً، لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله.

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن الله ليرضى عن العبد أن ياكل الأكلة أو يشرب الشرية فيحمد الله عليها)، وكان نوح كثير الصوم. قال ابن كثير [٢٢]: وقال ابن ماجه (باب صيام نوح - عليه السلام -) حدثنا سهل بن أبي سهل، حدثنا سعيد بن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن جعفر بن ربيعة، عن أبي قراس، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «صام نوح الدهر إلا يوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى».

وروى الطبراني مثل ذلك عن عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (صام نوح الدهر إلا يوم الفطر والأضحى، وصام داود نصف الدهر، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر، صام الدهر وأفطر الدهر).

ونذكرنا أن نوحاً - عليه السلام - طاف بالسفينة حول الحرم، وكذلك روى عن ابن عباس [٢٣] قال: حج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما أتى وادى عسفان قال: (يا أبا بكر أي واد هذا؟) قال:



أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: لا، قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، قيل: يارسول الله فما الكبر؟ قال: سَفَه الحق، وغمط الناس) قال ابن كثير وهذا إسناد صحيح.

وفي رواية أخرى في المسند [٢٦] عن عبد الله بن عمرو قال: (أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) أعرابي عليه جبة من طيالة مكفوفة بديباج، أو مزورة بديباج، فقال: إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع ابن راع، ويضع كل فارس ابن فارس، فقام النبي (صلى الله عليه وسلم) مغضبا فأخذ بمجامع جيبه فاجتذبه وقال: لا أرى عليك ثياب من لا يعقل، ثم رجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجلس فقال: إن نوحا - عليه السلام - لما حضرته الوفاة دعا ابنه فقال: إني قاص عليكما الوصية، أمركما باثنتين، وأنهاكما عن اثنتين، أنهاكما عن الشرك والكبر، وأمركما بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان ووضعت له إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح، ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتهما أو لقصمتهما؛ وأمركما بسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء).

وفاة نوح - عليه السلام :-

سبق الحديث عن مدة دعوة نوح - عليه السلام - في قومه، وعرضنا كثيرا من الأقوال في مدة نوح - عليه السلام - في قومه، في قومه، ومن ذلك ما نقله الشوكاني [٢٧] مما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم

هذا وادى عسقان - قال: (لقد مر بهذا نوح وهو إبراهيم على بركان [٢٤] لهم حمر خطمهم الليف، أنزهم العباء، وأردتهم النمار، يحجون البيت العتيق).

وصية نوح - عليه السلام :-

يروي لنا القصاص النبوي وصية نوح - عليه السلام - لولده أو لولديه، كما جاء في مسند الإمام أحمد [٢٥] عن عبد الله بن عمرو قال: (كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجاء رجل من أهل البادية، عليه جبة سيحان مزورة بالديباج، فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس، قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس، ويرفع كل راع ابن راع، قال: فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمجامع جيبه قال: ألا أرى عليك لباس من لا يعقل، ثم قال: إن نبي الله نوحا (صلى الله عليه وسلم) لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية، أمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، أمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر - قال قلت أو قيل: يارسول الله هذا الشرك عرفتاه فما الكبر؟ قال أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكا حسان؟ قال: لا - قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: لا قال: الكبر هو

فإن كان ما ذكر محفوظا عن ابن عباس، من أنه بعث وله أربعمائة وثمانون سنة وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة [٢٠].

ونقل النويري عن كعب [٢١]: بعث الله - عز وجل - نوحا إلى قومه، وله مائتان وخمسون سنة ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الطوفان مائتي سنة، فلما حضرته الوفاة دعا بابه سام وقال له: أوصيك يا بني بأثنين، وإنهاك عن اثنين: أوصيك بشهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها تخرق السموات السبع لا يحجبها شيء، والثانية أن تكثر من قولك: سبحان الله ويحمده؛ فإنها جامعة الثواب. وإنهاك عن الشرك بالله، والاتكال على غير الله.

فلما فرغ من ذلك أتاه ملك الموت، فسلم عليه، فقال: من أنت؟ فقد ارتاع قلبي من سلامك. قال: أنا ملك الموت، جئت لقبض روحك، فتغير وجهه وجزع، فقال له: ما هذا الجزع، ألم تشبع من الدنيا في طول عمرك؟ قال: ما شبهت ما مضى من عمري في الدنيا إلا بدار لها بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر. فنأوله ملك الموت كأسا فيه شراب وقال: اشرب هذا حتى يسكن روعك. فلما شربه خر ميتا - عليه السلام -

ويرى عبد الوهاب النجار [٢٢] أن طول الأعمار في آدم ونوح - عليهما السلام - ومن في زمنهما لا مانع من ذلك، ولكن من بعدهم لا يبلغون مثل ذلك العمر، وأن القراعة في مصر يتبين أن أعمارهم قريبة من أعمار الذين يعيشون في زماننا غير أن طول عمر السابقين يرجع لعوامل النشأة وقلة الهموم

وأبو الشيخ والحاكم وابن مزيويه عن عائشة قالت: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها ثم جعل يعملها سفينة، ويمرون عليه فيسألونه، فيقول: أعملها سفينة، فيسخرئون منه ويقولون: يعمل سفينة في البر، وكيف تجري؟ قال: سوف تعلمون، فلما فرغ منها وفار التور وكثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه.) الخ.

وقلنا: إن القصة صريحة في أنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم بدأ في الاستعداد لصناعة السفينة بزراعة الشجر، ثم صناعة السفينة.

وقال ابن كثير [٢٨] قال بعض علماء السلف: لما استجاب الله له - أي لنوح - أمره أن يفرس شجرا ليعمل منه السفينة، ففرسه وانتظره مائة سنة، ثم نجده في مائة أخرى، وقيل في أربعين سنة.

وقال ابن سعد [٢٩]: بعث الله نوحا إليهم وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة، ثم أمره بصناعة السفينة، فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق، ثم مكث بعد السفينة ثلاثمائة وخمسين سنة.

ويعلق ابن كثير علي مثل ذلك القول الذي نقل عن أهل الكتاب فيقول: (فإن القرآن يقتضي أن نوحا مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون - ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك.



- (٢) المرجع السابق.
- (٤) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤١.
- (٥) منتخب كنز العمال ج ٤ ص ٣٣٣.
- (٦) قصص الأنبياء ص ٨٠.
- (٧) نهاية الأرب ج ١٣ ص ٤٤.
- (٨) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٣.
- (٩) نهاية الأرب ج ١٣ ص ٥١.
- (١٠) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٤.
- (١١) يراجع بقيته فيما أشرنا إليه.
- (١٢) ص ٨٨.
- (١٣) ج ١ ص ١٧٨.
- (١٤) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٠٠.
- (١٥) تفسير القرآن الكريم ج ٣ ص ٥٦٤.
- (١٦) منتخب كنز العمال ج ٤ ص ٣٣٣.
- (١٧) الثعلبي: قصص الأنبياء ص ٣٦.
- (١٨) الذاريات/ ٤٦.
- (١٩) الأحزاب/ ٧.
- (٢٠) النساء/ ١٦٣.
- (٢١) الإسراء/ ٣.
- (٢٢) قصص الأنبياء/ ٩١.
- (٢٣) المرجع السابق ص ٩٢.
- (٢٤) الفتى من الإبل.
- (٢٥) ج ٢ ص ١٦٩ و ٢٢٥.
- (٢٦) المرجع السابق ص ٢٢٥.
- (٢٧) فتح القدير ج ٢ ص ٦٦١.
- (٢٨) قصص الأنبياء ص ٧٧.
- (٢٩) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٠.
- (٣٠) قصص الأنبياء ص ٩٢.
- (٣١) نهاية الأرب ج ١٣ ص ٥٠.
- (٣٢) قصص الأنبياء ص ٦٧.

والأمراض والاقتصاد في الطعام والشراب.

ثم يقول: وهنا رأى آخر وهو أن الأقوام الأولين كانوا يعدون كل شهر عاما فإذا قالوا ألفا ومائتي سنة، فإنما يعنون مائة عام من أعوامنا وقد أشار إلى ذلك المعري بقوله:

وروا للمعمّرين أمورا

لست أدرى ما هن في المشهور

أترامهم فيما تقضى من الأيام

سام عدوا سنيهم بالشهور

كلما لاح للمعيون هلال

كان عاما لديهم في الدهور

هكذا ينبغي ولا فليّن الـ

معقل يثني في حالة المجهور

ولكني متمسك برأيي وهو الأول.

واختلف في المكان الذي دفن فيه نوح - عليه

السلام - فذكر كثير من المتأخرين بأنه دفن ببلدة

بالبقاع تعرف اليوم (بكر ك نوح) وهناك جامع قد

بنى بسبب ذلك.

ويقوى ابن كثير الرأي القائل بأن قبره - عليه

السلام - بالمسجد الحرام، روى ذلك ابن جرير

والأزرقي عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من

التابعين مرسلًا - والله أعلم -

- للبحث صلة -

الهوامش:

(١) المصافات: ٧٥ - ٨٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ١٩١.

قصة صاحب الجنتين

والفاكهة وهما بذلك الوضع لهما الشكل الانيق
والوضع السليم.

شرح الآية (٣٣):

«كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهُمَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا
وَفَجَزْنَا خَلَاهُمَا نَهْرًا» (الكهف/٣٣) «كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ»
أى كل واحدة منهما «آتَتْ أُكُلَهُمَا» أى أخرجت ثمارها
كاملا غير منقوص. ويختار التعبير كلمة «تظلم» في
معنى تنقص وتمنع لتقابل بين الجنتين وصاحبهما
الذى ظلم نفسه فبطر ولم يشكر، وازدهى وتكبر.
وقد فجر الله وسط كل حديقة نهراً على حدة ليسقيها
بلا تعب ومشقة، ويزيدها بهاء وروعة [٢].

شرح الآية (٣٤):

كان لهذا الكافر ثمر ومال من غير البستان إذ
كان من الأثرياء الكبار. وقال الكسائي الثمر اسم
الواحد والثمر جمعه ثمار. وذكر أهل اللغة أن الثمر
بالضم أنواع الأموال من الذهب والفضة وغيرهما
والثمر بالفتح حمل الشجر [٣]. وهما هو صاحب
الجنتين تمتلئ نفسيهما بهما، ويزدهى النظر إليهما،
فيحس بالزهو، ويتنقش كالديك، ويختال كالطاووس،

هذه القصة تضرب مثلاً لمن يستنكف
عن مجالسة المؤمنين، والمقصود من هذا أن
الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على
فقراء المسلمين فينبى الله تعالى أن ذلك مما لا
يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير
غنياً والغنى فقيراً، أما الذى يجب حصول
المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهى حاصلة
لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل
المذكور في الآية فقال: {واضرب لهم مثلاً
رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب
وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً} (الكهف/ ٣٢).

وتبدأ القصة بمشهد الجنتين في ازدهار
وقحامة: فجعلنا لأحدهما وهو الكافر بستاتين من
الكروم المتنوعة، وجعلنا النخيل محيطة بهما وهذا ما
يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤذرة
بالأشجار ولا سيما الثمرة منها وخاصة النخيل [١].
وجعلنا وسطها زرعاً حتى يجمعها بين القوت



بقلم: د. مصطفى رجب - مصر

وكثرة غروره بها قال: ما أظن أن تبديد وتقنى هذه الجنة أبداً وذلك اغتراراً منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطرودة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تقنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة [ه].

شرح الآية (٣٦):

استكمالاً لما سبق إيضاحه من اعتزاز هذا الكافر وإعجابه بالحياة الدنيا وكفره بالآخرة قال: (وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها متقلباً) (الكهف/٣٦).

«أي كائنة فيما سيأتى وأقسم لئن رجعت إلى ربي على سبيل الفرض، أو كما يزعم صاحبنا المؤمن لأجدن جنة خيراً من هذه الجنة مرجعاً وعاقبة، ونسمع من جهلتنا المنتسبين للإسلام مثل هذا القول (غنى الدنيا غنى الآخرة) فهم لسوء فهمهم يظنون أن اليسار والغنى إنما يعطى في الدنيا لاستحقاقه ذلك.

إن الغرور يخيل لنوى الجاه والسultan والمتاع والثراء، أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملا الأعلى! فما

ويتعالى على صاحبه الفقير [وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً] (الكهف/٣٤). فهو يحاوره ويجادله بشأن كل غنى مغرور مع مؤمن فقير صالح، وقد روى أنهم إخوان ورثا مالا أما الكافر فاستغله في أرض ودار وزوجة وخدم وحشم وأما المؤمن فأنفق نصيبه في سبيل الله. يا أخى: أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً وأكثر خدماً وولداً.

شرح الآية (٣٥):

ودخل مع صاحبه جنته الواسعة العريضة، الجنة ذات الجناحين الجنة التي ليس له غيرها إذ هي متاعه في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب، وملء نفسه البطر، وملء جنبه الغرور، وقد نسى الله، ونسى أن يشكره على ما أعطاه، وبخلها وهو ظالم لنفسه معجب بما أوتى، مفتخر به كافر بالنعمة، معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش أنواع المظلم. وفي الظلم يقول المتنبى [٤]:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد

ذا عفة فلعله لا يظلم

وقال لطول أمله وشدة حرصه، وتماق عقله

شرح الآية (٣٨):

وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة فلا تبالي المال والنفر، ولا تدارى الغنى والبطر، ولا تلتمع في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب، وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وإن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطعم في فضل الله ووجدانيته فيقول: لكننا هو الله ربى وحده لا شريك له، له الحكم وإليه ترجعون دليل على قوة إيمانه بالله سبحانه وتعالى المعبود وحده لا شريك له.

شرح الآية (٣٩):

{ولولا إذ دخلت جنتك قلّت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن قرآنك أنا أقل منك ما لا وولدا} (الكهف/ ٣٩).
أى هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلّت ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله وهذا مأخوذ من الآية الكريمة، وروى عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال لأبى هريرة: ألا أدلك على كلمة من تكون الجنة قلت: بلى يارسول الله قال: لا حول ولا قوة إلا بالله إذا قالها العبد قال الله عز وجل أسلم عبدي وأسقم [٨].

وروى أيضاً عن النبي {صلى الله عليه وسلم}

داموا يستطيلون على أهل هذه الأرض فلابد أن يكون لهم عند أهل السماء مكان ملحوظ [٦].

شرح الآية (٣٧):

وماذا قال له أخوه المؤمن؟ قال له وهو يحاوره: يا أيها الإنسان، أكفرت بالذي خلق أباك الأول من تراب ثم خلقك أنت من نقطة ثم سواك فعدك رجلاً سواً؟ أيعيد هذا نقول: «ما أظن الساعة قائمة»، {يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نقطة ثم من علق ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج} (الحج/ ٥).

فقلوه «خلقك من تراب» أى خلق أصله وهو إشارة إلى مادته البعيدة وقوله «من نقطة» إشارة إلى مادته القريبة ومعنى سواك رجلاً عدلك وجعلك إنساناً نكراً بالغاً مبلغ الرجال المكلفين. ولعل السر في تخصيص الله سبحانه وتعالى في هذا المقام بهذا الوصف هو أن يكون دليلاً على وجود الصانع سبحانه وتعالى وإشارة أيضاً إلى إمكان البعث لأن الذى قدر على الإبداء أقدر على الإعادة [٧].

غوراً أى غائراً لا تتركه الأيدي بأى شكل ولا تستطيع له طلباً فضلاً عن إدراكه [١٠].
وهكذا ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار الى مشهد الدمار والبوار. ومن هيئة البطر والاستكبار الى هيئة الندم والاستغفار فلقد قال ما توقعه الرجل المؤمن.

شرح الآية (٤٢):

وهو مشهد شاخص كامل: الثمر كله مدمر كأنما أخذ من كل جانب فلم يسلم منه شيء واللجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة. وصاحبها يقلب كفيه أسفاً وحزناً على ماله الضائع وجهده الذاهب. وهو نادم على إشراكه بالله، يعترف الآن ببروبيته ووحدانيته. ومع أنه لم يصرح بكلمة الشرك، إلا أن اعتزازه بقيمة أخرى أرضية غير قيمة الإيمان كان شركاً ينكره الآن، ويندم عليه ويستعذ به بعد فوات الأوان [١١].

شرح الآيتين (٤٣)، (٤٤):

[ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً] (الكهف/ ٤٣). أى انه ما حصلت له فئة أو عشيرة يقدرّون على نصرته من دون الله تعالى فوحده القادر على نصرته ولا يقدر أحد غيره أن ينصره إذ هو القادر وحده على دفع العذاب، وما كان هو في حد ذاته منتصراً بنفسه.

من رأى شيئاً فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره فبدلاً من أن تقول: ما أظن أن تبديد هذه أبداً، وهذه المقالة لا تصدر إلا من شخص مغرور مافون يظن أن له قوة وحولاً، وأن الأمر بيده لا بيد الله، وأنه الزارع الذى أعطى هذا الزرع عن علم وتجربة، وأن سماده ونظامه هما اللذان أنتجا! ألا يسى ما يفهم الناس في دنياهم [٩]، إن ترى أنا أقل منك ما لا وولداً في هذه الدنيا الفانية.

شرح الآيتين (٤٥)، (٤٦):

[فعمسى ربي أن يؤتني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً] (الكهف/ ٤٥). أى في الدار الآخرة «ويرسل عليها» أى على جنتك في الدنيا التى ظننت أنها لا تبديد ولا تقنى، «حسباناً من السماء» أى عذاباً من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها. والحسبان مصدر كالغفران بمعنى المساب أى مقدراً وقع في حساب الله وهو الحكم بتخريبها. وعن الزجاج عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يذاك وقيل هو جمع حسبانته وهو السهم القصير يعنى الصواعق.

«فتصبح صعيداً زلقاً» أى فتصبح جنتك أرضاً ملساء لا نبات فيها والصعيد وجه الأرض، زلقاً أى تصير بحيث تزلق الرجل عليها زلقاً، أو يصعب ماؤها

أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون [يونس/٢٤].

وكان الله على كل شيء مقتدرًا بتكوينه أولاً وتنميته وسطاً وإبطاله آخرًا، وأحوال الدنيا أيضاً كذلك تظهر أولاً في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلاً قليلاً ثم تأخذ في الإنحطاط إلى أن تنتهي إلى الهلاك والفناء. وعن المستورد بن شداد رضى الله عنه، قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أهلكم إصبغة في اليم. فلينظر بما يرجع؟» [١٢].

شرح الآية (٤٦):

المال والبنون زينة الحياة، والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات ولكنه يعطيها القيمة التي تستحقها الزينة في ميزان الخلود ولا يزيد. فالافتخار بالمال والبنين عرض زائل، ومتاع حائل وزينة الدنيا الفانية، ولعل تقديم المال على البنين لأنه أدخل في باب الزينة من الأولاد.

وليس لأحد أن يفتخر بها حيث كان لهذا فقط بل الباقيات الصالحات من الأعمال الخيرية خير وأبقى عند ربك إذ ثوابها عائد على صاحبها، «وخير أملاء» ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله. وإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال

[هناك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخيراً عقباً] (الكهف/٤٤). هناك الولاية لله ينصر بها أوليائه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعنى أنه تعالى نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن، فالله هو الحق تبارك وتعالى خير ثواباً وخير عقبي للعباد المتقين.

شرح الآية (٤٥):

وهذا المشهد يضرب مثلاً للحياة الدنيا كلها، فإذا هي كنتك الجنة المضروبة قصيرة قصيرة، لا بقاء لها ولا قرار. وهذا المثل يدل على حقارة الدنيا وقلة بقاءها. والكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المتكبرين على فقراء المسلمين [١٢].

[واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا] (الكهف/٤٥).

أي أذكر لهم يا محمد صفة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض، فنبت الزرع واخضر واختلط بعضه من كثرته وتكاثره فأصبح ذلك النبات الغض الوارف صاحب الظل الدائم، والبهجة والمنظر أصبح هشيماً يابساً تفرقه الرياح ذات اليمين وذات الشمال. [إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس والأنعام حتى إذا

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة أهمية استخدام هذا الأسلوب في المجال التربوي لما لهذا الأسلوب من أهمية في إيضاح حال من الأحوال وإظهار حسنه من قبحه وما كان منه خفياً واختير لفظ (الضرب) لأنه يأتي عند إرادة التأثير وإثارة الانفعال، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره الى قلبه وينتهي الى أعماق نفسه. ومن هنا يجب أن يعمم استخدام هذا الأسلوب المشوق والمهم في المجال التربوي بصفة عامة والمدرسة والمدرسين بصفة خاصة حتى يتم التعلم بصورة سليمة وواضحة ويدون إهدار للوقت والجهد.

٢. الاهتمام بالكيف لا الكم :

ويظهر هذا المضمون واضحاً من خلال هذه القصة، عندما اغتر صاحب الجنتين بما عنده من مال وجاه وولد على صاحبه المؤمن بالله والمعتز به. فهذا المؤمن عزيز أمام الجاه والمال وإن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطعم في فضل الله بعكس هذا الكافر بنعم الله المفتخر بما عنده من نعم كثيرة. (وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) (الكهف/٣٤).

فهنا اهتم هذا الرجل الجاحد بما عنده من كثير النعم والجاه والمال ونسى أن الله سبحانه

والبنيان فإن الباقيات الصالحات خير ثواباً وخير أملاً عندما تتعلق بها القلوب، ويناط بها الرجاء ويرتقب المؤمنون نتائجها وثمارها يوم الجزاء [١٤].

المضامين التربوية في قصة صاحب الجنتين:

لقد حفلت قصة صاحب الجنتين بالكثير من القيم التربوية المهمة ونشير الى بعضها فيما يلي:

١. أسلوب ضرب الأمثال:

لقد بدأت قصة صاحب الجنتين (واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً) (الكهف/٣٢) وضرب لنا سبحانه وتعالى هذا المثل ليبين لنا حقيقة النفس المعتزة بالحياة والنفس المعتزة بالله، برجلين: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثرى المعتز بماله وجاهه وما عنده من نعم، وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه الذاكر لربه. والمثل بفحنتين، والمثل بالكسر، والمثل كالشبيه وزناً ومعنى في الجملة، وهو من (مثل الشيء مثلاً) إذا انتصب بارزاً فهو مائل، ومثل بالتحريك، وصفته التي توضح وتكشف عن حقيقته، أو ما يراد ببيانه من نعمته وأحواله، وقد يكون تمثيل الشيء، أى وصفه والكشف عن حقيقته عن طريق المجاز أو الحقيقة، بتشبيهه، وأبلغ تمثيل المعاني المعقولة بالصورة الحسية.

منها . فلا بد أن يراعى عند إعداد المناهج نوعية الموضوعات المختارة ومدى ملائمتها للدارسين ومدى الاستفادة منها وفهمها والبعد عن الحشو في المقررات بما ليس له أهمية تفيد الدارسين أى يكون الاهتمام بالكيف لا بالكم وليس العكس .

٣ . التواضع وعدم الغرور :

يتضح من خلال هذه القصة مدى غرور هذا الرجل وإعجابه وكبره، فما عنده من المال والجاه والأولاد جعله يتكبر على أخيه المؤمن ويتعالى عليه «أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا» فهو بذلك اغتر بما عنده وتفاخر وتكبر وجحد نعمة الله عندما ظن أن هذه البساتين الوارفة الظلال المليئة بالزروع والثمار والأشجار والأنهار - لا تقنى ولا تهلك [ويخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبدي هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً] (الكهف/٣٦) .

وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة . ويقول سبحانه وتعالى محمراً الكبر والإعجاب [وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الَّذِينَ يَخْتَالُونَ] (فخور) (لقمان/١٨) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» [١٦] . أما

وتعالى هو الذى أعطاه ذلك المال والجاه . وهو القادر على سلبه إياه كما أعطاه . أما الرجل المؤمن القانع الراضى بما قسمه الله له فهو معتز بإيمانه لأن هذا الإيمان هو الذى يشعره بالرضا والسعادة وأن ذلك أفضل من كنوز هذه الدنيا «إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً» فهو مع قلة ما عنده من مال وولد إلا أنه أفضل عند الله من الذى يغتر بما عنده من مال وولد وجاه وسلطان، وظنه أنه أفضل من هذا المؤمن بالله بما عنده من الجاه والأموال والأولاد . فهذا كله زائل لا محالة ولا يبقى إلا العمل الصالح .

فمن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال «يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله: فيرجع اثنتان ويبقى واحد: يرجع أهله وماله ويبقى عمله» [١٥] .

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة الاهتمام بالكيف لا بالكم، أى بنوعية ما يدرس لا بكميته وكميته، ومن الملاحظ في هذا الوقت أن الاهتمام بالكم لا بالكيف وذلك واضح في كثرة الحشو في المناهج المختلفة بما ليس له أهمية تخدم وتفيد الدارسين .

فيجب هنا أن يراعى نوعية ما يُدرس ومدى الاستفادة منه وليس بكميته فمن الأفضل أن يدرس الطالب موضوعات قليلة تفيد ويفهمها جيداً ويستفيد منها بدلاً من نراسته موضوعات كثيرة في مجالات متعددة لا يستطيع الإلمام بها والاستفادة

يحاوره أي يجادله شأن كل غنى مغرور مع مؤمن فقير صالح. ويظهر هذا الحوار والجدال واضحاً في موضع آخر من القصة عندما تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة «قال لصاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوأك رجلاً» وهذا المؤمن استند بما لديه من علم وحجة في محاوره ومجادلة صاحبه الكافر بالله ونعمه فقال له أكفرت بالذي خلق أباك الأول من تراب ثم خلقك أنت من نطفة ثم سوأك فعدلك رجلاً سوياً؟!»

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة الاستناد إلى العلم والحجة والحقائق العلمية في الحوار والمناقشة ولا يجادل الفرد بغير علم ولا حجة، فلا بد أن يكون الفرد على علم وبيّنة فيما يجادل فيه، فعندما تكون المناقشة والمجادلة قائمة على حقائق علمية سليمة يكون ذلك أفضل ويساعده على امتناع الآخرين بما يقول.

وفيما يلي نسوق هذين البيتين الذين يوضحان ما لأهمية العلم وطلبه فيقول الشاعر:

العلم نور وخير الناس يطلبه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
فغز يعلم تحيياً به أهدأ
الناس موتى وأهل العلم أحياء

٥. عقيدة التوحيد :

ويتمثل هذا المضمون في أكثر من موضع في هذه القصة والتي فيها يتضح مدى إيمان هذا الرجل

التواضع فهو شيمة العظماء فكان الرجل المؤمن مثالا للتواضع والقناعة والرضا. معتزاً بإيمانه ذاكراً لربه فمع أنه فقير لا مال له ولا نقر، ولا جنة عنده ولا ثمر... فإنه معتز بما هو أبقي وأعلى معتز بعقيده وإيمانه. منكرأ على صاحبه المتبطر والمغرور بطره وكبره. والرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يحتثنا على التواضع وعدم التكبر والغرور حيث قال «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بقفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» [١٧].

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون بضرورة أن يتحلى جميع العاملين في الحقل التربوي بسمة التواضع وعدم التكبر والتعالى وعلى الأخص المعلمين فلا بد أن يكونوا قدوة لتلاميذهم في أخلاقهم وسلوكهم وأن يتحلوا بالصفات الحميدة والطيبة وعلى رأسها التواضع حتى يكتسب التلاميذ هذه الصفة الحميدة ويتحلون بها في سلوكهم وأعمالهم جميعاً.

فإذا سارت هذه القيمة النبيلة بين المعلمين والتلاميذ سارت العملية التعليمية بصورة حسنة وطيبة مليئة بالحب والتعاون والإخلاص.

٤. ضرورة الاستناد إلى الحجة والبرهان في المحاوره والنقاش:

ويظهر ذلك من خلال القصة في أكثر من موضع ومن هذه المواضع عندما اغتر صاحب الجنين وتكبر على أخيه المؤمن «فقال لصاحبه وهو

العالمين المستحق وحده لجميع أنواع العبادة، وأن يبتعد عن الضرافات والجدل والشعوذة والكهانة وبالتالي تصبح العقيدة منتقاة خالصة مما ألصق بها من الشوائب التي لا تمت إلى الدين في شيء.
وفيما يلي بعض الآيات التي تؤكد العقيدة الإسلامية:

- ﴿إِنَّهُ مِنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة/٧٢).

- وقول الله عز وجل لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُتَوَاكِمٍ﴾ (محمد/١٩).
- وكذلك قوله تعالى ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه/١٤).

٦. القناعة كنز لا يفنى :

ويتضح لنا من خلال قصة صاحب الجنتين مدى قناعة الرجل المؤمن وزهده في الدنيا ورضائه بما عنده، وتمثل ذلك في أكثر من موضع في هذه القصة، وذلك عندما تفاخر عليه صاحبه وتكبر فقال له «أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا» فكثر المال والجاه هنا هي سبب الإغترار والتفاخر والفتنة، وصدق الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) حين قال «إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال» [٢٠]، أما القناعة فهي كنز لا يفنى، لأن كل شيء زائل لا محالة ولا يبقى

المؤمن بالله ورسوخ عقيدته عندما يستشعر أنه عزيز أمام المال والجاه وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة فهو يطعم في فضل الله ووحدانيته ويظهر ذلك في قوله «لكنّا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا»، فالمؤمن بالله تعالى يصدق بوجود الرب وأنه عز وجل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، لا إله إلا هو، ولا رب غيره وأنه جل وعلا موصوف بكل كمال منزّه عن كل نقصان [١٨].

ويظهر هذا المضمون في موضع آخر من هذه القصة عندما أهلك الله تبارك وتعالى جنة هذا الجاحد بنعم الله، والكافر بها، وذلك عندما أرسل الله تعالى على هذه الجنة حسباناً من السماء وعذاباً من عنده فيقول «يا ليتني لم أشرك بربي أحدا» فهنا اعترف بربوبية الله ووحدانيته وندم على الإشراك به - مع أنه لم يصرح بكلمة الشرك، إلا أن اعتزازه بقيمة أرضية غير قيمة الإيمان كان شركاً ينكره الآن، ويندم عليه ويستعيز منه بعد قوات الأوان ومعنى العقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بالله تعالى وما يجب له من التوحيد والطاعة، بملانكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وسائر ما ثبت من أمر الغيب والإخبار والقطعيات علمية كانت أم عملية [١٩].

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة أن يعبد كل فرد الله تعالى وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وهو رب

ثم سواك رجلاً، فهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة، فلا تبالي المال والنفر، ولا تتلعثم في الحق وهكذا يشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأيضاً قوله «لكننا هو الله ربى ولا أشرك بربي أحداً» دليل على قوة إيمانه وجرأته في الحق وحسن عبادته لله سبحانه وتعالى المعبود وحده لا شريك له.

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة تعويد الدارسين على الجرأة في المواقف المختلفة التي يتعرضون لها حتى ينشأوا ويتعودوا على مواجهة جميع المواقف بكل قوة وشجاعة وهذا يتوقف على المعلم أثناء تعامله مع طلابه في الفصل فيجب عليه أن يعطي الطالب الحرية الكاملة وعدم مقاطعته أثناء المناقشة المختلفة التي تعودهم على الجرأة والإقدام والشجاعة مثل الإذاعة المدرسية والصحافة من خلال عمل لقاءات متنوعة مع شخصيات مختلفة، ومثل هذه الأنشطة وغيرها تساعد الطالب وتعوده على الجرأة والشجاعة ومواجهة أى موقف يتعرض له، وتبعده عن الجبن والخوف من مواجهة المواقف المختلفة، فالجرأة في الحق هي الطريق إلى النجاة.

٨- العقاب من جنس العمل :

ظهر لنا من خلال هذه القصة موقف الرجل الكافر بنعم الله والمغتر بما عنده من مال وجاه فهو لم يأخذ بنصيحة أخيه المؤمن له من عدم الغرور

للإنسان إلا العمل الصالح يعد ماته. فكان الرجل المؤمن مع أنه أقل مالاً وولداً من صاحبه الكافر إلا أنه قانع راض بما قسمه الله له وهذا الرضى هو سبب سعادته وتفاؤله برضا الله ومغفرته سبحانه وتعالى، زاهداً في هذه الدنيا الفانية التي لا تساوى عند الله جناح بعوضة، وصدق ليبد بن ربيعة حين قال:

ألا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

وكل نعيم لا محالة زائل

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون أن يتحلى كل من يعمل في المجال التربوي بالقناعة والرضا بما عنده وبما قسمه الله له حتى يعيش سعيداً، ويجب أن تُكسب هذه القيمة الطيبة إلى التلاميذ منذ نعومة أظفارهم حتى يشبوا على هذا المبدأ الطيب في سلوكهم وأخلاقهم وفيما بينهم، وإبعادهم عن الطمع والنظر إلى ما عند غيرهم. فهذا المبدأ مهم جداً في المجال التعليمي حتى يسود جو من الرضى والقناعة وعدم الطمع، لأن الرضا بما قسم الله لنا هو سبب السعادة والحب فيما بيننا.

٧- الجرأة في الحق :

ويتمثل هذا المبدأ من خلال هذه القصة في موقف الرجل المؤمن بالله والمعتز بإيمانه وعقيدته من صاحبه الكافر المغتر بما عنده من نعم عندما قال له بكل جرأة «أفكرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة

الحق تبارك وتعالى هذا المبدأ في قوله [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] (الزلزلة / ٧، ٨).

٩. الحسرة والندم نتيجة حتمية للكبر والإعجاب:

وكما سبق أن عرفنا في هذه القصة ما حدث لهذا الكافر والجاحد بنعم الله والمفتر بما عنده والمتكبر على صاحبه المؤمن المعترف بإيمانه وعقيدته، أن عاقبه الله جل وعلا نتيجة لشركه بالله وظنه أن ملكه وماله وجاهه لا يزول ولا يفنى أبداً وكذلك نتيجة لتكبره وغروره وعدم أخذه بنصيحة أخيه المؤمن عندما ذكره بمنشأه «أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً» فنتيجة لكفره وشركه وعنايه أن أهلك الله ما عنده من الجنان والأموال وكل ما يملك ونتيجة ذلك حزن وندم ندماً شديداً على هذه الجنان وما أنفق فيها وهي محطمة مهشمة «فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً».

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون في ضرورة التخطيط السليم المنظم من خلال دراسة جميع الظروف والإمكانات اللازمة لتحقيق الأهداف المنشودة ودراسة مدى نجاح هذه الخطة قبل التنفيذ حتى يسير العمل في طريقه السليم ويحقق الأهداف بدون فاقد أو خسارة حتى لا نندم في النهاية على شيء يصيبه الخلل والخطأ.

ويجب أيضاً توجيه الطلاب الى فعل السلوك

والتكبر والإعجاب ولم يتعظ من خلال محاورته له بأن هذا التكبر والتغطرس والغرور سوف يؤدي الى الضياع والهلاك لما عنده من مال وجاه، وهذا الكافر بنعم الله والمفتر بما عنده نتيجة لتكبره ويطره التشديد وظنه أن هذه الأموال والجنان لن تقنى ولا تزول أبداً وكان نتيجة ذلك أن عاقبه الله بما صنع من غرور وتكبر وتفاخر فكانت الحسرة والندم على ما ضاع منه وهلك «فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها» مهشمة محطمة، فندم على إشراكه بالله، والآن يعترف بربوبيته ووجدانيته ولكن بعد فوات الأوان.

وتتمثل الثمرة التربوية في هذا المضمون من أهمية وضرورة استخدام الثواب والعقاب في المجال التربوي عامة وحجرة الدراسة خاصة. فيجب أن يثاب من يحسن العمل ويتقنه، ولا يشترط هنا أن يكون الثواب مادياً، بل يمكن أن يكون معنوياً أيضاً عن طريق المدح والتشجيع والإطراء، أما العقاب فلا بد أن يكون من جنس العمل بمعنى أن يعاقب من يخطئ على قدر الخطأ، وليس المقصود بالعقاب هنا الإهانة والضرب بقدر ما يقصد منه الإصلاح والتقويم.

ونؤكد هنا أهمية هذا الأسلوب في المجال التربوي عامة واستخدامه في حجرة الدراسة بصفة خاصة، ويجب مكافأة من يستحق المكافأة، ومعاقبة من يخطئ حتى يرجع الى الصواب وفي ذلك يؤكد

ص ١٤٩.

(٨) أبو جعفر جرير الطبري، جامع البيان في تفسير

القرآن، ٨، (مرجع سابق، ص ١٤٩).

(٩) أبو عبد الله محمد بن الأنصاري القرطبي، تفسير

القرطبي الجامع لأحكام القرآن، المجلد السادس،

(القاهرة: دار الريان، ب ت، ص ٤٠١٧).

(١٠) محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، مرجع

سابق، ص ٦٥.

(١١) أبو الفدا إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن

العظيم، ٢، مرجع سابق، ص ٨٣.

(١٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤، مرجع سابق

ص ٢٢٧٠.

(١٣) محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي،

١١، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(١٤) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي،

رياض الصالحين، (القاهرة: دار نهر النيل للطباعة،

ب ت، ص ١٦٦).

(١٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤، مرجع سابق،

ص ٢٢٧٢.

(١٦) أبو زكريا بن شرف النووي الدمشقي، رياض

الصالحين، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(١٧) أبو زكريا بن شرف النووي الدمشقي، رياض

الصالحين، مرجع سابق، ص ٢١١.

(١٨) نفس المرجع السابق، ص ٢٠٩.

(١٩) أبو زكريا بن شرف النووي الدمشقي، رياض

الصالحين، مرجع سابق، ص ٧.

(٢٠) ناصر عبد الكريم العقل، مجمل أصول أهل

السنة والجماعة في العقيدة، (الرياض: دار الوطن

للنشر ١٩٩١، ص ٥.

الطيب الإيجابي وعدم فعل السلوك الخاطيء حتى لا
ندم نتيجة هذا الفعل فبال توجيه السليم نصل الى بر
الآمان والسلامة. ونؤكد هنا على أهمية وضرورة
توحيد الجهود والتخطيط السليم المنظم للعمل
التربوي حتى يتحقق أفضل عائد تربوي وتتم الفائدة
ويتحقق الهدف بدون خسارة أو ندم فلا بد أن يسود
الجو التربوي روح المشاركة والتعاون بين جميع
العاملين فيه.

الموامش:

(١) محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي،

المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، المجلد

الحادي عشر، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر)،

ص ١٢٤.

(٢) محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، الجزء

الثاني عشر، ٧، (القاهرة: دار غريب للطباعة ١٩٧٧،

ص ٣.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع،

(القاهرة: دار الشروق ١٩٨٧، ص ٢٢٧٠).

(٤) أبو جعفر بن جرير الطبري، جامع البيان في

تفسير القرآن، المجلد الثامن، (بيروت: دار المعرفة

للطباعة والنشر ١٣٢٨، ص ١٤٩.

(٥) محمد سليمان سليمان، نبذة مفيدة من أخلاق

القرآن وأدبه، (القاهرة: دار الزهراء للطباعة والنشر

١٩٧٦، ص ٢٠.

(٦) أبو الفراس إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن

الكريم، (بيروت: مكتبة التراث ١٩٨٠، ص ٨٢.

(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤، (مرجع سابق،



شعر : مصطفى عوض الله بشارة - السودان

من

سلافة الروح !

ولأنم ... علمه الاسما
وجليل الحكمة للمعبّر
والرُسُلُ مُدَاة أرسلاهم
لطريق الإيمان العطر
غُرف الرضوان مُزينة
للقائم في ليل السّحر
هبنى رضى وانك يا ربى
أن تُبعد أسباب الكدر

سُبْحانَ المنعم، خالقنا
الأرض رواها بالمطر
وثوابُ التوبة يحمدُه
من سارَ على الدرب الوعر

ونبينا الهادي شافعنا
في يوم البعث المنتظر
وهذا الله مُحجّتُه
بالنور الساطع بالفكر

فسرى ليلا ... وسما قدراً
والرؤية .. كانت .. بالبصر

اضرعُ للخالق مُبتهلا
أن يُسعد أوطاني بالظفر
أن يرفع راية أممتنا
تعلو مجداً بين البشر !

شريتُ الراح صافية
من ننان الروح والطهر
وتنسّمتُ عطرها فرحاً
بين طيف الحلم والشعر
وتلوتُ الآية مُحكمة
من جليل الوحي والذكر
سطعتُ أنوارها وهجاً
يبهرُ الإحساس بالنظر

غنيتُ الكلمة مُبتهاجاً
بمعاني السيرة والسّود
ونظرتُ الشمسَ مُتوّرة
وضياء الأنجم والقمر
وجمالُ الكون يُمتدني
ببديع الخلق مع الحُود
تنجلي الرؤية باهرة
ببيان القدرة والقدر

ما أعظم خالقنا الباري
نجى البشرية من خطر

إعاقة طفل

كل الأطفال ..
يجروا ..
يمرحوا ..
تري .. هل
استحييت
عافيتي !!!



مع تحيات داره طارئة

تصدر عن داره المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي جدة رمز بريدي ٢١٤٦١

ص ب ٢٩٢٥ ت ٦٤٣٢١٢٤ فاكس ٦٤٢٨٨٥٣



الإسلام والفنون الجميلة



(الحلقة السادسة)

انطلق عدد من العلماء الذين حرموا الرسم والنحت والتصوير من ظاهر نصوص عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، ليقولوا إن السنة النبوية قد حرمت الصور والتماثيل للأحياء - حيوانات كانت أو إنسانا - وأنها بذلك قد نسخت الإباحة التي كانت لها في شريعة النبي سليمان، عليه السلام.

وحتى إذا سلمنا بالقول بالنسخ - وكثيرون ينكرونه - فإننا سنجد أن علة حدوث هذا النسخ هي: تحول الصور والتماثيل - في الواقع الذي ظهر فيه الإسلام - إلى معبودات، كما كان حالها لدى قوم إبراهيم، عليه السلام، وهو ما لم تكنه زمن نبوة سليمان. وإذا كانت الأحكام تدور مع عللها وجودا وعدما، فإن التحريم للتماثيل والصور سيصبح، بدهاء، مرهونا ومشروطا ومعللا بمظنة اتخاذها أندادا تشارك الله في الألوهية والتعظيم، فإذا ما انتفى هذا السبب وزالت هذه المظنة انتفى التحريم، وعادت الإباحة حكما للصور والتماثيل، من جديد.

ولحسن الحظ. فإن «النظرة الشاملة»، وأيضا «الاستقرائية» للأحاديث النبوية التي رويت في «الصور والتماثيل» تؤكد هذا الذي نذهب إليه، وتقطع بأن التحريم مرهون ومشروط ومعلل بكون هذه الصور والتماثيل مظنة العبادة والإشراك بالله، كما أنها تفصح عن أن هذه الأحاديث التي تنهى عن «الصور والتماثيل» إنما كانت تعالج شئون جماعة بشرية هي قريبة عهد بالشرك الوثنية، وحديثة عهد بالتوحيد الإسلامي، وأن توحيدها لله سبحانه قد خرج بها من هذه الحالة خروج الدواء بالمريض من مرحلة العلة إلى بدييات طريق الشفاء. فهي قد خرجت من الوثنية وعبادة الصور والتماثيل، لكنها كانت لا تزال في «دور النقاهة»، الأمر الذي استدعى تركيز الأحاديث النبوية على النهي عن اتخاذ الصور والتماثيل، سدا للذرائع، وتقديما لدفع المضرة على جلب المصلحة - وهي قواعد تشريعية إسلامية - وذلك كيلا تعود هذه الجماعة إلى مرض الوثنية والشرك من جديد.



بقلم المفكر الإسلامي : أ. د. محمد عمارة

- مصر -

تتبع كل أمة ما كانوا يعبدون؟ فيتمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب الصور صورته، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون... [٢].

فالأمم التي انحرفت عن التوحيد في الألوهية والربوبية، قد تمثلت لها معبوداتها... الصليب للنصارى... والصور... أى الأصنام... للوثنيين... والنار للمجوس... فالصورة، إذن، هي «الصنم والوثن» المعبود... للمشركين... من دون الله... وليست تلك التي نتعارف عليها اليوم عندما نتحدث عن «الصور» وعن «المصورين».

وثانية الحقائق التي يجب التنبيه عليها ونحن

مقدمون على استعراض الماثورات والأحداث النبوية التي رويت في هذا الموضوع، هي وجوب الاستحضار والتدبر للمناخ والبيئة والإطار الذي قيلت فيه هذه الأحاديث، وذلك حتى ندرك فيها ومنها المقاصد والعلل والحكم والغايات... ففى قد قيلت للمؤمنين بالله الواحد، كانوا حتى الأمس القريب يعبدون الصور والتمائيل... وهؤلاء

وإذا كان ضبط المصطلحات هو مما يعين على دقة الفهم وجلاء القضية، فإن من الواجب أن ننبه على أن «الصورة» في الأحاديث النبوية التي عرضت لهذه القضية إنما يراد بها «الصنم والوثن المعبود» من قبل المشركين... فلم يكن بمكة أو المدينة، أو البوادي من حولهما، يومئذ، «حركة فنية» تصور بالالوان، أو بالأت التصوير... كانت الصورة هي «الصنم والوثن»، ينحت نحنا، أو يرسم بالنسج على النسيج أو بالرسم أو بالحفر على الجدران والأثاث... ومن هنا، فإن النهى عن «الصور» وذم «المصورين» هو حديث عن «الأصنام والأوثان» وعن الذين يحترفون صناعة هذه «الأصنام والأوثان»، وليس حديثاً عن «الصور» و«المصورين»، بالمعنى الذى يراد اليوم عند الحديث عن فنون التشكيل وفنانيها... يشهد لهذه الحقيقة الهامة المقارنة بين حديثين شريفيين ورد فيهما مصطلح «الصورة»، ويفسر ثانيهما الأول على النحو الذى يضبط معنى هذا المصطلح ضبطاً لا سبيل معه الى التجاوز أو الإيهام. ففي الحديث الذى يرويه عبد الله بن عمر، يقول الرسول، (صلى الله عليه وسلم) «الذين يصنعون هذه الصور يعذبون، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم» [١]، أما الضبط لمعنى «الصورة»، على النحو الذى أشرنا اليه، فإننا واجدوه في الحديث الذى يرويه أبو هريرة، والذى يقول فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، متحدثاً عن خبر الناس يوم القيامة: «يُجمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين، ثم يقال: ألا

**** لمقدم
وجود آلات
التصوير
أذاك فإن
المصنود -
(الصورة) هو
(الصنم
والوثن
المعبود).**

حياة فيه، فيمارس «الفن الجميل»، في غير ما هو مظنة الوثنية، مما جاء فيه النهي والتحريم... فقال للرجل: «... فإن كنت لا بد فاعلا، فاجعل الشجر وما لا نفس فيه»[٤].

ولقد وضع الرسول، (صلى الله عليه وسلم) هذا الحكم وهذا الموقف موضع التطبيق، ففقد المسلمون حملة إزالة وتحطيم لصور المعبودات الوثنية وتمثيلها... صنعوا ذلك بالمدنية - قبل فتح مكة وتطهير الكعبة... ففي الحديث الذي يرويه علي بن أبي طالب، يقول: «كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، في جنازة، فقال: أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره ولا قبرا إلا سواه ولا صورة إلا لطخها؟» فقال (سبعة): أنا، يا رسول الله، فانطلق، فهاب أهل المدينة، فرجع! فقال علي بن أبي طالب: أنا أنطلق، يا رسول الله. فانطلق، ثم رجع، فقال: يا رسول الله، لم أدع بها وثنا إلا كسره، ولا قبرا إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها. ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد»[٥].

فالإزالة والتحطيم، هنا، كانت لرموز وثنية، بما فيها القبور العظيمة وشواهدا... ويوم فتح مكة... أمر النبي (صلى الله عليه وسلم)، عمر بن الخطاب أن يتقدمه إلى الكعبة فيزيل من داخلها الصور والتمائيل المعبودة والعظيمة، والتي كانت تمثل إبراهيم وإسماعيل ومريم، عليهم السلام... فعن ابن جريج: «... أن النبي (صلى الله عليه وسلم)، نهى عن الصور في البيت، ونهى الرجل أن يصنع ذلك. وأنه أمر عمر بن الخطاب،

المؤمنون كانوا محاطين بعبدة الصور والتمائيل الذين لم يؤمنوا بعد... وصناع النسيج والأثاث والألوات... وهم في الأساس من غير العرب - كانوا يزنون مصنوعاتهم ومنسوجاتهم بصور الآلهة - (الأصنام) - تروجا لها في البيئة الوثنية... ومن هنا كان النهي عن هذه «الصور» نهيا عن الوثنية، ودعوة إلى تنقية المنازل والأندية من صور الأصنام المعبودة في الجاهلية، وسعيا لاجتثاث جذور المرض الوثني، وذلك حتى تبرأ هذه الجماعة البشرية تماما من الشرك والتعددية، فتخلص العبودية لله وحده، وترسخ في قلوبها عقيدة التوحيد... ولذلك جاء النهي عن «الصور» التي تمثل الأحياء - وهي التي كانت تعبد - ولم يحدث نهى عن صور الشجر، أو تلك التي تحاكي الطبيعة، إذ لم تكن من المعبودات... فالمستهدف ليس «الفن» ولا «الجمال»، وإنما الوثنية والمساربات التي يمكن أن تؤدي إلى عودة الإشراك بالله مرة أخرى إلى عقائد الناس....

في إطار هذه الحقائق نقرأ ونفهم قول رسول الله، (صلى الله عليه وسلم) «من صور صورة عبث يوم القيامة حتى ينفخ فيها، وليس ينافخ»[٦]... أي حتى ينفخ فيها الروح فيحييها... وأني له أن يصنع ذلك!.

ولقد جاء رجل من أهل العراق، كان يحترف التصوير، جاء إلى عبد الله بن عباس، فقال له: «يا ابن عباس، إني زجل أصور هذه الصور، وأصنع هذه الصور، فافتني فيها؟» فقال له ابن عباس: «أنتيك بما سمعت من رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، سمعت رسول الله يقول: كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس تعذب في جهنم»... ثم استطرد ابن عباس فأشار على الرجل أن يصور مالا



**** تحريم**

التمثيل

والصور مرهون

بعله وجوداً

وعدماً.

**** ينبغي**

استحضار البيئة

والأطار الذي

قيمت فيه هذه

الأحداث.

**** الأزالة**

والتسليم

كانت لرموز

وثنية، بما فيها

القبور

المظلمة.

**** زوال المظنة**

والشبهة يعطي

الحكم بالإباحة.

الصور مظنة شبهة

الإيحاء بتعظيمها، أو

تمثل شاغلا يصرف

المصلى عن الحضور

المستغرق في صلاته

ومثوله بين يدي مولاه، أو

مظنة شبهة الإيحاء بأن

التوجه في الصلاة إنما

هو إليها... عندما يكون

الأمر ذلك، أو نحوها،

أو موهماً لشيء مما

يحتويه، يكون نهى

الرسول (صلى الله عليه

وسلم)، عنها، ودعوته

لإزالتها... فإذا ما

تحولت هذه الصور عن

أماكنها هذه، فزالت عنها

تلك المظنة والشبهة، غدت

مقبولة في بيت النبوة، بل

وأصبحت مما يستخدمه

الرسول (صلى الله عليه

وسلم).

فمأثقة، أم

الؤمنين، تروى الحديث

فتقول: «قدم رسول الله

(صلى الله عليه وسلم)

من سفر وقد اشترت

زمن الفتح، وهو بالبلاء، أن يأتي الكعبة فيمحو كل

صورة فيها، ولم يدخل البيت حتى محيت كل صورة

فيه» [٦].

ويروي ابن عباس أن النبي (صلى الله عليه

وسلم) «لا رأى الصور في البيت - (يعنى الكعبة) - لم

يدخل، وأمر بها فمحيت، ورأى - (صور) - إبراهيم

واسماعيل، عليهما السلام، بأيديهما الأزام [٧]. فقال:

قاتلهم الله! والله ما استقسما بالأزام قط» [٨].

وفي البخارى أن عمر بن الخطاب كان يتمتع عن

دخول الكنائس من أجل ما فيها من التماثيل والصور

المعبودة «وكان ابن عباس يصلى في البيعة إلا بيعة

فيها تماثيل».

فالنهى والتحريم، في النظرية والتطبيق،

يستهدف مظان الشرك، وشراك الوثنية، والروافد التي

تحفظ الحياة لنقيض عقيدة التوحيد، أو تغيب نقاء هذا

التوحيد... وليس التصوير أو النحت أو الرسم، كفن

من فنون الجمال... فالأول - مصادر الشرك ورموزه

ومظانه - بينه وبين التوحيد الاسلامى العداء الدائم

والتناقض القائم والصراع الذى لا يزول... أما الفن

التشكيلى - رسماً ونحتاً وتصويراً - فإنه لون من ألوان

النشاط الجمالى للإنسان، يدور الحكم فيه والموقف منه

مع علته وغايته ومنفعته وجوداً وعدماً، إن في الإباحة

أو الاستحباب، أو المنع، كراهة أو تحريماً.

فإذا ما جئنا الى التجربة العملية - وأيضاً الذاتية

- لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، مع الصور، وفي

داخل بيته، ومع أهله، رأينا الأحاديث التى تحكى هذه

التجربة شاهدة على هذا الذى نقول... فعندما تكون

**** ليس القصد هو تصوير الصور والتماثيل لمجرد انها فن، بل لعدة المقنة والشبهة نبيها. ** الصور والتماثيل لا تحرم على التعظيم**

نمطا (ثوبا من صوف - أو
بساطا) فيه صورة، فسترته
على سهوة بيتي (السهوة:
الرف، أو الطاق، أو الكوة)
فلما دخل (صلى الله عليه
وسلم)، كره ما صنعت،
وقال: تسترين الجدر يا
عائشة؟! فطرحت، فقلعته
مرفقين (وسادتين)، فقد
رأيتُه متكئا على إحدهما
وفيها صورة» [٩].

فكرامة الرسول، هنا
للصورة قد ارتبطت بكونها
ترقا يستهدف مجرد ستر
الجدر! ويكونها، بهذا
الوضع في مثل هذا الموقع
مما يستقبله المصلى،
فتشفله، أو توهم بمظنة
استقبالها في الصلاة.
فلما انتقلت الصورة الى
الوسادة، لم يكرها رسول

الله، ولم ينه عنها، بل استخدم الوسادة «وفيها
الصورة»، كما تقول عائشة في الحديث.

ويؤكد هذا التفسير - هذا إذا كان محتاجا الى
تأكيد؟! - حديث الصحابي أنس بن مالك - وهو خادم
الرسول، العارف بشئون منزله - الذي يقول فيه: «كان
قرا - (ستر) - لعائشة قد سترت به جانب بيتها، فقال
رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أميطي عنا قرامك

هذا، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في
صلاتي» [١٠].

فالنهي خاص ومطل بمكان وضعه، والسبب في
إزالته هو أن تصاويره تعرض أمام الرسول إذا قام
للصلاة. أي أن العلة هي قصد الابتعاد عن ما يشغل
المصلى عن الصلاة، وإزالة كل ما من شأنه إيجاد
شبهة مظنة التعظيم لغير الله.

ولذلك .. فعندما تزول هذه الشبهات وهذه
المظان وهذه المحاذير عن الصور والتماثيل، فإن الحكم
فيها والموقف منها يتغير بالتأكيد .. فليس القصد هو
تحريم الصور والتماثيل، إذا كانت فنا جميلا يرتقى
بالحاسة الفنية والمشاعر الجمالية للانسان، لمجرد أنها
فن، وبعدة أنها صور وتماثيل.

وإذا كان القرآن الكريم - كما سبقت إشارتنا -
قد حكى لنا نبأ التماثيل في عهد النبي سليمان، عليه
السلام، باعتبارها نعمة الهية، يصنعها صانعوها بإذن
الله، فإن النبي، (صلى الله عليه وسلم) يحدثنا عن
سوق في الجنة كل بضاعتها الصور، صور النساء
والرجال .. ففي الحديث الذي يرويه علي بن أبي
طالب، يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) «إن في
الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من
النساء والرجال، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل
فيها» [١١]. .. فهي، هناك لن تقود الى شرك أو
وثنية .. ومن ثم فهي حلال .. بل ونعمة من نعم الله،
سبحانه وتعالى، على الصالحين من عبادته في جنات
النعيم.

بل إن مجتمع المدينة ذاته، ذلك الذي شهد
التحريم للصور - نظريا وعمليا - عندما كانت مظنة
الشرك بالله والتعظيم اسواه - إن هذا المجتمع ذاته قد



الكريم، لا تحرم الصور والتماثيل على التعظيم والإطلاق... وإنما التحريم فيها، كالتحريم في القرآن، خاص ورهن ومشروط بالمواطن التي تصبح فيها الصور والتماثيل شراكا للشرك وحبالا للوثنية وسبلا لتعظيم غير الله... أما إذا كانت للمنفعة، وتجميل الحياة وزينتها المشروعة، وتخليد القيم الفاضلة وتزكيتها، وتنمية مشاعر الجمال الإنسانية... فإن موقف السنة النبوية يصبح معها، لا ضدها، لأنها بذلك تنتقل من الأمور الضارة الى حيث تصبح واحدة من نعم الله على الانسان.

الهوامش:

- (١) رواه الامام أحمد.
- (٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي والامام أحمد.
- (٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حنبل.
- (٤) رواه الإمام أحمد.
- (٥) رواه مسلم والنسائي والإمام أحمد.
- (٦) رواه أبو داود والإمام أحمد.
- (٧) الأزام - مفردها: زلم - السهام التي كان يستقسم بها المشركون في الجاهلية كانوا يكتبون على أحدها: أمر، وعلى آخر: نهي، وعلى واحد منها: أفعل، وعلى الثاني: لا تفعل. ويستقسمون بها عند إرادة السفر أو القيام بعمل ما.
- (٨) رواه الإمام أحمد.
- (٩) رواه الإمام أحمد.
- (١٠) رواه الإمام أحمد.
- (١١) رواه الإمام أحمد.
- (١٢) رواه الإمام أحمد.
- (١٣) رواه الإمام أحمد (ومثله مروى عند البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه).

تغيرت نظره للصور والتماثيل عندما أخذ يبرأ من مرض الوثنية والتعدد في المعبود... فعندما دخل المسور بن مخزومة على عبد الله بن عباس «يعوده في مرضه، فرأى عليه ثوب استبرق وبين يديه كannon عليه تماثيل، فقال له: يا بن عباس! ما هذا الثوب الذي عليك؟ قال: وما هو؟ قال: استبرق! قال: والله ما علمت به، وما أظن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] نهى عنه إلا للتجبر والتكبر، ولسنا بحمد الله كذلك. قال: فما هو الكannon الذي عليه الصور؟ قال ابن عباس: ألا ترى كيف أحرقناها بالنار؟» [١٢].

فابن عباس، هنا يجتهد فيرى أن علة تحريم لبس الاستبرق هي التجبر والتكبر، فإذا زالت العلة زال التحريم. ويجتهد كذلك فيرى أن علة تحريم التماثيل هي التعظيم لها، أو شبهة التعظيم والعبادة لها من دون الله، فأما وقد وضعت حيث لا تعظيم لها، وأما وقد أمن الناس من مظنة عبادتها، وغدت مجرد حلية يترزين بها الكannon، فإنه لا تحريم.

وعندما ينزع الصحابي أبو طلحة الأنصاري نمطا (ثوبا من صوف - سترا) من على فراشه، فيسأله الصحابي - سهل بن حنيف: «لم تنزعها؟ فيقول: لأن فيه تصاوير، وقد قال فيها رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ما قد علمت! يرد عليه سهل بن حنيف قائلا: «أو لم يقل الرسول: إلا ما كان رقما في ثوب» [١٣]... فتعلم من ذلك أن النهي ليس مطلقا، وأن ما كان مقصودا به منفعة الزينة والجمال - من الصور - وبعبارة عن شبهات مظان الوثنية والشرك والعبادة - كالصور إذا كانت (رقما في ثوب) أي نقشا يزينه ويجمله - فلا نهى عنه، في هذا الحال، ولا تحريم له.

إذن... فالسنة النبوية، مثلها في ذلك مثل القرآن

.. التجهم والجفاء ..

عند ابن تيمية وابن حزم .. عرض ونقض

رُمي الشيخان بالتجهم والجفاء وحدة الطبع وقساوة المعشر، يقول الذهبي واصفاً ابن تيمية: «تعتريه حدة في البحث وغضب وصدمة للخصوم، تزرع له عداوة في النفوس، وإلا لو لطف خصومه لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم خاضعون لعلومه معترفون بتفوقه مقرون بندور خطئه» [١].

وأورد الصفدي في «الوافي بالوفيات»: (١٧/٧) جملاً وإفراً تدل على حدة الشيخ وجفاء طبعه، ومما قال: حكي لي عنه أنه كان قد شكاً إليه إنسان أو جماعة من قطلوبك الكبير، وكان المذكور فيه جبروت على أخذ أموال الناس واغتصابها .. فقام يمشي إليه فلما دخل إليه وتكلم معه في ذلك قال له قطلوبك: أنا الذي أريد أجيء إليك لأنك رجل عالم زاهد، يعرض بقولهم: إذا كان الأمير بباب الفقير، فنعم الأمير ونعم الفقير - فقال له: قطلوبك! لا تعمل عليّ دركواناك، موسى كان خيراً مني وفرعون كان شراً منك، وكان موسى كل يوم يجيء إلى باب فرعون مرات في كل يوم ويعرض عليه الإيمان». وللعلامة ابن رجب الحنبلي وصف كاشف لحالة ابن تيمية هذه، إذ يقول: «وله حدة قوية تعتريه في البحث، حتى كأنه ليث حرب.. وفيه قلة مداراة، وعدم تؤدة غالباً، والله يفر له، وله إقدام وشهامة، وقوة نفس توقعه في أمور صعبة» [٢].

ومن مظاهر الجفاء التي أوردها الرواة ما نقله المقرئ في «نفع الطيب»: (٥٤٢/٢)، والداودي في «طبقات القسرين»: (٢٨٩/٢): أن أبا حيان النحوي

في زُبر الحق وطلاتعه تتكشف حقائق العلوم وتتشعشع تزييفات الخرافين، وأصالة العلم تكمن في التمييز بين صحيحه وسقيمه وحقيقه ودخيله، والاعتراف من التاريخ بدون تبصر ولا رؤية: منزلة أقدام ومكسية آثام. ومن أعلام التاريخ النابيين وجهابذة الفقه المبرزين: «علي بن أحمد الأندلسي» المشهور بابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ)، و«أحمد بن عبد الحلیم الحراني» المشهور بابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ) - رحمهما الله تعالى -.

وبين الشام والأندلس موطن الشيخين مفاوز تطويها وتقربها صفة مشتركة أطبقت عليها مصنفات التراجم وطبقات الفقهاء وهي - عند الأكثرين - مغمز قادح ومطعن فاضح، يتشبث بها الطاعنون ويتمسك بها اللاتمنون وهي بلية من البلايا ورزية من الرزايا التي لاكتها الألسنة على حد وصف «صالح بن عبد القدوس» (١٦٠هـ):

لحفظ لسانك أن تقول فتُبتلى
إن البلاء موكل بالمنطق



مراجعة: أحمد بن مسفر العتيبي

- السعودية -

(٦٨١هـ) على مقالة ابن العزيف قائلا: «وإنما قال ذلك لأن ابن حزم كان كثير الوقوع في الأئمة المتقدمين والمتأخرين، لم يكن يسلم منه أحد» [٢].

ومن مظاهر حدة ابن حزم قبحه وغمزه للأئمة الأربعة - رحم الله الجميع - كما في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» في الفصل الذي عقده في إبطال القياس - وقد رد عليه العلامة «محمد الأمين الشنقيطي» - رحمه الله تعالى - في كتابه «مذكرة أصول الفقه» فلتراجع.

ومن طالع «المحلّي» و«الفصل في الملل والنحل» و«الإحكام» و«نقط العروس» و«حجة الوداع» لابن حزم؛ يتضح له بجلاء قسوة ابن حزم الشديدة على الفقهاء وسائر العلماء الذين خالفوه، وهذا السبب بعينه هو الذي دفع «أبو بكر ابن العربي» (٥٤٣هـ) إلى الحط من شأن ابن حزم كما في كتابه «القواصم والعواصم»، ومما قاله: «وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم، نشأ وتعلّق بمذهب الشافعي، ثم انتسب إلى داود، ثم خلع الكلّ، واستقل بنفسه، وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع، ويحكم ويشرع، ينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيراً للقلوب منهم...» [٤].

تلك كانت خلاصة ما رمي به الشيخان من التجهم والجفاء وحدة الطبع وقساوة المعشر.

لكن لا بد هنا من التنبيه على الحقائق الآتية:

أولاً: إن جفاء ابن تيمية - رحمه الله تعالى - لم تكن سجية لازمة في كل عمره، بل في مدة يسيرة تحت وطأة شظف العيش وقسوة المجتمع، وقد أشار

تناظر يوماً مع ابن تيمية في مسألة، فقال أبو حيان: «كذا قال سيبويه»، فقال ابن تيمية: «يكذب سيبويه»، وفي رواية أن ابن تيمية قال له: ما كان سيبويه نبي النحر، ولا معصوماً، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً أما تفهمها أنت؟! فكان ذلك سبب نفور أبي حيان وذهم لابن تيمية - رحمهما الله تعالى -.

أما حليف قرطبة وشامة الأندلس أبو محمد ابن حزم فقد كان متقدماً على ابن تيمية في التأريخ الزمني بنحو ثلاثمائة سنة. وقد وصفه أبو مروان بن حيان بوصف كاشف لا مزيد عليه كما في «معجم الأدباء» (٤٨/١٢)، ومما قاله فيه: «كان يحمل علمه، ويجادل من خالفة فيه على استرسال في طباعه وبذل بأسراره، واستناد على العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده، ليُبينه ولا يكتُمونه، فلم يك يلفظ صدعه (أي قوله الذي يصدر فيه بالحق الذي يعتقده)، بما عنده من تعريض، ويرقه بتدرج، بل يصك به معارضه صكّ الجندل، ينشقه متعلقه (المتعلق: الذي يقول من غير حجة)، إنشاق الخردل، فتتفر عنه القلوب، وتوقع به الذنوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته، فمالوا على بغضه وردّ أقواله، فأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه، وطلق الملوك يقصونه عن قريبهم، ويسيرونه عن بلادهم... وأكثر معايبه فيما زعموا عند المنصف له جهله بسياسة العلم التي هي أعوص من إلتقائه».

ولعل في مقالة ابن العريف (٥٣٦هـ): «كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين» خير دليل على مظهر مزاجه ومن صورته: الحدة في المقال والشدة في المناقشة والعنف في الردّ. ولهذا عبّ ابن خلكان

لنفسه» [٧]. ولا شك أن تعرض ابن تيمية للحبس سبع مرات من سنة (٦٩٣هـ) الى سنة (٧٢٨هـ) في مدد متفاوتة، وتعرضه لحسد علماء الدنيا وترصص الأمراء به كل ذلك كان سبباً لذيوع خبر حدته وجفائه.

ثانياً: إن تجهّم ابن حزم - رحمه الله تعالى - كان أبلغ من تجهّم ابن تيمية لأسباب عديدة، منها:

(١) نشأة ابن حزم كانت نشأة جاه وترف ووجاهة، فقد كان أبوه وزيراً، واستوزر هو ثلاث مرات، وهذه بلا شك تكون سبيلاً الى اعزاز صاحباها وطلبه للرفعة وإبائه الضيم.

(ب) الاضطراب السياسي في عصر ابن حزم كان على أشده، ففي سنة (٣٩٩هـ) اشتعلت الفتن في قرطبة، فانتقل مع أسرته الى غريرها، ثم الى «المرية» سنة (٤٠٤هـ)، ثم وقع عليه النفي والتغريب، ثم امتحن بحرق كتبه بأمر من «المعتضد بن محمد بن اسماعيل بن عباد».

(ج) تشييعه لأمراء بني أمية ماضيهم وباقبيهم واعتقاده لصحة إمامتهم، حتى رماء البعض بالنصب!

(د) تعصبه الشديد للمذهب الظاهري ورده للقياس، ولهذا قال:

أشهد الله والملائك أنني

لا أرى الرأي والمقاييس ديناً

حاش لله أن أقول سوى ما

جاء في النص والهدى مستبيناً

ومن شعره أيضاً:

لا أنثني لمقاييس يقال بها

في الدين بل حسبي القرآن والسُنَنُ [٨]

(هـ) سلاطة لسانه - رحمه الله - على العلماء والفقهاء كما حكى الذهبي: «وقد امتحن هذا الرجل وشدد عليه وشرد عن وطنه وجرت له أمور، وقام عليه

الترجمون الى حلم ابن تيمية ورفقه ومداراته كما قال ابن رجب: «وما رأيت في العالم أكرم منه مع أصحابه، وسعي في مصالحهم... وربما قام لمن يجيىء من سفر أو غاب عنه... ويسلم ويصافح ويبتسم، وقد يعظم جليسه مرة، ويهينه في المحاورة مرات» [٥]، وفي مسالك الأبيصار

للعمرى: «حدثني تقي الدين عبد الله بن أحمد، قال: مرضت بدمشق مرضة شديدة، فجاني ابن تيمية، فجلس عند رأسي وأنا مثقل بالحمى والمرض، فدعا لي، ثم قال: قم، جاءت العافية» [٦].

ودى ابن كثير في «البداية والنهاية» حادثة تولي السلطان قلاوون الملك سنة (٧٠٩هـ) وأنه استشار شيخ الإسلام ابن تيمية في قتل أعدائه (أي أعداء ابن تيمية) ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحداً منهم بسوء، وقال له: إذ قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثله، من آذاني فهو في حلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر

*** * * «من آذاني فهو في حلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه. وأنا لا أنتصر لنفسي»**
ابن تيمية
*** * * (الطحاوي)**
موضع الفرج فاذا فسد تولد ضده»
ابن حزم.

**** سياسة العلم
أعوص من اتقانه
** لان ابن حزم
وسيف الحجاج
شقيقان**

ولولا استئثارهم ساكني، واقتداحهم كامني ما انبعثت
لتلك التوايف [١٤].

الحواشي:

- (١) «ذيل تاريخ الإسلام» للذهبي (مخطوط) نقلا عن
«الجامع لسيرة ابن تيمية»: (ص ٢٠٥).
- (٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٣٩٢/٢).
- (٣) «وفيات الأعيان» (١٦٩/١).
- (٤) «القواصم والعواصم» (ص ١٥٦).
- (٥) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٣٩٢/٢).
- (٦) «مسالك الأبصار» (ص ٣٠١).
- (٧) «البداية والنهاية» (١٨/١٤).
- (٨) «سير أعلام النبلاء» (٢٠٥/١٨، ٢٠٦).
- (٩) «متنكرة الحفاظ» (١١٥٤/٣).
- (١٠) «مداواة النفوس» (ص ٥٤).
- (١١) «الكواكب الدرية» (مخطوط) نقلا عن «الجامع
لسيرة ابن تيمية» (ص ٩٥).
- (١٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤٠٣/٢).
- (١٣) «مداواة النفوس» (ص ٤٥).
- (١٤) «مداواة النفوس» (ص ٣٠).

الفقهاء لطول لسانه واستخفافه بالكبار ووقوعه في أئمة
الاجتهاد بالتقبح عبارة وأفظ محاورة وأبشع رد» [٩].

وقد أفصح ابن حزم في كتابه «مداواة النفوس»
من سبب تجهمه وحدته فقال: «ولقد أصابتنني علة
شديدة ولدت علي ربواً في الطحال شديداً، فولد علي
ذلك من الضجر وضيق الخلق وقلة الصبر والنزق أمراً
حاسبت نفسي فيه، إذ أنكرتُ تبدل خلقي فاشتد عجبي
من مفارقتي لطبيعي، وصح عندي أن الطحال موضع
الفرح، فإذا فسد تولد ضده» [١٠].

وأخيراً فإن حدة ابن تيمية التي أنذيت كان من
ورائها نفس مطمئنة خاشعة لا تعرف الضجر ولا
التبرم، ففي وقت محنته وقد ضيق عليه أعداؤه أسباب
السلامة؛ كان يردد: «والله إنه نازل على قلبي من
الفرح والسرور شيء لو قُسم على أهل الشام ومصر
لفضل عنهم، ولو أن معي في هذا الموضع ذهباً وأنفقته
ما أدبت عشر هذه النعمة التي أنا فيها» [١١]. وما
يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي ويستاني في صدري، أين
رحت فهي معي، لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي
شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة» [١٢].

وابن حزم يرى أن الإخلاص في القول والعمل قد
يكون سبباً إلى جفاء الطبع وسوء المعشر، فيقول:
«إياك ومخالفة الجليس ومعارضة أهل زمانك فيما لا
يفضرك في دنياك ولا في آخرك وإن قل، فإنك تستفيد
بذلك الأذى والمنافرة والعداوة، وربما أدى ذلك إلى
الضرر العظيم دون منفعة أصلاً، وإن لم يكن بدٌ من
إغضاب الناس أو إغضاب الله عز وجل ولم يكن لك
مندوحة عن منافرة الخلق أو منافرة الخالق؛ فأغضب
الناس وناقهم، ولا تغضب ربك ولا تنافر الحق» [١٣].

ويرى أبو محمد أن حدته نعمة من الله: «ولقد
انتفعتُ بمحك أهل الجهل منفعه عظيمة وهي أنه قد
توقد طبيعي واحتدم خاطري وحمى فكري وتهيج
نشاطي، فكان ذلك سبباً إلى تواليف عظيمة النفع،

المتنبي .. وعمق المكان



- ويصرح بحبه الحميم لمواضع تلك البلاد
البعيدة عليه:

أحبُّ حمصاً الى خناصره
وكلَّ نفس تحبُّ منشأها
حيث التقى خدماً وتَفَاح لب
حنان وثغري على حميَّاهَا
وصفت فيها مصيف بانية
شتوت بالصمصاحان مشتاهَا [٢]

يميل المتنبي في متأخر ايامه الى مدينة
يحبس فيها حلالة الذكرى ويحاول بها قهر
اغترابه، فعلى مدى نصوصه (المعضديات
وبعض العراقيات) تظهر الشام في مقابل
البلاد الجميلة، لا تقل عنها جمالا، بل هي
مدينة الحلم سواء من خلال الرجوع بالزمن
من محطة الحاضر، أو إزاء مدينة غريبة
مهما جملت، لا ينتمي إليها المتنبي فتفقد
شيئا من بهائها لهذا السبب، فهي ديار
المحبوبة في نسيه حين يقول:

وهذا الانحياز لهذه الديار أمام ممدوح أعجمي
فيه ميل ضمني للمثال الغائب، الذي كان حاضرا في
كافورياته، عندما يستدعي الضد ضده - سيف الدولة
أمام كافور - وكانت الكفة ترجح للأول وهو إن أخطأ
التقدير مجبرا، فهو عيب الميزان الذي نكبت الأيام لا
عيبه.

إن اجترار الماضي يحقق توازنا لذات المتنبي
التي يراها محاصرة حتى تختنق، ترغب في أن
تموت في ذلك الماضي في مدينة الحلم، ومن هنا كان
هناك خيط معلق بتلك المدينة التي ظلت منيعة عن
النسيان، وتشويه الحكام، إنها المنبت فهي الوعاء

شاميّة طالما خلوت بها
تبصر في ناظري محيَّاهَا
في بلد تضرب الحجال به
على حسان ولسن أشباهَا [١]

بقلم : صالح زامل حسين - عمان

ربّ هذه المرة فما تكون[٢]، ولما قال عضد الدولة بشيراز «المتنبي قال جيد شعره بالعرب، فأخبر المتنبي به، فقال: الشعر على قدر البقاع»[٤] فيستمر في تعيين المكان بالآخر والمدينة الفاضلة إشارة واضحة للمثال الغائب.

لقد شغلت هذه المدينة مساحة غير قليلة من قصيدته، إنها مدينته هو وحسب، فلنكن ما تكون وإن كانت عجائب الدنيا السبع بل حتى العجائب تشترك بها هذه المدينة بغوطتها وإشارة المتنبي إليها إشارة وإن كانت في الظاهر أحياناً محدودة بالمكان دمشق، إلا أن مدينة المتنبي ليست حلب أو دمشق أو الكوفة بالضرورة، لكنها مدينة يبنيها المتنبي مستلاً من كل مدينة أجمل ما فيها ليعيد تشكيل مدينته تلك، فيها صبا الكوفة وحنان الأمومة وأصحاب الطفولة، وثورة السماوة وفتوتها وعنفوانها وغوطة دمشق الجميلة وريف مصر، فيها انفتاح الصحراء وخضرة البساتين.

هي الكينونة الأولى وإعادة خلق وتشكيل العالم، الكينونة التي شغلته طول رحلة البحث عن هذه المدينة، هي عنده اليوم الإحساس الحقيقي بنبض الحياة ولكنه يجتره إزاء الخوف من الآتي

الذي يجمع أيام العمر بصولاتها أمام زمن حاضر مندحر ضعيف، هو الكهولة وخيبة هي قبض الريح. وهذه المدينة الفاضلة لا تحتاج الى أن تكون فاضلة فعلاً، بل تكفيها الذاكرة تمحو عنها كل ما يشوه وجه الحلم، إن الصعب منها لهو أجمل من بِلادة الحاضر وموته البطيء في تزامح أيام العمر وهي تمضي مندفعة للأمام بغير ما رغبة، بطيئة وخاوية.

لقد كانت هذه المدينة الفاضلة بلاد غربة إذا حاكمناها بالكوفة المنيت الأولى، إلا انها تكسّي بصورة الحلم إزاء غربة مكانية جديدة وهي بلاد (غريب الوجه واليد واللسان)[*]، بل هي غريبة في كينونتها، وحتى الممدوح الذي يتعزى في أن يقهر عنده هذه الغربة، لا يملك أن يدفع عنده هذه الوحشة بدنانير شبع منها قبل الوصول إليه فينطوي الى ماضيه في أكبر تجلياته ليتمخض عن مدينة الحلم، هذه التي ظل يوازي بها كل مدن الرحيل الجديدة وتظل تتوازي لكن هل تلتقي مع الحلم؟ أنه محال، فقد «ورد أرجان فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن فضرب بيده على صدره وقال: تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون لي وقصدت

ما استخر
المتنبي على حال
ولا في مكان، هائم
الطموح، كسير
الترحال.

يقف المتنبي أمام المكان في شُغْبٍ يوان فيستهل
نصه بببت يصور فيه جمال الشُّغْبِ مجملاً ومقارناً
إياه بجمال الربيع المطلق لأن الربيع جميل في كل
بقاع الأرض وفي كل الأزمنة:
مفاني الشُّعْب طيبا في المفاني
بمنزلة الربيع من الزمان[٦]

لكنه لا يستطيع الاسترسال مصطدماً بواقع
الغربة المجلدة في البيت التالي:

ولكن الفتى العربي فيها

غريب الوجه واليد واللسان[٧]

فالفتى أي فتى، والعربي أي عربي، والغربة أي
غربة كانت، غربة السحنة والملامح والامتلاك (اليد)
واللغة - ذلك الهاجس الشعري الملازم - ويكون
الاغتراب اللغوي مع رمزيته القومية الواضحة المكان
الأوحد في البيت التالي:

ملاعب جنة لوسار فيها

سليمان لسار بترجمان[٨]

عبر استلهام الماثور الديني عن سليمان وقدرته
على معرفة اللغات أنسية كانت أم غير أنسية...
ويعود فيستغرق في حلم الجمال مغطيا فضاء

المجهول الذي تساوت فيه قيمة الحياة والموت
وزمهيرير وحدته، تلك الوحدة التي تزداد قسوة حتى
لا يجرؤ على أن يتحدث عنها، فإن كان في يوم
سابق يحس بالأمان والتوحد معها، يخافها اليوم،
فيلوذ بالآخر فلا يجد غير المكان والزمان، ولكن ليس
الحاضر، فهما سبب هذا الإحساس بالهرب، إنه
يلوذ بالمكان البعيد، والزمان الذي صار في غيابة
الجب ليس له أمل يوسف[٩] بل جبّه ذاكرته التي
تتلق أمام مدن الرحيل التي لا تملك ألقاً حاضراً.
إن هذه الذكرى المهذبة أمام صورة الواقع المشوشة
كان من المفروض أن تحقق له استقراراً نفسياً،
ولكن هيهات فما يملك غير قلق وانسحاق أمام الواقع
والهرب إلى الحلم المعلق بالماضي ولا يملك أملاً في
أت، إنه محاصر بأمكنة لا ينتمي إليها ورجال
صنعتهم الشراسة، وكهولة يسوقها الزمان إلى
الأبدية.

وما لا قني بلد بـعـدكم
ولا أعتضت من رب نعمائي رب[١١]

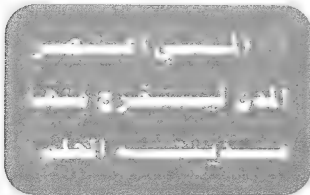
إذن فلماذا لا تعود؟

وما عاقني غير خوف الوشاة
وإن الوشائيات طرق الكذب
وتكثير قـوم وتقليـهم
وتقريبهم بيننا والخـبـب
وقد كان ينصرهم سمعه
وينصرني قلبه والحسب[١٢]

وإذا كان جمال شعب بـأن قد استثار في
ذاكرة المتنبّي جمال دمشق وغوطنها، فانهما لا يمكن
أن يتساويا فيما يحملانه من مدلولات:

وقد يتقارب الوصفان جدا
وموصوفاهما متباعدا[١٣]

ونحن هنا بازاء إشكال تثيره اللغة التي تدل



الآيات من الثالث الى العاشر ثم تكون الصحوة
المرة، ولكنها ليست دمشق!!

ولو كانت دمشق ثنى عناني
لبيق الشرد صيني الجفان
يلنجوجي ما رفعت لضيف
به النيران ندى الخـان[٩]

إذن دمشق هي الهاجس الذي لم يستطع منه
فكاًكاً، ويعود ثانية ليستغرق في حلم جديد هذه المرة
تكون دمشق هي بطة الحلم وناسها الكرماء ودخان
مواقدهم المعطرة هم دعائم ذلك الحلم العذب، الذي
رافق المتنبّي في خروجه من الشام الى مصر ويغداد
وارجان وشيراز الى النوبندجان الى دير العاقول
قرب النعمانية حيث كانت النهاية:

منازل لم يزل منها خيال
يشيعني الى النوبندجان[١٠]

دمشق التي رفض العودة إليها والاستجابة
لاعتذارات سيف الدولة ورسائله التي لم تنقطع عن
المتنبّي، فكيف نوفق بين الفكرتين الحنين وعدم
العودة؟

إنه الخوف من تشوه الوجه الجميل للحلم،
المثال، الذي اصطنعته مخيلة الشاعر فأضفت عليه
كل ما هو جميل ونقي.

على تقارب الموصوفات

بعضها مع بعض حين

الموازنة، فكيف يكون

الموصوفان متباعدين

مع تقارب وصفيهما؟!

يقول هرقلitus

«لا يمكنك أن تخوض

في الجدول نفسه مرتين لأن مياهها أخرى لا تلبث

تجري من حولك»[ه] فإذا كنت، أنت أنت فإن الماء

ليس الماء، وبمعرفتنا الأكيدة بثقافة المتنبي الواسعة

واطلاعه على ترجمات الكتب اليونانية فليس من

المستبعد أن المتنبي كان مغترفا من معين تلك المقولة

وهو يكتب بيته الأنف الذكر، فشعب بوآن إذا ساوى

جماليا غوطه دمشق فان الناظر إليهما متغير، فليس

متنبي الآن، وقت نظم شعب بوآن، متنبي الأمس

نفسه، متنبي سيف الدولة والأحلام الجميلة السالفة.

لقد وقف طيف دمشق حائلا بين المتنبي وتذوقه

لكل الجمال وكل ما هو بعد دمشق من أناس وأفكار

وحياة.

وقد يكون لهذا البيت تفسير آخر هو: إن شعب

بوآن مشابه بالجمال لدمشق ولكن الشعب في أرض

الغربة هنا يبعدها الجغرافي، ودمشق هناك في

مدينة الأحلام الفاضلة، والفارق لا يقف عند البعد

الجغرافي بل يتجاوزه الى ما أسلفنا من تأسيس

لفكرة المدينة الفاضلة عند المتنبي.

ويتقنع المتنبي بحصانه ليحاكم الذات

وقراراتها الخاطئة بمغادرة دمشق - الجنة، الطم -

الذي ساوره - كما قلنا - بشعب بوآن.

يقول بشعب بوآن حصاني:

أعن هذا يُسار الى الطعان؟!

أبوكم آدم سنّ المعاصي[*]

وعلمكم مفارقة الجنان[ه]

وهو الذي ظل يسوقه حنين دائم الى مدينته

الفاضلة دمشق أو حلب القصد الدائم وكل المدن

الأخرى لا تعدو كونها سبلا مؤدية:

لا أقمنّا على مكان وإن طأ

ب ولا يمكن المكان الرحيل

كلما رحبت بنا الروض قلنا

حلب قصصنا وأنت السبيل

فيك مرعى جياننا والمطايا

واليها وجيفنا والزميل[ه]

وباستمرار الحوار مع الذات التي (تحصّنت)

ينشق جزء جديد من الذات ونكون الآن أمام

الانقسام الثلاثي للذات، الذات القناع المبهورة بجمال

الخمرة. الصححان: موضع قرب دمشق وفي اللغة المكان المتسع.

(*) عجز بيت المتنبي (ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان)

(٣) أبو القاسم الاصفهاني/ الواضع، ص ١٦.
(٤) م.ن، ص ٢٥.

(٥) (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)، سورة يوسف آية/١٠.

(٦) أبو العلاء المعري/ معجز احمد، ٣٣٧:٤.
(٧) م.ن، ٣٣٨:٤.

(٨) م.ن، ٣٣٨: ٤.
(٩) م.ن، ٣٤٠: ٤. تروى الثرد الثرد، الثريد اللبيق: المحسن المزين. يلونجوجي: منسوب الى اليلنجوج: وهو العود الذي يتجر به.

(١٠) أبو العلاء المعري/ معجز احمد، ٣٤١: ٤.
التونيدجان بلدة.

(١١) م.ن، ٥٩٤: ٤. ما لاقني: أي ما حبسني أو ما أعجيني.

(١٢) م.ن، ٥٩٣: ٤. التقريب: ضرب من مسير الفرس، الخبب: السير السريع وعنى بها هاهنا السعاية.

(١٣) م.ن، ٣٤٢: ٤.
(١٤) مجيد محمود مطلب/ تاريخية المعرفة، ص ٣٦.

(*) أبونا آدم - عليه السلام - لم يسُنْ معصية يُسار عليها من بعده، بل هو خطأ ساقط إلية طبيعة البشرية فيه، فاستغفر وتاب، من لحظته وتاب الله عليه.

(١٥) أبو العلاء المعري/ معجز احمد، ٣٤٢: ٤.
(١٦) م.ن، ٥٨٤: ٤. الوجيف والتميل: كلاما سير سريع.

(١٧) التوحيدي/ الاشارات، ص ١١٤.

الشعب المتمسكة بالجمال العرضي، والذات الماضي، استذكار المغادرة من حلب، والذات الحاضرة نتاج الخيبات التي قادت الى العدمية (النهلسية) فلم يعد هناك ما يخاف عليه أو يرتجي، والتي تخلص بها بانتقاله، صحا بها من كل تلك الأحلام والمحاكمات مع شطري الذات السالفين الى مدح عضد الدولة.

لقد قهر المتنبي اغترابه مرتين في هذه المرحلة مرة عندما كان التعويض بصورة مثال غائب في المواجهة مع الآخر (كافور، بغداد) والمرة الأخرى عندما كان التعويض بالمدينة الفاضلة في المواجهة مع كل المدن القديمة والحاضرة المواجهة، حيث تكون كل المدن مدنا مغتربا عنها فيستوطن هذه الغربة ملتذا بها:

هكذا كنت في أهلي وفي وطني

إن النغيس غريب حيثما كانا

وهو بالضد من غربة الآخر الذي ظل غريبا في غربته عندما يقول أن «الغريب من هو في غربته غريب» [١٧].

الهوامش:

(١) أبو العلاء المعري/ معجز احمد، ٣٢٤: ٤.
٣٣٦. المحيا: الوجه.

(٢) م.ن، ٣٢٧:٤، ٣٢٨. حمص، وختاصرة: موضعان في الشام، منشأها: موطن النشأة. الجميا:



أبو القاسم الشابي

أبو القاسم الشابي

١٩٠٩ - ١٩٣٤ م

في التاسع من شهر أكتوبر ١٩٣٤م مات أبو القاسم الشابي، بعد ربع قرن عاشه بالعرض خلف فيه من الآثار الأدبية شعرا ونثرا أكبر من هذا العمر القصير، ولقي فيه من الاهتمام الشيء الكثير.

طبقت شهرة أبي القاسم الشابي الأفاق رغم أنه لم يعيش سوى خمسة وعشرين عاما، فقد مات في مثل السن التي مات فيها الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد صاحب المعلقة التي مطلعها:

لخولة أطلال ببرقة تهمد

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ذلك الشاعر الذي قال فيه بديع الزمان الهمذاني على لسان بطل المقامة القريضية: (هو ماء الأشعار وطنيتها، وكنز القوافي ومدينيتها، مات ولم تظهر أسرار دفائنه، ولم تفتح أغلاق خزائنه) [١].

هذان الشاعران كانا سواء في النبوغ المبكر،

ولكن طرفة لم يترك من الشعر إلا ديوانا صغيرا دون مستوى شهرته وشاعريته ولم يترك نثرا فهو كبقية الشعراء الجاهليين.

أما أبو القاسم الشابي فقد ترك شعرا كثيرا بالنسبة لقصر حياته وقد نشر بعضه في الجرائد والمجلات... وفي الجزء الأول من كتاب (الأدب التونسي في القرن الرابع عشر) لزين العابدين السنوسي. (وقد كانت تونس قبل الاستقلال تستعمل التاريخ الهجري خوفا من الذوبان في الإستعمار) وقد صدر الجزء الأول من هذا الكتاب سنة ١٩٢٤هـ / ١٩٢٧م وفيه ظهر شعر الشابي مع شعر اثني عشر شاعرا، وتراجهمهم، ثم ظهر الجزء الثاني في السنة الموالية وقد ضم هو الآخر شعر ثلاثة عشر شاعرا مع تراجهمهم. وكان أبو القاسم آنذاك في الثامنة عشرة من عمره، ثم زادت شهرته عندما



بقلم : د. نور الدين صمود

- تونس -

التي سانشرها فيه، وأجمع تواريخها لأرتبها على حسبها، وإن قسما كبيرا مما نشر لي لا أريد نشره لأنني أراه لا أهمية له، إما في روحه أو أسلوبه، ولأنني أرى فيه سذاجة كسذاجة الأطفال، أبتسم الآن وأعجب لنفسني كيف سولت لي نشره في حينه، ولكن هي الأيام).

وقد أضاف شقيقه، الأستاذ المبرز المرحوم محمد الأمين الشابي (ثاني وزير للتربية بعد الاستقلال ومقدم ديوانه) ثماني قصائد من الشعر الذي لم يضمه الشابي إلى ديوانه، وإثر صدور الطبعة الثانية منه: (الأولى في تونس) سنة ١٩٦٦م

اتصل بمجلة (أبولو) وبأسرتها وعُرف شعره في بلاد المشرق، وقد أعد ديوانه ولكنه لم ينشر إلا بعد وفاته بأربعة وعشرين عاما سنة ١٩٥٥م وقد ظهر على الصورة التي وضعها الشاعر قبل وفاته بحوالي سنة واختار له عنوان (أغاني الحياة) وكان ينوي إرساله إلى أحمد زكي أبي شادي صاحب مجلة أبولو لطبع في القاهرة مع مقدمة يكتبها أبو شادي كما فعل هو معه، فقد طلب منه أن يكتب له مقدمة ديوانه (الينبوع). ومن الطريف أنه طبع في القاهرة في السنة التي توفي فيها أبو شادي ١٩٥٥م بعد مهجره إلى نيويورك وعمله بإذاعتها.

وقد حرص الشابي على حذف ما رآه دون المستوى من شعره، فقد أرسل إلى صديقه محمد الطيوي من مدينة (توزر) من بلاد الجريد، بالجنوب التونسي، وهي مسقط رأسه، رسالة بتاريخ ١٩/١٢/١٩٣٣م أي قبل وفاته بأقل من سنة، يحدثه فيها عن انشغاله بإعداد الديوان للنشر يقول له فيها: (أما الآن فأني أكتب القصائد

أغاني الحياة

ديوان شعر أبي القاسم الشابي
مع ملاحظة رسوم برنيس لطفاً عالمي

الطبعة الأولى

مطبع طبع والنشر
دار الكتب المشرقية

جميع الحقوق محفوظة



- « فقد اصحنا نطاب حبيبة »
- « دوية مفرقة ملأها هسوزم »
- « وقشاش ومن نطاب الحليكة »
- « فابعد عاده في في قفلا الحليكة »
- « أما من يرد أسه وينس جده »
- « هو من أتاه الموت وأساءه »
- « كدور الباعرة »

مقدمة (الخبير) برنيس
(أبو القاسم الشابي)
١٣٤٧ هـ

غلاف كتاب الخيال الشعري

غلاف الديوان

كتبَ مقالا نقديا أرشدت فيه الدار التي نشرته الى أماكن وجود إحدى عشرة قصيدة لم تضمها الطبعتان السابقتان، فأضافتها الى الطبعة الثالثة الصادرة سنة ١٩٧٠، ثم توالى طبعات الديوان على ذلك الشكل الى أن صدرت (الأعمال الكاملة) في خمسينية الشابي سنة ١٩٨٤. وظلت الطبعة الأولى تصدر في القاهرة باستمرار باسم الطبعة الأولى وتحمل تاريخ ١٩٥٥م الى الآن.

وهذا العمل يقلل من قيمة هذا الشاعر إذ يوحي بأن ديوانه لم يطبع إلا مرة واحدة رغم أنه خدمه ونشر شعره مشرقا ومغربا. كما نشرت دار العودة ببغروت الديوان سنة ١٩٧٢م مع نماذج لم تنشر من قبل وقد أشارت الدار الى أنني زودتها بها (من ص ٣٧ الى ص ٥٤٧).

وإثر انقضاء الأجل القانوني لسقوط حقوق التأليف سنة ١٩٨٤ في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاة المؤلف عمدت العديد من دور النشر بتونس وخارجها الى نشره في طبعات متفاوتة القيمة والشكل [٢].

وقد قامت مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين بالعمل على جمع آثاره شعرا ونثرا مع الوثائق المتعلقة به ويأبى ونشرتها في ستة مجلدات فخمة، وقد ضم المجلد الأول ديوانه (أغاني الحياة) [٣] و(الخيال الشعري عند العرب) وهي محاضرة كان ألقاها الشابي في قاعة الإخلدونية سنة ١٩٢٨م ثم نشرها في السنة الموالية ضمن كتاب،

وكان آنذاك في التاسعة عشرة من عمره، ونشرت في نفس الجزء (مذكرات الشابي) وهي من أول سنة ١٩٢٠ الى السادس من الشهر الثاني. كما ضمت الأجزاء الأخرى: (رسائل الشابي) ومحاضرة نشرت لأول مرة بعنوان: (شعراء المغرب الأقصى) وكلمات متفرقة عن (عيد الهجرة النبوية) و(اليقظة الإسلامية) و(روح ثائرة) و(مقالات وخواطر أدبية عن يقظة الإحساس وأثره في الفرد والجماعة) و(الشعر ١٠٠) و(الشعر والشاعر عندنا) و(الفنون والنفس العربية) و(مات جبران).

كما ضمت ردُّ الشابي على نقد «مختار الوكيل» لكتاب (الخيال الشعري عند العرب) مع نقد ذلك الناقد، وقد نشر المقالين أولا في مجلة أبولو خلال سنة ١٩٣٢، كما ضم المجلد مقال (لصوعية الشعر) و(صفحات دامية من حياة شاعر) ونماذج من شعره المنشور الذي نشر بعضه في حياته. كما اشتمل على (رسائل الشابي) التي تبادلها مع بعض أصدقائه من تونس والمشرق العربي وخاصة مع محمد الحليوي ومحمد البشروش مع مواقف أدبية أخرى.

والملاحظ أن الشابي كان يؤرخ قصائده بالتاريخ الهجري، وقد ظهرت القصائد خالية من التأريخ في الطبعة الأولى من ديوانه، ثم ظهرت مؤرخة بالتاريخين: الهجري والميلادي، وأنكر أن الشاعر القاضي الراحل محمود الباجي هو الذي قام بمقارنة التاريخين، وهو صديق الشابي الذي

إرادة الحب

أما الشعب يوماً أراد الحياة
ولا بد للبل أن ينجس
ولا بد للبل أن ينجس
ولا بد للبل أن ينجس
ولا بد للبل أن ينجس
ولا بد للبل أن ينجس
ولا بد للبل أن ينجس
ولا بد للبل أن ينجس

ودعت الزين بن الفجاج
وإذا ما لمحت له غاب
وإذا ما لمحت له غاب
وإذا ما لمحت له غاب
وإذا ما لمحت له غاب
وإذا ما لمحت له غاب
وإذا ما لمحت له غاب
وإذا ما لمحت له غاب

أبرار في السنين

صفحة غط المؤلف من أثنى الحياة .

نموذج من خط الشابي

وقد نشرها في كتاب زين العابدين السنوسي، ولم يضع القصيدة الأولى في ما اختاره لديوانه ولكن شقيقه أضاف الثانية الى الديوان ثم أضيفت الأولى الى الطبعة الثالثة، وقد حذفت القصيدة الأولى من الطبعة التي أعدتها مؤسسة الباطين لأنها دون مستوى شعره، وهذه هي قصيدة (أيها الحب): (الخفيف).

أيها الحب أنت سرُّ بلادي

وهمومي وروعتي وعنائتي

وَنُحولي وألمعي وعذابتي

وسقامي ولوعتي وشقائتي

رشحه للقيام بكتابة مقدمته، وقد قمت بمراجعة تلك التواريخ بواسطة الكمبيوتر فلاحظت أنها تتقدم بيوم عما هي عليه في الديوان المطبوع.

لقد كان الشابي شاعراً نابغة منذ صغره وقد ظهرت عليه علامات التبوغ في مطلع شبابه، وأقدم ما كتبه من شعر قصيدة على مجزوء الخفيف بعنوان (الغزال الفاتن) يقول في أولها على مجزوء الخفيف:

بذر الحب بذر

في فؤادي فلو

بالحفاظ فلو

فجنى حظي الشقا

وسمى فيه مهره

عادياً، ثم أعنف

و(أعنف) بمعنى سار عنقاً وهو نوع سريع من المشي، وفيه قال الشاعر القديم مَرَحْماً الناقة في النداء: سليمان في البيت هو سليمان بن عبد الملك:

يا ناق سيري عنقا فسيها

الى سليمان فنستريحها

وهذه القصيدة للشابي مكتوبة بتاريخ ٧ رجب ١٢٤١هـ - ١٩٢٣/٢/٢٣م أي عندما كان في الرابعة عشرة من عمره، ومن شعره الذي كتبه في صباه قصيدة بعنوان (أيها الحب) وهي على (الخفيف) كتبها بتاريخ ٣٠ ذو الحجة ١٢٤٢هـ - ١٩٢٤/٧/٣١م وهو في الخامسة عشرة من عمره

إله الخائب

معلوب.. موب المسد لى حائل
وسبح لغاية الأخرى ألم شئ أهم
وفي صعب السبب السبب ربح
لينة لها شئ المورث ونسب
وليلة الحى القصوره لها صده
ود منه الحى القصوره لها فم
إذا لنت حول الحى قورم فالت
بهم من أحد القه النهان وبهم

لكنه الولد ^{بالعشق} ~~بالعشق~~ الخالم من فم
إذا لنت السبب السبب ونسبهم
إذا حلقم السبب ونسبهم
وهموا! ^{بالعشق} ~~بالعشق~~ الخالم من فم
وهموا! ^{بالعشق} ~~بالعشق~~ الخالم من فم
إذا لنت السبب السبب ونسبهم
وهموا! ^{بالعشق} ~~بالعشق~~ الخالم من فم
إذا لنت السبب السبب ونسبهم
وهموا! ^{بالعشق} ~~بالعشق~~ الخالم من فم

منه بعد التمام
أبو (س) (س) في

نموذج من خط الشابي

أيها الحب أنت سرٌ وجودي

وحياتي وعزتي وإبائي

وشعاعي ما بين يمجور دهرى

وألبي وأُرتي ورجائي

ياسلاف الفؤاد يا سَمٌ نفسي

في حياتي، يا شديتي، يا رخائي

ألهيبٌ يشورُ في روضة النفس

س، فيطغى؟ أم أنت نورُ السماء

أيها الحب قد جرعتُ بك المز

ن كؤوسا، وما اقتصتُ ابتغائي

فبحق الجمال يا أيها الد

سب، حنانيك بي، وهونٌ بلائي

ليت شعري يا أيها الحب قل لي

من ظلام خلقت أم من ضياء

والملاحظ أنه حذف من هذه القصيدة بيتين كانا

في كتاب السنوسي هكذا في آخرها:

ليت شعري بقّة القلب قل لي

من ظلام خلقت أم من ضياء

أثرى أنت جنّة أم جـمـيمٌ

لست أدري بل أنت كالكهرباء

هذان نموذجان من شعره المبكر الذي لم يرض

عنه، بدليل أنه حذفهما مما اختاره من شعره للنشر،

ولوشننا إنصافه لاخترنا من شعره كثيرا من

النماذج الجيدة التي تعطي صورة حسنة تليق

بُسمعته الشعرية مثل قصائد: الأبد الصغير، (ويعني

به القلب) والنبي المجهول، وصلوات في هيكَل الحب،

والجنة الضائعة، وإرادة الحياة، وإلى الشعب، ونشيد

الجبار، وفلسفة الثعبان المقدس، والغاب.. وقصائد

أخرى بعضها طويل وبعضها قصير، وربما أذهب

الى حذف بعض أبيات من القصائد المختارة السابقة

ففيها كثير من التكرار وما يشبه التكرار كالعطف

الذي لا يضيف شيئا شعريا ذا بال مما يقلل من

قيمة شعره ويفقده القيمة الفنية، فقد كان الشابي

يكرر بعض الكلمات والتعابير ويبالغ في ذكر

المتعاطفات التي ليس بينها سوى حرف العطف، وقد

عاب هو نفسه ذلك في شعره، في إحدى رسائله الى

الحياة) نداء للثورة على النخيل والسير في سبل
النهضة والرقي وترك الخمول والخمود، وقد لقي
شعره أذاناً صاغية من المشاركة والمغاربة فكان
شعره صوت الحياة الحق، خاصة وأن هذا الشاعر
قد وجد منبراً كبيراً له رواده في كافة أنحاء العالم
العربي متمثلاً في مجلة أبولو التي كانت رئاستها
الشرفية لشوقي ثم انتقلت إلى خليل مطران بعد وفاة
شوقي سنة ١٩٢٢م.

وقد كانت أشعار الشابي التي نشرت بتونس،
والتي نشرت في مجلة أبولو بالقاهرة سبباً في
شهرة الشعرية، وظل القراء يطالبون بنشر ديوانه،
ويتحدثون عن مصير أعماله الأدبية، وبيباغون في
تقدير كمياتها وشكلها ومضمونها وأجناسها: شعراً
ونثراً ومسرحية وأقصوصة... الخ. وقد أثار كل ذلك
جدلاً بين المثقفين والنقاد منذ وفاته، أي قبل صدور
«الأعمال الكاملة» للشابي وقبل أن تنشر مؤسسة
جائزة البابطين «أعماله الكاملة» في ثلاثة مجلدات
مع ثلاثة أخرى اشتملت على مصادر ما كتب عنه،
وما نشر من آثاره، أما الآن فقد نشرت كل آثاره،
ولم يبق منها شيء في طي الكتمان.

لقد رفع الشابي اسم تونس عالياً في عالم
الشعر، وغنى أناشيد الحياة والظود وأصبح لدى
المثقفين رمزاً للشعر والشعراء، وصاحب مدرسة
أثرت في مختلف شعراء الجيل، واعترف له البعض
بهذا التأثير في بداياته، وأنكر البعض ذلك التأثير
رغم وضوحه في شعره، وهذا يحتاج إلى دراسة
تعتمد الحجج والشواهد.

صديقه الحليوي عند حديثه عن قصيدته (قلب
الشاعر) التي يقول فيها: (الرملة):

كل ما هب، وما دب، وما
نام، أوحام على هذا الوجود
من طيور، وزهور، وشذى،
وينابيع وأغصان تميز
ويحار، وكهوف، وذرى،
ويراكين، وديان، وييد
وضياء، وظلال، ونجى،
وفصول، وغيوم، ورعود
وثلوج، وضباب عاجز،
وأعاصير، وأمطار تجود
وتعالييم، وبين، ورؤى،
وأحاسيس، وصمت، ونشيد
كلها تحيا بقلبي حرة
غضة السحر كاطفال الخلود

ثم نجد ستة أبيات بعدها تبدأ جميعاً بقوله:
(ها هنا) وهذا قد يكون من التكرار الفني الذي يلجأ
إليه الشعراء منذ المهلهل في رثاء أخيه كليب إلى
كثير من شعراء هذا العصر.

لقد بدأت شهرة أبي القاسم الشابي في أيام
الاستعمار الذي كان موضوعاً هاماً للابداع وكان
الشابي صوتاً من أصوات التحرير والناداة
بالاستقلال والثورة على الظالم المستبد حبيب
الظلام، عدو الحياة، لذلك كانت قصيدته (إرادة



في سنة ١٩٤٧م كنت خارجا بعد الغروب من دار الكتب المصرية بدار الخلق بعد جولة علمية قضيتها في مراجعة بعض الجرائد التي تحدثت عن الشاعر البدوي الكبير الأستاذ محمد عبد المطلب عقب وفاته، حيث كنت بصدد كتابة بحث عنه، إذ عزَّ عليَّ أن يسكت الكاتبون عن تحليل شعره، وكأنه لم

يكن ملء السمع والبصر في زمانه، وكان الذي دفعني الى ذلك الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلتي الزهراء والفتح، فقد أثنى عليه متحدثاً و كاتباً بأحسن ما يقول كاتب عن شاعر، أجل خرجت بعد الغروب والمطر ينهمر، والناس يجرون هنا وهناك يتلمسون مكانا غير ممطر، فتوجهت الى كازينو باب الخلق، وكثيرا ما كان موضع استراحتي لجمال مظهره، وإحاطته بسياج زجاجي تنعكس عليه الأضواء، وما كدت أجلس ومعي ديوان الشاعر عبد المطلب أقلب صفحاته، حتى رأيت جاري الذي لا أعرفه ينظر الى الديوان، وكأنه يريد أن يعلم أي كتاب هو؟ فابتسمت وقلت: هو ديوان عبد المطلب! فطلع ناظرا اليّ وقال: وماذا ستجد في ديوان عبد المطلب! وكأنه فاجأني بسؤال لا أتوقعه؟ فقلت: من أنت يا سيدي؟ فقد أكون في حاجة الى معرفتك، فقال: أنا كامل كيلاني!!

فذهضت واقفا أسلم عليه، ثم أسرعت أقول: ما دمت الأستاذ الكبير كامل كيلاني فأننا أعلم أنك لا ترضى عن شعر عبد المطلب، وهذا ما يحيرني فإنك أديب ناقد وأنت صاحب أبي العلاء وابن الرومي وابن

الأستاذ كامل كيلاني رائد مكتبة الأطفال



بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

طه

حسين

ليس

مفرورا

كالمقاد

اني

لم

أفند

مكاني

أبدأ

بسبب

الحقد

والحد

والفيرة

العقاد! وقال: كلكم
تُعجبون بالعقاد،
وتحفظون آراءه، وكأنها
كتابٌ منزل، وأنا لا أراه
أكثر من محرد في
صحيفة!

فوجئت مرة ثانية
بانتقاص العقاد، فقلت
في ابتسام، أنا طالب يا
سيدي بكلية اللغة
العربية، لم أبلغ مرتبة
أستاذ كبير مثلك، ولكني
أعرف أنك تقدّر العقاد
حق قدره، لأنه هو الذي
كتب مقدمة ديوان ابن
الرومي الذي أشرفت
على جمع بعض قصائده
في سفر حافل، وما
أحلت هذا المحل، وأثرته
بتقديم الديوان إلا لأنك
تعلم موقعه الجهير في

زيدون نشرت آدابهم، وتحديث عنهم بأبلغ ما يقال.
فمد الرجل يده يصافحني وقد اتلق وجهه، ثم
قال في ابتسام: ومن أدراك أنني لا أرضى عن شعر
عبد المطلب وما أعرف أنني كتبتُ بحثاً عنه! إنما
تحدثت بذلك في مجالسي، وكانت لي وقفات نقدية
مع صديقي الشاعر الكبير محمد الراوي بشأنه،
حيث كان عبد المطلب أعز صديق لديه، وهو الذي
جمع ديوانه بعد وفاته وقد انضم الشيخ أحمد الزين
إلى الراوي، وللزين لسان حاد لا أستطيع الثبات
أمامه، وبقي أن أكرر السؤال كيف عرفت إعراضي
عن شعر عبد المطلب.

قلت ياسيدي: لقد نسيت أنت ما كتبه بشأنه في
شرح رسالة الغفران، وإن لم تصرح باسمه حيث
قلت عنه إنه أحد المعتمدين الذين يتعاطون النظم،
فزعمت - هكذا قلت - إنه وصف الطائفة مقلداً ليقال
إنه مجدد، بدل أن يصف الناقاة، وهذا عين ما قاله
الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (شعراء
مصر في الجيل الماضي) ولكن العقاد ساق القول في
لهجة الود والإخلاص، وسقته أنت في سياق الزاوية
والاستخفاف، وما كان لك أن تفعل!

تغير وجه الأستاذ كامل حين ذكرت اسم

**** طه حسين
أنسى عليّ
كثيراً ..
والعقاد لولا
لوم القارئ
لم يكتب
شيئاً عني .**

**** نشرات
مقدمة العقاد
ورغم مسند
رضاي عنها .**

**** كتاب
(نقيب
الأدباء)
جمعه
الكيلائي
بنفسه وعلى
نفقته وعزاه
الى الاستاذ
صادق عنبر .**

دنيا البحث الأدبي
والإبداع الشعري!
أغمض الرجل
عينيه، قليلاً، ثم نظر
يقول في استرسال: إذا
كنت طالبا نابهاً فاسمع
يا بني! لقد أثرت العقاد
بكتابة مقدمة الديوان
راجياً أن يتحدث عما
بذلك من جهد في جمع
الديوان، واختيار أحسن
قصائد الشاعر من
مخطوطات متاكلة،
وأوراق مخزومة كابدت
الغصص في
استكمالها، حتى
استوى النظم على
أحسن وجوه، انتظرت
أن يشير إلى العناء
الشديد الذي قاسيته،
وأن يقدره حق قدره
ولكنه صرف الحديث
إلى شعر ابن الرومي
وحده فأعاد ما كرره في
مقالات سابقة،

واستشهد بما أسلف الاستشهاد به من آثاره، وأطال
القول إطالة قد تنفخ القارئ، ولكنها أهملت صنيع
الناشر المحقق الذي تعب في القراءة والاختيار
والطبع والتعليق، فلم يذكره إلا بعد أن انتهى من
القول، ذكره في عدة سطور لا تقدم ولا تؤخر، ولولا
أنه استحيا أن يتجاهل ما قمت به، في مقدمة ديوان
أنا الذي جمعته وحققته، لولا أنه استحيا أو خشي
لوم القارئ ما كتب شيئاً!! فما نقول في ذلك؟
قلت في سذاجة: إذا لم ترض عن المقدمة، فكيف
قبلت أن تنصدر الديوان؟!
قال بعد مسهلة: أنت لا تعرف العقاد، كان
سيثيرها حرباً عليّ، وله تلاميذ مأجورون يعبرون عن
آرائه في جرأة، وعنده جرائد تخضع لمشيئته فتتشر
ما يحب أن ينشر فكيف أجابه الطوفان، على أنى لم
أسلم من شره فقد كان ينتقصني في مجالسه! ولما
ضاق بي الأمر كتبت كلمة في نقد إحدى مقالاته،
وجعلت التوقيع (ك.ك) أي كامل كيلاني، ولم يرد
بشيء، ولكنه في مجلسه الأسبوعي قال متضحاً
لجلسائه أترون من هو (ك.ك) إنه (ككب بن كلب)
قال ذلك ليبلغني القول، وقد أتاني أسرع من البرق!
وهنا لم أستطع صبراً، فكتبت محاضرة
ألقيتها في رابطة الأدب الجديد التي كنت سكرتيراً
لها، تحت عناوين (موازن النقد الأدبي) وهاجمت
شعره ونشره دون أن أذكر اسمه، ثم أشار عليّ
السامعون أن أطبعها فقدمتها للقراء في ديسمبر

أهملتُ بعض عبارات صعبة من رسالة الغفران لم أر
أن أُصدم بها القراء، كما عاتبني على قسوتي
الشديدة في كتاب (صور جديدة من الأدب العربي)
على الكسائي والهمزاني وغيرهما، وهو عتابٌ
صافٍ موضع الارتياح من نفسي، طه ليس مغرورا
كالعقاد! طه هو الأستاذ الأول في مجال النقد
الأدبي؛ وهذا ما يؤرق العقاد ويضنيه.

سمعتُ هذا الكلام ولم أشأ أن أعلق عليه، لأن
هواي مع العقاد فقد انتفعتُ بآثاره أكبر انتفاع، ولا
أدري لماذا شملني شعور هاديء بحب الأستاذ كامل
وتقدير مشاعره، فاندفعتُ أشيد بمؤلفاته، وأعدّ ما
أعرف عنها في إعجاب، وأنا صادق في ذلك،
فللأستاذ آثار طيبة ممتازة في أكثر من مجال، له
آثار في التاريخ والأدب والتربية والنقد ونظم الشعر،
وهو فوق ذلك كله - رائد أدب الأطفال -، وقد أنشأ
مكتبة للطفل الصغير والطفل الناشئ تحوى أكثر
من مائة كتاب في أحسن ما عرف من التأليف
والطبع والإخراج، مع الرسوم الكاشفة، والأسئلة
الموضحة! وله مقالات في الهلال والرسالة والمقتطف
تحفظ له مكانة في الصف الأول بين الأدباء! ذكرتُ
ذلك للأستاذ فانشرح صدره، وبان أثر ذلك على
وجهه، وانبسط في كلام كان موضع الغرابة لدي؛
فماذا قال!

كان المطر قد عاود هطوله، وامتعت السير حتى

١٩٣٢م، وكتبتُ في صفحة العنوان أن ثمنها عشرة
مليمات، مع أني وزعتها مجانا على مئات القراء! لقد
فضحت (هكذا قال) العقاد بما لم يستطع الرد عليه
بنفسه، ولكنّ الذبول قد نيجوني في البلاغ والجهاد،
وهذا لا يهمني لأنني هاجمت الأسد في عرينه!!

قلت لم أقرأ المحاضرة التي تحدثت عنها، فقال
إذا كانت لدي نسخ منها فسأرسل لك نسخة على
عنوانك بالكلية فاكثبه لي، وقد صدق وعده وأرسل
المحاضرة بعد أيام! وقرأتها فوجدت الهجوم
الصارخ على العقاد، دون أن يذكر اسمه، وجدت ما
قاله صحيحا لا تزيد فيه!

سكتُ لم أتكمم ولكن الأستاذ طلب الشاي مرة
أخرى لنفسه، وطلب لي معه، ويذا عليه استعداد
للقول الذي يرقّه به عن نفسه، وكأنه وجد صديقا
يفضي إليه بذات صدره، وهذا ما سرني كثيرا، إذ
تمتعت بحديث أديب كبير له منزلته الأدبية الذائعة،
وما كان ذلك متوقعا من قبل!

قال الأستاذ: فرق ما بين العقاد وما بين الدكتور
طه حسين فرق ما بين السماء والأرض، لقد احتفل
الدكتور طه لمؤلفاتي، وأثنى عليّ كثيرا، وكتب
مقدمتين رائعتين لأثرين من أثارتي، كتب مقدمة حافلة
لرسالة الغفران ومقدمة أخرى ممتازة لكتابي (صور
جديدة من الأدب العربي) نعم انه نقبني نقداً
مخلصا في بعض ما كتب ولكن بعد أن قدّم بثناء
حافل، وكان النقد هيّنا ليّنا، فقد اعتذر لي حين

الكبير ووزير الخارجية السوري من قبل. كلمة ممتازة نشرت تحت عنوان (مكتبة الأطفال والوحدة العربية، قال ذلك في سنة ١٩٣٤م قبل أن يشيع الحديث عن الوحدة العربية بأكثر من عشر سنوات، وكان من معانيها (أن اللغة العربية تخلق تفكيراً مشتركاً بين أبنائها جميعاً من المحيط إلى الخليج. وإذا نشأ جيل يهيم باللغة العربية ويعشقها فقد تمهد السبيل إلى قيام الوحدة العربية. وهذا ما حرص عليه الأستاذ كامل كيلاني حين نشر مكتبة الأطفال فذاعت في العالم العربي، وجمعت أطفال اليوم ورجال الغد على كلمة واحدة وشعور واحد، وهذا عمل ممتاز قام به واحد ذو فضل جدير، هو الأستاذ كامل كيلاني) ١.

قلت ذلك وحمدت الله أن تذكرته فرحب الرجل بمعرفتي ترحيباً حاراً، وقال إنه لم يكن ليتصور أن أبناء الأزهر يعرفون كل ذلك عنه، وبدأ عليه من السرور المبتهج ما أتجج صدري حقاً، إذ اعتقدت أنني غيرت تفكير الأديب الكبير من وضع إلى وضع! وأنه سيحلني منزلة من نفسه أطمح إليها، وقد انقطع المطر، فخرج كلانا لسبيله وكانت جلسة لا أنساها! على أنني عرفت فيما بعد وبعد مضي أكثر من عشر سنوات أن الأستاذ كامل لم يفارقه شعور التقصير نحوه، وأنه ظل يشكو كثيراً من هذه الناحية المتوهمة، عرفت ذلك حين انتقل الرجل الكبير إلى جوار ربه وأفاضت الصحف في تعديد محاسنه

يهدأ، فاضطررنا إلى المقام طويلاً بالكازينو، وكان هذا من حظي، لأن الأديب الكبير - وقد جالسته لأول مرة وآخرها للأسف - قد امتد بالحديث إلى شجون مختلفة في الأدب والسياسة والاجتماع وأنا منصت لكل ما يقول، وأتمنى لو سجلته بمسجل، إذ عرفت ما لم أعرف مما يدور خلف الكواليس عن المشاهير الكبار، ثم انعطفت بالحديث عن نفسه، فأدهشني أنه غير راض عن وضعه في مصر، وأن من يعتبرون من تلاميذه قد نالوا أرقى الوظائف، وتصدروا أمهات الصحف، وسبيل ذلك في أكثره يرجع إلى الملقب الكاذب لا إلى المواهب الدافقة. - أفاض الأستاذ في ذلك كثيراً حتى عجبته له، إذ كان ظني غير ذلك تماماً، فالرجل معترف بمنزلته الكبيرة، وريادته الأولى في تربية الأطفال، ويكتبه التي تذيع وتنتشر على أوسع نطاق، أدهشني ذلك فقلت له في هدوء جم، يا سيدي أنا أعلم أن حفلة كبرى أقيمت لتكريمك بقاعة يورت التذكارية حضرها زعماء الفكر في مصر والعالم العربي، وقد قيل فيها على ألسنة الكبار ما لا يدع مجالاً للشك في مكانتك الرفيعة، وكنت قرأت ما قيل في هذا الاحتفال مجموعاً في كتاب تحت عنوان (نقيب الأدباء كامل كيلاني) وقيل إنه من تأليف الأديب الكبير الأستاذ محمد صادق غير حيث سجل ذلك على الغلاف! قرأت هذا الكتاب فرأيت من أكايل الثناء ما يضفر فوق هامة الرجل، وقد قال الدكتور عبد الرحمن شهبندر المفكر السوري

العربي بأجمعه على أوسع نطاق وقامت دار المعارف وهي من كبريات دور النشر بترويجها وإتقان طباعتها مما جعل المؤلف يحتل مكان الصدارة في بابها؛ وأي تقدير بعد هذا! إن تقدير الدولة محاط بالشبهات لأنه قد لا يصادف موضعه وقد يتخطى الأصل إلى الدخيل، فليس المهم هو التقدير الرسمي ولكن التقدير الشعبي، وهذا ما تحقق للكاتب الكبير، ولو فهم ذلك جيداً لاستراح!

وكنت قابلت أخي الأستاذ الكبير محمد شوقي أمين - رحمه الله - وهو صهر الأديب الكبير الأستاذ محمد صادق عنبر، فسأته عن كتاب «نقيب الأدباء» الذي نُسب إليه تأليفه، وكامل كيلاي على فضله من تلاميذ صادق عنبر لا من قرنائه ومن المستغرب أن يقوم أستاذه بإعداد الكتاب، فقال الأستاذ شوقي، إن الأستاذ صادق عنبر ألقى كلمة في حفل التكريم، وهذا كل ما قام به، فجمع الأستاذ كامل كل ما قيل، وأضاف إليه بعض ما نشرته الصحف، ونشر ذلك في كتاب خاص على نفقته الخاصة تحت عنوان خطير هو نقيب الأدباء، وعزاه إلى الأستاذ صادق عنبر، وقد تأثر بعض الشيء حين فوجيء بذلك ولكنه دائماً عفوّ متسامح! هذا ما قاله الأستاذ شوقي، وما أعتبره حقيقة واقعة إذ كيف يكتب على الصدر اسم مؤلف جهير ليس له غير كلمة واحدة، وهو وغيره من المتكلمين بمنزلة سواء! رحم الله الجميع.

التي لا تنكر، فأشار بعض الكاتبين إلى ما عناه من جحود متوهم، وأذكر أن جريدة الجمهورية خرجت علينا بربثاء حار كتب بتاريخ ١١/١٠/١٩٥٩م بقلم الأستاذ اسماعيل الجرول بدأه بذكر حديث أسف جرى بينه وبين الراحل الكريم قبل تشييعه بأيام. وقد وصف الأستاذ الجرول حالة الرجل الجسمية والنفسية بما أثار الدموع وألهب المشاعر، وكان مما سجله على لسان الكاتب الكبير في ساعاته الأخيرة قوله الحزين:

«إنني أريد أن أقرر حقيقة كبيرة، هي أنني لم أأخذ مكاناً أبداً، الحقد والحسد والغيرة أكلت كل المحاولات التي بذلت لأجلس على المقعد الصحيح، واقف في المكان المناسب، ولكني غفرت لكل الذين أساءوا إليّ، ووقفوا في سبيلي، غفرت لهم وعفوت عنهم، لقد كتبت الكثير مما أعجز رجال الفكر فاعترفوا به، وكنت أول واضع لمكتبة الأطفال، وهائذا أموت، ولم أنل كلمة تقدير واحدة، لم أنل جائزة، ولم أقبض مليماً واحداً مكافأة لي طول حياتي».

إن ما قاله الأستاذ الجرول جعلني أعتقد أن سرور الأستاذ بحديثي كان سروراً وقتياً، وأن شعوره بالتقصير نحوه كان يتغلغل في أعماقه، وهو شعور موهوم لأنه كان يعيش في بسطة من العيش من جراء كتبه الكثيرة التي طبعت مراراً لتشغل أيدي طلاب المدارس الثانوية وتلاميذ المدارس الابتدائية وقد تكررت طباعتها، وانتشرت في العالم



احذر مفاجآت الطريق



الالتزام
بالتعليمات أمان
لك ولأسرتك
والمجتمع
فاحرص على اتباعها

مع تحيات **دار الثقافة** مجلة العرب الأدبية

تصدر عن دار المنهل للنسابة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥ ت ٦٤٣١١٣٤ فاكس ٦٤٣٨٨٥٢

مجلة

المنهاج

العدد
(١٣٣)



مرسى مطروح وحكايات الماضي والحاضر



كوستاريكا.. المتحف الطبيعي المفتوح



في البلدان والعصران في التبة الية
والأعراق في ثقافتيه وحجوه
المنارة، السالديس قريه
الملكه وبرسه الملكه



مطروح .. مرسى المهدوء والحكايات أرض المعارك والبطولات

أعددت العدة لأغادر القاهرة، والجو فيها حار جدا، لأزور هذا البلد الجميل، قلبت في أوراق احتفظ بها حوله .. وجهزت الكاميرا .. وأوراقى وذكريات كثيرة جمعتها من زيارات سابقة .. وها هي «النهل» .. وأنا في اتجاه مرسى مطروح .. شاطئ الراحة ومرسى الحكايات والبطولات والتاريخ .. الحرف التقليدية والعادات والتقاليد البدوية الصحراوية .. حيوانات وطيور .. نباتات وزراعات .. شواطئ ومتاحف .. معابد ومقابر .. أسواق وأندية .. وأشياء أخرى كثيرة تحكيها سطورنا التالية .. ورحلتنا عبر مدن وقرى مطروح، وخاصة سيوه، والعلمين والحمام وبراني .. وأماكن أخرى تابعوا معنا

استقل السيارة المكيفة وعبر طريق القاهرة- الاسكندرية الصحراوي، ومنه عبر طريق جديد، تقول اللافتة في بدايته إنه طريق (وادي النطرون) .. وعرفت أن المسافة الى مطروح حوالي ٦٠٠ كيلومتر الصحراء هنا ممتدة، وبعد فترة تبدأ من المرور عبر القرى والمدن السياحية في منطقة الساحل الشمالي، ونمر على سيدى عبد الرحمن ومارينا والحمام والعلمين .. وكلها أماكن ستكون محطات فيما بعد .. أقلب في الأوراق التي حملتها وكلها تحمل تاريخ المكان .. وبعد حوالي ٤ ساعات أو أكثر بقليل أصل الى مطروح العاصمة، الهواء غير الهواء .. والهدوء يلف المكان، والسيارات قليلة، وأصل حيث أقيم على شاطئ البحر في منطقة (باب البحر) والتي تعونت لسنوات طويلة الإقامة فيها .. وكان لابد من الراحة لساعات لتنتقل زيارتي بعد ذلك

شاطئ ومتحف روميل:

انتهى وقت الراحة، ولأننا في منتصف نهار اليوم الأول، طلبت من مرافقي في العلاقات العامة

اعداد : محمد السنباطي - مصر

ويقول مديره: عندما وصل روميل في احدى جولاته الحربية الى مدينة مرسى مطروح استغل هذا الكهف كمركز قيادة مؤقت اثناء الحرب العالمية الثانية، وعام (١٩٧٧م) فكرت محافظة مطروح في تحويل هذا الكهف الى متحف حربي.

هدايا ومقتنيات :

ويكمل الاثرى الذى يرافقنا .. عرف ابن روميل، وكان في هذا التوقيت يشغل منصب عمدة

(عصام) أن نبدأ الزيارة بالمكان الأقرب .. وكانت وجهتنا الى شاطئ روميل - وهو من الشواطئ الشعبية هنا - وتصله عبر كوبرى جديد، وهنا لابد من زيارة متحف روميل المنحوت في صخر جزيرة وسط المياه.

استقبلنى مدير المتحف الاثرى محمد الشرقاوي ومرافقه الاثرى سعد برانى، ولك أن تعرف أولا أن المتحف يقع بمنطقة الميناء الشرقى، وهو عبارة عن كهف محفور بالجبل.



شاطئ عجيب .. وصخرة عجيبة .. إبداع وإعجاز

الدبابات (البانزر) الألمانية، إضافة الى صور لروميل وهو يتابع المعارك بنفسه.

حوار وأرقام :

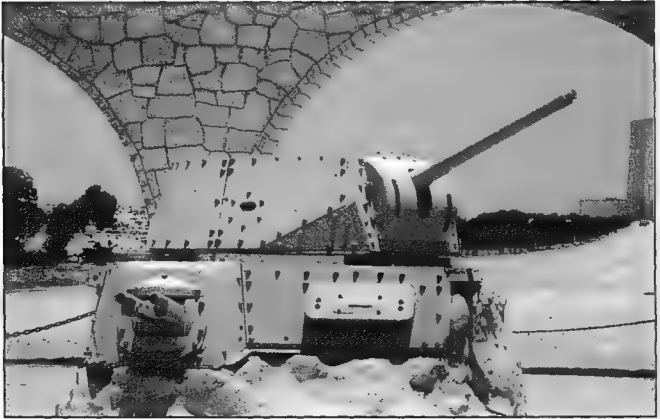
تعود بنا السيارة عبر الكوبرى ثم الكورنيش ومنطقة التليفزيون ومخيمات ومقار الأندية حتى نصل الى مبنى محافظة مرسى مطروح وهنا أقابل محافظ الاقليم الفريق محمد الشحات - أحد أبطال قوات دفاعنا الجوي .

ويحكي المحافظ ويشير الي أن محافظته واحدة من أكبر المحافظات المصرية، حيث تقع بطول ٤٥٠

مدينة شتوتجارت الألمانية، فزود المتحف بمقتنيات خاصة بوالده، ومنها بالطو وبوصله وصنور فوتوغرافية وخرائط، وصندوق خاص بروميل.

وأمر عبر دروب المتحف لأشاهد تمثالا خزفيا وضع في تجويف صغير، وفي وسط المتحف وضعت مقتنيات روميل، إضافة الى العلم النازى وخرائط ليبيا والساحل الشمالى، ومكتب روميل، وخطط المعارك الرئيسية والفرعية.

ولا يتوقف الأمر هنا عند ذلك، حيث شاهدت خوذات المانية ونسخة من جريدة عسكرية كانت تصدر أثناء المعركة، هذا إضافة الى نماذج من



متحف العلمين الحربى ويضم بقايا موقعة العلمين الحربية



على الابيض وعلى الأحمر) بالأهل في ليبيا وتونس والجزائر.

وأشاهد في السوق منتجات من كل دول العالم، جاءت عبر الحدود المصرية الليبية، فأشاهد محلات سوق مطروح وغيرها، عطور وجلود وزيت زيتون وأعشاب وملابس جاهزة وأدوات كهربية وغيرها... وهو سوق مزدهم في الصيف برواد الشواطئ، وفي الشتاء بالخبراء الأجانب الذين يعملون في شركات البترول والغاز والتعدين القريبة من المدينة العاصمة.

ونخرج، وأطلب زيارة وسط المدينة، وهنا نترك السيارة، واستقل (الكارتة) وهي عربة حنطور صغيرة يجرها حمار، وتصل الى منطقة الأسواق، حيث شوارع الاسكندرية وعلم الروم، واشترى المحمصات التي تشتهر بها هذه المدينة الجميلة، ولا يفوتني أن أذكر هنا أنك عندما ترى الوجوه تعتقد أنك تعرفها من قبل، فالإبتسامة على وجوه الجميع، والترحاب تجده في كل مكان.

قبل الليل :

وقبل أن يأتي الليل نستقل السيارة لنشاهد ونستمتع بعشرات الشواطئ الجميلة بداية من شاطئ روميل مروراً بكيوياتارا وحمامها الشهيرة، وصخرتها التي مازالت تحمل اسمها، وشاطئ علم الروم وشاطئ باجوس وشواطئ الغرام والبوست

كيلومتر حتى الحدود الليبية، ولها عمق في الصحراء حوالي ٤٠٠ كيلومتر، اضافة الى أن بها الكثير من الفخيرات النسبية، في الانتاج الزراعى حيث زراعات الزيتون والنعناع والتمر واللوز والتين.

ويقول الفريق محمد الشحات هنا أيضا حيوانات برية نادرة منها الغزال واليربوع والأرنب البرى والثعلب، وطيور منها الحبارى والسمان والقمرى والبشلول والبشاروي، والعديد من النباتات الطبية والثروات المعدنية.

ويتحدث محافظ مطروح حول الحاضر والمستقبل، ويشير بفخر الى الثروات المعدنية والاكتشافات البترولية والغازية، ومشروعات المنطقة الصناعية في الكيلو ٢٦ شرق مطروح، وامتداد القرى السياحية، التي وصلت الى أكثر من ٢٥٠ قرية سياحية، موجها دعوة للجميع لزيارة محافظته الجميلة الهادئة، كاهم المدن العالمية الصديقة للبيئة، ونودع الرجل الذى تولى المسئولية قبل فترة قليلة متمنين له التوفيق.

سون ليبيا :

بالسيارة ولمسافة قليلة تصل الى سوق ليبيا... وأسأل لماذا هذا الاسم فيؤكدون لى أن الارتباط هنا بليبيا قوى من خلال القبائل (وخاصة قبيلتي أولاد

متحف التراث بديوان عام المحافظة، وفيه نرى روائع الأعمال والأشغال اليدوية، التي تظهر من خلالها العادات والتقاليد.

سامر الليل :

ونجلس نتسامر، وهنا تقول احدي الوجوه المبتسمة من العلاقات العامة في مطروح: إن مطروح ليست مدينة اليوم.. فالفراغة كانوا هنا وتركوا معبد رمسيس الثاني من أم الرقم، وللروخان مقابر من عجيبة، وقد شهدت هذه المدينة جزءاً من حكاية غرام كليوباترا.

وتكمل أم العز: بعد الفتح الاسلامي مرت الجيوش الإسلامية الى المغرب العربي ومنها الى أوروبا، كما دارت على أرض مطروح أكبر معارك الحرب العالمية الثانية، وفوق كل هذا فحافظتنا هي همزة الوصل مع الشمال الأفريقي العربي.. أما حاضرتنا فالتطور بات في كل شيء، بداية من زيادة الاستثمارات والمناطق الصناعية والقرى السياحية، وصولاً الى ركيزة التعدين وشركات البترول.

ينتصف الليل.. ولأنه كان يوم الوصول، تصبح الراجة مطلباً أساسياً بعد زيارات كثيرة ولقاءات وسمير.. وأسواق.. وهدايا.. الهواء في الليل بارد والجو جميل.. ولكن لايد من الاستعداد لليوم الثاني حيث وجهة جديدة.. وأخذ للنوم.

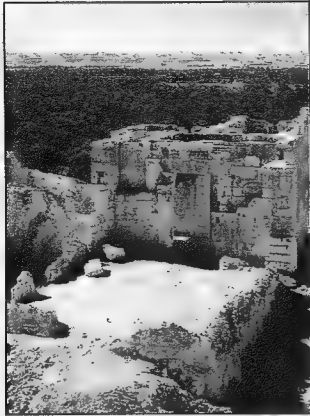


ملابس تقليدية وطقوس شعبية لبدو مطروح

والمعسكرات والليدو والتليفزيون، حتى نصل الى شاطئ عجيبة على بعد ٢٤ كيلومتر غرب المدينة العاصمة.

وفي عجيبة.. ستعرف أنك زرت واحدة من عجائب شواطئ الدنيا.. تصعد على ربوه، ثم تهبط تجاه شاطئ البحر، حيث أنقى وأصفى مياه في الدنيا.. وأكثر المناطق التي زرتها هدوءاً.. ولا تملك سوى أن تقول «سبحان الله» لهذا الابداع الرائع ولن أزيد.

وتهبط الليل ونركن للراحة قليلاً.. وفي المساء نخرج الى قلب المدينة مرة أخرى، حيث نشاهد



معبد آمون .. أحد معالم مدينة سيوه

١٩٥٩، وتطل على البحر من فوق ربوة وتضم رفات ٤٢٨٠ جندي الماني، ومنها إلى المقبرة الإيطالية، وهي بحق فخمة ومطرزها المعمارية كقلب روما ومبانيها العريقة، وتضم كنيسة صغيرة ومتحفاً أيضاً، وبها رفات ٤٨٠ من الجنود.

نخرج من قلب المقابر لنزور متحف العلمين الحربي، وهو يحكى سير المعركة الفاصلة .. وهنا استمعت لنداء من أهالي المنطقة إلى كل دول العالم لإزالة الملايين من الألقام الأرضية التي حولت مساحات شاسعة إلى أراض للموت، وهل يستجيب أحد لهذا النداء.

حروب ومقابر :

على صوت بائع الجرائد يصيح .. جرايد جرايد .. وأصوات باعة اللبن الحليب والفول المدمس أصبحوا مبكراً .. أتناول فطوري وأرى السيارة التي ترافقني قادمة على مهل .. أنزل درجات السلم وأسأل مرافقي إلى أين .. فيقول: إلى العلمين والحمام وسيدى عبد الرحمن وتل العليق .. فقلت على الفور إنه يوم نزور فيه حروب الماضي ومقابر الحرب العالمية الثانية.

تتحرك السيارة إلى حيث مدينة العلمين - ١٨٤ كيلومتر شرق مطروح - وفي الطريق نشاهد العديد من القرى السياحية الرائعة، ومزارع التين والتين الشوكي والمحاجر ومشروعات عديدة، وقبل ساعة ونصف نصل إلى العلمين، التي عرفت من مرافقي أنها استمدت اسمها من صخرة موجودة بين خط السكك الحديدية وساحل البحر تسمى (تل العلمين) . يستقبلنا مسئولو المدينة، ويؤكدون أن الزيارات لا تنقطع هنا طوال العام، حيث مقابر الجنود، وتتحرك تجاهها ونرى آلاف المقابر، وكانت البداية في مقابر الكومنولث، وهي تضم ٧٣٦٧ مقبرة لقضايا الحرب من بريطانيا ونيوزيلندا وأستراليا وجنوب أفريقيا وفرنسا والهند وماليزيا .

ومنها إلى المقبرة الألمانية، وقد شيدت عام

كثيراً .. ولكن رمال الشاطئ الناعمة

البيضاء وهدوء المياه وصفاء السماء كل
شيء يغريك بنزول البحر وبناء قصور
على الرمال حتى تقترب الشمس من
المغرب .. وهنا أعود لأبيت ليلتي الثانية
في المدينة العاصمة مطروح.

وقبل أن أخلد للنوم قبلت دعوة
صديقي الصحفي محمود صادق

ومجموعة من الزملاء الاعلاميين على عشاء بدوي
فاخر، شويت فيه لحوم الأغنام على نار هادئة ..
وقدمت فيه الأغاني الشعبية في خيمة على شاطئ
البحر، حتى تاه الليل، وكاد النهار أن يطلع بنسمة
في يوم جديد .. وكان النوم هو طلبي الأخير هذا
اليوم.

يوم الغرب :

تضرب الشمس زجاج شياكي المطل على مياه
(دوار البحر) .. أفيق على صوت الباعة كالعادة
(زيادي يا قشطة .. حليب يالبن) .. وصوت الماعز
تجوب الشواطئ والشوارع بحثاً عن رزقها .. تصل
السيارة وأعرف أنه يوم مدن الغرب تجاه الحدود .
تتحرك السيارة ومرافقي وسائق يلبس الزي
البدوي، أقرب بكثير إلى الزي الليبي التقليدي،
ولهجة بدوية جميلة وكانت البداية على بعد ٧٥ كيلو



أحد المساجد العريقة في مدينة مطروح

الحمام وعبد الرحمن :

الشمس انتصفت في كبد السماء .. ولكن
نسمات الهواء الجميل تنسيك قسوة هذا الجو
الصحراوي .. وعبر طريق متسع كانت وجهتنا إلى
مدينة الحمام، والتي تبعد عن هنا مسافة ٤٢ كيلو -
عن مدينة العلمين أقصد - ، وصلنا إلى الحمام، حيث
يقع المركز الثاني الاحتياطي للقمر الصناعي
المصري (نابل سات ١٠٢) .

ونبدأ الزيارة هنا بزيارة محمية العميد، وهي
أحدى المحميات الطبيعية البديعة، حيث أندر النباتات
العطرية والطبية، ومجموعات عجيبة من الطيور
والحيوانات البرية، ولتعرف أن الصيد هنا ممنوع،
والبناء أيضاً ممنوع، وكل شيء ترك على طبيعته .

وأقضى باقي اليوم على شواطئ جميلة ..
أنزل البحر واستمتع بالسباحة التي لا أجيدها



العين المعنية المنتشرة في واحة سيوه

غرب مطروح العاصمة، وصلنا الى النجيلة بعد قرابة نصف الساعة.. عرفت من مرافقي أنها مدينة الزراعة وأجود الأراضي، إنها بلاد التين والزيتون والشعير والأغنام، استقبلنا أهاليها بترحاب وقهوة عربية وتين رائع، وشاهدنا على الطريق قرى الزغرات وشماس وأبو مرزوق.

وفي هذه البقعة دارت معركة حاسمة انتصر فيها روميل.

نصل الى بوابة الحدود مع ليبيا.. حركة دائبة لا تتوقف بضائع وسيارات وأسواق صغيرة وبضائع تحمل كل الجنسيات.

ويبدو أن عصر اليوم اقترب كثيرا.. وكانت دعوة بدوية على الغداء.. وكالعادة اللحوم المشوية على النار والارز البخارى كانت المائدة الرئيسية، وحوارات مع أهالى المدينة تناولت الأحلام العربية والمصاهرة والتنقل عبر الحدود، وأمانيات بمشروعات وقرى سياحية ومطارات وتطوير طرق وغيرها.

وفي رحلة طولها حوالى ١٤٠ كيلو، نعود الى مطروح العاصمة مرة أخرى، وأتقابل مع قيادات شعبية وتلفزيونية، ويمتد الحوار حول موضوعات عديدة، أؤمن كل ما جاء بها في أجندة خاصة، سأقتحها قريبا لأكتب عنها، أو أناقشها.

ومرت بنا السيارة على مدينة ساحلية جميلة، بعد حوالى ٦٠ كيلو من النجيلة.. وها نحن الآن في مدينة (سيدى براتى).. حيث مجموعة من الشواطئ الجميلة والعياء الصحراوية الخلابة والطبيعة البكر.. ونقترب رييدا رييدا من الحدود.. وها نحن في طريقنا الى مدينة السلوم، التى تبعد ٢١٥ كيلومتر غرب مطروح المدينة العاصمة، استقبلنا رئيس المدينة، وقال: انها بوابة مصر ومنفذها الى ليبيا ومن ثم المغرب العربي.. وامام المدينة مباشرة يمكنك أن تشاهد خليج السلوم، وهو شاطئ يمتاز بالرمال البيضاء الناعمة، وألوان المياه الخلابة، والمناخ المعتدل طوال العام.. وهو في انتظار حركة الاستثمار السياحي.

وتتحرك بنا السيارة الى حيث نذور مقابر ضحايا الحرب العالمية الثانية، وهي خاصة بالجند الألمان، وجند الحلفاء، وتقع في وادى الحلفاوى،

يأتى الليل ولا سبيل إلا للراحة، حيث رحلة الغد البعيدة.

سيوه .. واحة الجمال:

يوم جديد هنا في المدينة الهادئة .. مرسى النعومة والجمال .. مرسى مطروح، وعرفت من مرافقى أن رحلتنا اليوم بعيدة .. وهي الى قلب الصحراء وعلى بعد ٣٠٦ كيلومتر، وهي الى الواحة الجميلة (سيوه).

تحركت السيارة بنا عبر طريق فرعي ولكنه متسع، ويحكى مرافقى عن سيوه ويقول: عرفت قديما باسم (بنتا) .. ووجد هذا في نصوص جدارية مبنية على معبد أدفو .. وعرفت بعد ذلك باسم (واحة أمون)، وفي العصر البطلمي أطلق عليها (جويتير) .. وعرفها العرب الأوائل باسم (الواحة الاقصى) .. وذكرها المقريزى فيما دون (السوى)، ودخلها العرب في القرن التاسع الميلادى، ولكنها لم تخضع للحكم الاسلامي، إلا في عهد الفاطميين.

أقلب في أوراقي التى أحملها ليمز الطريق الطويل، وأعرف أن سيوه تقع فوق سطح البحر نحو ١٧ مترا، وأن أمطارها شتوية قليلة، وأن أهاليها خليط من المصريين والبربر الذين قدموا لها من الغرب والسودان، وأنهم مازالوا يتحدثون حتى اليوم باللغة السيوية، وهي خليط من البدوية والبربرية والعربية.

قمبيز والفرس:

ثلاث ساعات مرت ونقترب رويدا من الواحة الخضراء في قلب الصحراء .. ويكفى أن تعرف أنها تقع على حافة بحر الرمال العظيم .. والى جوارها (٨) تجمعات قروية صغيرة، وهى (خميسة والمرافى وأغورمي وبهى الدين وقريشت وأبو شروف والزيتون وجارة أم الصغير).

ونصل الى قلب الواحة، ويستقبلنا وفد من المسئولين والأهالى بالملابس السيوية التقليدية المطرزة والجميلة .. والصبايا بالطلى الكبير والعقود المرجانية.

نجلس للراحة قليلا ونتسامر وأعرف قصة قمبيز والمواجهة مع الفرس، ويقول صفوان - أحد أبناء الواحة - في عام ٥٢٤ قبل الميلاد، حاول قائد الفرس قمبيز تاذيب الكهنة في الواحة .. وفي الطريق قست عليهم الريح وقضت عليهم تماما ولم يصلوا الى الواحة، ولما سمع ذلك قمبيز جن جنونه ومات .. وهنا يؤكدون أنها نبوءة أمون بأن من يقترب من الواحة سيلقى هلاكاً واسعاً.

الاسكندر زارها:

سألت أهل السامر .. وماذا عن زيارة الاسكندر الأكبر للواحة .. قال أحدهم .. إنه في شتاء ٣٢١ قبل الميلاد خرج الاسكندر بموكبه وعبر مطروح وسكة السلطان .. ولولا هطول المطر لمات كل من في القافلة .. ورغم الرياح اهتدوا حتى وصلوا



في هذا اليوم الحار طقسه، كما نزلت الى بركة سيوه المالحة، التي تحيطها أشجار النخيل والزيتون بشكل جميل.

وخرجت من هذه المتعة الى حيث يوجد (البيت السيوي) .. وهو متحف أقيم بالتعاون مع الحكومة الكندية في حديقة مجلس المدينة على مساحة ثلاث أفدنة، وهنا شاهدت ومن معي المشغولات البدوية، ونماذج للعادات والتقاليد والاحتفالات السيوية، وعرفت أن قمة الاحتفالات تقام هنا خلال شهر أكتوبر من كل عام .. حيث تزداد أعداد الزوار والسياح وتمتد الاحتفالات طوال الشهر.

وحول احتفالية سيوية تقليدية ورقصات شعبية كان الليل هنا .. وأغاني باللغة السيوية ترجم مرافقي بعضها تحمل كل المعاني الجميلة.

وأعود الى مطروح منتصف الليل .. أشكر مرافقي على مجهوده معي .. ومجهود الزملاء في العلاقات العامة .. والزملاء في مكاتب الصحف بالمحافظة على حسن الضيافة .. ومحافظ الإقليم الذي يوجه الدعوة لكل محبي الجمال والطبيعة البكر.

مطروح يا جميلة جميلات مدن شواطئ المتوسط .. لن أنسى كل هذا الابداع الذي يسكنك .. وهذا الكرم الذي يسكن ناسك .. والروعة التي تحيط كل شيء فيك .. وسوف أعود يوماً ما .. يا شاطئ الحكايات والذكريات والبطولات .. ويا مرسى الهدوء.

الى الواحة .. ولقي ترحاباً شديداً، واستقبل وبخل الى معبد أمون.

وهنا أطلب بعد أن تناولنا اللبن الحليب والتمر السيوي أن نبدأ زيارتنا لمعالم الواحة .. وكانت وجهتنا الأولى الى معبد أمون، وهو موجود في منطقة تعرف باسم (أم عبيدة) .. وبالقرب من صخرة تعرف (صخرة أجورمي) .. وفوقها بنى معبد التنبؤات، وهو فريد في طرازه المعماري، وعرفت أنه بنى في عهد الأسرة (٢٦)، وله قصصه وأساطيره الخاصة به.

وبعدنا نتحرك الى جبل الموتى، ويطلق عليه أهالي الواحة أحياناً (جبل المصبرين)، وبه عدة مقابر منحوتة، منها مقبرة تي بريانوت بي ومقبرة سا، ومقبرة مسيوزيس.

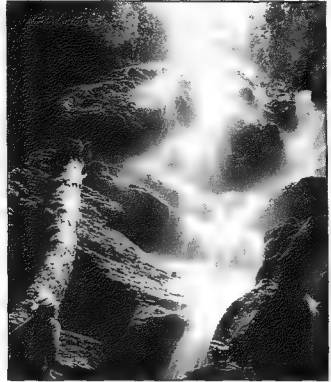
والى حيث غابات النخيل والحدائق نزور قلب المدينة القديمة، والتي عرفت باسم (شالي القديمة) وهي مدينة ذات أسوار وحدائق زيتون، وبها العشرات من العيون المعدنية والبحيرات المالحة، ومن هذه المدينة يمكنك أن تشهد الواحة والصحراء تحتضنها في منظر بديع منفرد.

عيون المياه :

طلبت أن أمر على عيون المياه المنتشرة هنا، فشاهدت عين التكرور وعين خميسة والمراقي والخرمشات وتاجزيتي والزيتون وكليوياترا وترسيت، وفي حمام كليوياترا أخذت حماماً أنساني كل التعب



قوة أحد البراكين



المياه الصافية تدفق بين الصخور والخضرة الياضنة

كوستاريكا ..

المتحف الطبيعي المفتوح

خوسي والمناطق المجاورة لها على امتداد السهل الأوسط الذي يعتبر من اهم مناطق البلاد . وتحيط بهذا السهل سلسلتان جبليتان من الشرق والغرب تفصلانه عن المحيط الهادي وبحر الانتيل . والبلاد على العموم تتمتع بطقس مداري رطب بسبب موقعها الجغرافي المتميز .

كوستاريكا دولة صغيرة تقع في امريكا الوسطى تبلغ مساحتها ٥١ الف كلم مربع ويزيد عدد سكانها عن المليون نسمة . ويتكونون من خليط عجيب من الاعراق المختلفة ، فمنهم الهنود الاصليون والسود من أصل افريقي والبيض من أصول اوروبية ويتركزون بصفة خاصة في العاصمة سان

اعداد : الحسن الرزافي - المغرب

تمتد على طول البلاد مشكلة حاجزا طبيعيا بين الاراضي المنخفضة المطلة على المحيط الهادي وبين شواطئ بحر الكاريبي.

جولة في المنطقة الشمالية الغربية:

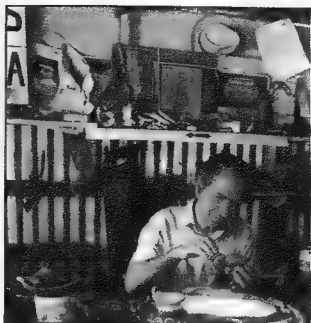
تمتد منطقة الشمال الغربي لكوستاريكا من نهر تاركوليس الى حدود نيكاراغوا ومن السفوح الغربية لجبال تيلاران الى سلسلة غواناكاستي البركانية. ويسبب ارتفاع هذه البراكين والجبال الى ما يفوق اربعة الاف قدم فانها تضيف على هذه الناحية جوا باردا ورطبا على مدار العام. لكن في المنحدرات تسود الرياح التجارية الشمالية الشرقية التي تحمل معها تيارات جافة ودافئة خاصة من منتصف نوفمبر الى منتصف مايو. ورغم أن هذه المنطقة توصف عادة بالصحراء الموسمية فانها زاخرة بكل اشكال الحياة التي تأقلمت مع الشروط المناخية القاسية. وقد حملت الانشطة الانسانية

ويعتمد اقتصاد كوستاريكا على الزراعة بصفة اساسية اذ تنتج البلاد البن والموز والكاكاو وقصب السكر. اما الصناعة فيحكم افتقار البلاد الى المعادن ومصادر الطاقة تم الاتجاه الى صناعة المنتجات الزراعية التي تصدر نسبة كبيرة منها الى الولايات المتحدة الامريكية.

استقلت كوستاريكا عن اسبانيا سنة ١٨٢١ وأصبحت احدى الجمهوريات الخمس للولايات المتحدة الامريكية الوسطى سنة ١٨٢٤ قبل ان تتحول الى دولة ذات سيادة في ١٨٣٩.

وتفتخر كوستاريكا بكونها من الدول القلائل التي خصصت جانبا هاما من اراضيها للمحميات الطبيعية وملجأ للحيوانات البرية والمنتزهات الوطنية. وتعج كل هذه المناطق بحياة طبيعية شديدة التركيز والاختلاف ويرجع ذلك اساسا الى كون البلاد - رغم مساحتها المحدودة - تتمتع بانظمة مناخية ومواطن طبيعية شديدة التنوع بفضل وجود جبال

طبيعي اخاذ يوقر ملاذا من الجو الخائق في الريف .
 وهناك العديد من الطيور والحيوانات التي
 يطيب لها العيش في مثل ذلك المناخ كطائر المظموط
 ذي الحاجب الفيروزي وطائر التروغون ذي الراس
 الاسود والعقّق ذي الرقبة البيضاء وسطيّة
 تينوسور والسلحفاة الحمراء وثمان البوا العاصر
 والافعى ذات الاجراس المدارية . اما تماسيح
 الاغوانا الخضراء فتري عادة وهي تتشمس قاضمة
 اوراق الاشجار على ضفاف الأنهار .



احد الحرفيين يزاول عمله في همه واتقان

تعشش السلاحف الضخمة على الكثير من
 الشواطئ ومنها سلحفاة ريدي والسلحفاة ذات
 الظهر الجلدي . ونظرا للمخاطر الكثيرة التي تهدد
 هذين النوعين ، فقد وضع شاطئنا اوستيونال وغراندي
 تحت الحماية لتوفير ظروف حياة افضل لهذه
 المخلوقات .

اطلالة على المنطقة الجنوبية :

واذا اتجهنا جنوبا فلابد ان نرتقي جبال
 تالامانكا حيث تبدو للعيان قمة جبل تشيريبو التي

الكثير من التغيير الى المنطقة حيث جلبت العديد من
 قطعان الماشية واقيمت مزارع قصب السكر
 الحديثة . ومع ذلك فما زال بالامكان التمتع بمنظر
 الغابات التي كانت تغطي معظم تلك الاراضي في
 متنزهي: سانتاروزا وباولوفيردي ، وكذا في محمية
 لوماس باربودال الطبيعية .

حينما يحل الفصل الجاف تتخلص الاشجار
 من اوراقها كوسيلة للحفاظ على بعض الرطوبة .
 ونتيجة لهذا الوضع تتوقف العديد من الحشرات عن
 التوالد أو تهاجر الى جهات اكثر رطوبة . وقد تزهز
 الاشجار والعديد من النباتات الاخرى في معرض



طائر جميل في احد المحميات

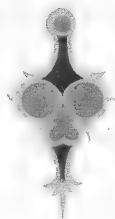
التابير الضخم أو حتى الجاغوار - النمر الامريكي -
وهما اكبر الحيوانات اللبونة في كوستاريكا . كما
تجول في انحاء الغابة قطعان الخنازير الامريكية
البيضاء الشفتين وتحلق في الاجواء الكواسر
العظيمة من امثال العقاب المقنبر . وفي المنتزه ايضا
توجد الاصناف الاربعة للقرود القاطنة بكوستاريكا
واشهرها قرد امريكا الوسطى السنجابي . ولا يخلو
المنتزه ايضا من المناظر المخيفة فالمنطقة تحفل
بالعديد من اصناف الزواحف وعلى رأسها الافاعي
السامة .

ترتفع الى ١٢٥٣٢ قدما وهي بذلك اعلى نقطة في
كوستاريكا . وبما ان هذه المرتفعات غير متصلة
بنظيراتها في الانديز الى الجنوب وغواتيمالا الى
الشمال، فقد احتفظت بمميزاتها الطبيعية الخاصة،
اذ تضم انواعا نباتية وحيوانية نادرة استدعت
ضرورة الحفاظ عليها انشاء محميتين وطنيتين هما:
محمية تشريبو ومنتزه لاس اميستاد العالمي . وهذا
الاخير يمتد الى داخل دولة بنما المجاورة . وتوفر
غابات البلوط الملاذ الآمن لطائر الكتسال البهي وكذا
لاكثر من ٤٠ نوعا نادرا من الطيور . ونظرا
للنشاطات الاستيطانية البشرية والحضور القوي
للفصل الجاف في الاشهر الاربعة الاولى من السنة
حيث تشكل النار اداة هامة لتنقية الارض مما ادى
الى محو الاشجار من المنحدرات الجنوبية
الباسيفيكية تماما وجعل المنطقة بين تشريبو ومنتزه
كوركوفادو الوطني خالية من الغابات .
ويحظى منتزه كوركوفادو بشهرة عالمية اذ انه
يضم الجزء المتبقي الاكبر من طيور الماكاو القرمزية
في البلاد . وهو ربما المكان الامثل لمشاهدة حيوان

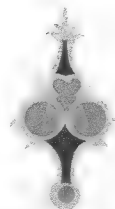
في هذه العجالة سنرسم فروقاً أربعة بين الترجمة والتفسير، انقلها كما هي من كتاب مناهل العرفان.

الفارق الأول:

أن صيغة الترجمة صيغة استقلالية يراعى فيها الاستغناء بها عن أصلها وحلولها محلها، ولا كذلك التفسير، فإنه قائم أبداً على الارتباط بأصله: بأن يؤتى مثلاً بالمفرد أو المركب، ثم يشرح هذا المفرد أو المركب شرحاً متصلاً به اتصالاً يشبه اتصال المبتدأ بخبره إن لم يكن إياه، ثم ينتقل إلى جزء آخر مفرد أو جملة، وهكذا من بداية التفسير إلى نهايته، بحيث لا يمكن تجريد التفسير وقطع وشائج اتصاله بأصله مطلقاً، ولو جرد لتفكك الكلام وصار لغواً، أو أشبه باللغو، فلا يؤدي معنى سليماً، فضلاً عن أن يحل في جملته وتفصيله محل أصله.



الفرق بين الترجمة والتفسير



النزول، وفي الناسخ والمنسوخ، وفي العلوم الكونية والاجتماعية وغير ذلك.

ومن ألوان هذا الاستطراد، تنبيهه على خطأ الأصل إذا أخطأ، كما نلاحظ ذلك في شروح الكتب العلمية، ويستحيل أن تجد مثل هذا في الترجمة وإلا كان خروجاً عن واجب الأمانة والدقة فيها.

الفارق الثالث:

أن الترجمة تتضمن عرفاً دعوى الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده، ولا كذلك التفسير، فإنه قائم على كمال الإيضاح كما قلنا، سواء أكان هذا الإيضاح بطريق إجمالي أو تفصيلي، متناولاً كافة المعاني والمقاصد، أو مقتصرأً على بعضها دون بعض، طوعاً للظروف التي يخضع لها المفسر ومن يفسر لهم.

والدليل على هذا الفارق، هو حكم العرف العام الذي نتحدث الآن بلسانه، وإليك مثلاً من أمثاله: رجل عثر في مخلفات أبيه على صحيفتين مخطوطتين بلغة اجنبية، وهو غير عالم بهذا اللسان الأجنبي فدفعهما الى خبير باللغات يستفسره عنهما، وإذا الخبير يجيبه قائلاً: إن الصحيفة الأولى خطاب تافه

من معوز أجنبي يستجدي أباك فيه ويستعينه، أما الثانية فوثيقة بدين كبير لأبيك على أجنبي.

هناك مزق الرجل خطاب الاستجداء، ولم يحفل به، أما الوثيقة فاعتمد بها، وطلب من هذا المتمكن في اللغات أن يترجمها له؛ ليقاضي المدين أمام محكمة لغتها لغة الترجمة، أليس معنى هذا أن التفسير لم يكفه بدليل أنه طلب الترجمة من المترجم، علماً بأنها هي التي تفي بكل ما تضمنته تلك الوثيقة، وبكل ما يقصد منها، فلا تضعف له بها حجة، ولا يضيع عليه حق، ثم ألسنت ترى في هذا المثال أيضاً أن العرف يحكم بأن التفسير لا يشترط أن يعرض لجميع التفاصيل، بل يكفي فيه بيان المضمون، على حين أنه يرى الترجمة صورة مطابقة لأصلها وافية بكافة معانيه ومقاصده؟

الفارق الرابع:

أن الترجمة تتضمن عرفاً دعوى الاطمئنان الى أن جميع المعاني والمقاصد التي نقلها المترجم هي مدلول كلام الأصل، وأنها مرادة لصاحب الأصل مقه، ولا كذلك التفسير بل المفسر تارة يدعي الاطمئنان، وذلك إذا توافرت لديه أدلته، وتارة لا

أسقطوا وأسقط العرف العام معهم لفظ ترجمة من العنوانين الاثنين، وما ذاك إلا لما قر في النفوس من أن الترجمة صورة مطابقة للأصل، مطمئنة إلى أنها تؤدي جميع مؤداه، لا فرق بينهما إلا في القشرة اللفظية.

وقل مثل ذلك فيما نعرفه من ترجمات للقوانين، والوثائق الدولية والشخصية، ومن ترجمات للكتب العلمية والفنية والأدبية، وهي كثيرة غنية عن التنويه والتمثيل، يقال كل هذا في الترجمات، ولا يمكن أن يقال مثله في التفسير، فإننا ما سمعنا ولا سمع الدهر أن كلمة تفسير أسقطت من عنوان كتاب من كتبه، بل المعروف عكس ذلك، فكثيراً ما يسقط في الاستعمال اسم الأصل المفسر على حين أن لفظ التفسير لا يسقط بحال، ويدل على هذا تلك الإطلاقات الشائعة: تفسير البيضاوي، تفسير النسفي، تفسير الجلالين، وما أشبهها من تفسيرات القرآن الكريم، ألم يكن بهذا سند على أن التفسير مراعى فيه أنه بيان لا يمكن أن يقوم مقام المبين، ولا أن يدعى فيه الاطمئنان إلى أنه واف بجميع أغراضه ومعانيه؟

يدعيه، وذلك عندما تعوزه تلك الأدلة، ثم هو طوراً يصرح بالاحتمال ويذكر وجوهاً محتملة مرجحاً بعضها على بعض، وطوراً يسكت عن التصريح أو عن الترجيح، وقد يبلغ به الأمر أن يعلن عجزه عن فهم كلمة أو جملة، ويقول: رب الكلام أعلم بمراده على نحو ما نحفظه لكثير من المفسرين إذا عرضوا لتشابهاً القرآن ولفواتح السور المعروفة.

ودليلاً على أن الترجمة تتضمن دعوى الاطمئنان إلى ما حوت من معانٍ ومقاصد، هو شهادة العرف العام أيضاً بذلك، وجريان عمل الناس جميعاً في الترجمات على هذا الاعتبار، فهم يحلون محل أصولها إذا شأوا، ويستغنون بها عن تلك الأصول، بل قد ينسون هذه الأصول جملة، ويغيب عنهم أن الترجمات ترجمات، فيحذفون لفظ ترجمة من الاسم، ويطلقون عليها اسم الأصل نفسه، كأنما الترجمة أصل، أو كأنه لا أصل هناك ولا فرع.

وإن كنت في ريب، فاسأل ما بين أيدينا من ترجمات عربية لطائفة من كتبهم التي يقدسونها، ويطلقون على بعضها اسم تورا، وعلى بعضها اسم إنجيل، وما هما بالتوراه ولا بالإنجيل، إنما هما ترجمتان عربيتان لأصليين عبريين باعترافهم، ولكنهم

سخرية صابر مفرح

لكن بعد أن اطلعت على بعض أعمالها رأيت
أن ما كتبت لا يفيها حقها، فهي شاعرة تتحسس
آلام أمتها وشعبها، وتعيشها مع أطفال الحجارة
مع الجوعى والمطحونين والمحيطين...

حلو أنت كالـحـجـارة
في أكف التـلـامـيـذ
في المسـاء الطـريـد
خـصـبـة أنت مثـلـها
ما رأى حـمـلـها غـيـرها
كي ينام في قـبـاع الـيـنـابـيع
أبـعـادها ... شـطـطـها
قـواريـر عـطـرها المنـسـكـب
عـلـى كـل درج [١]

وعندما يترك الفتى فضاء الصحاري وأحلامه إلى
المدن الضوئية لاصطياد فراشات الملونة، تهتف
الشاعرة:

في رحلة صبيـد كـبـان
بـسـعـيداً بفراشـات الـلـون الـضـوئـية
مطمئناً إلى وفاء تلك التي تركها خلفه
يا هذا النائم ...
فـوق رصـيف القـلب
إمـدأ في نـوم ...
لن يـمـرق أحـد ...

لقد سبق أن كتبت عن هذه الأدبية
لغة بسيطة في كتابي «أصداء من وادي
عبر» جاء في مقدمتها:

ولدت وترعرعت وتلقت تعليمها
في المدينة ذات العمارات الشامخة
والشوارع المزدهمة، ركبت السيارة،
استعملت الهاتف وتذوقت الطعام
المستورد من بلاد الغرب، إلا أن عنصر
البداوة التغلغل في أعماقها أخذ ينمو
بداخلها ويكبر معها فلا يفتأ يذكرها
بماضيها فتتفت مع:

إستأصل أجهزة الصمت لدي
وتعلقها على أعمدة البيت
أجهض لغتي الصبلى بالأحرف
أرتكها فوق الأرفف
ننساها في خرج ذلول
نتعلم كيف تسير ركائبنا
في قافلة الصمت



بقلم : عبدالله بن أحمد الشباط

الخبير - المملكة العربية السعودية

النهضة المدنية في الكويت، ولعلها شهدت بدايات
فهد الدويري كاتباً صحفياً وقاصاً رائداً في مجال
القصة القصيرة بالذات في الكويت.

«ذلك الكاتب»، وتلك الأيام، أعلم أن في
تضاعيف ذلك العنوان الموحى ما يشي، وإن بطرف
خفي ربما، بما يمكن أن يكون لمن يختاره عنواناً
لما يكتب من ادعاء بمعرفة وثيقة بذلك الكاتب وتلك
الأيام، ولا يبدو بحال أن هذا صحيح بالطبع، فما
الذي يمكن أن تعرفه كاتبة تنتمي لما اصطلح على
تسميته بالجيل التسعيني عن كاتب بدأ الخطوة
الأولى في درب الكتابة منذ بدايات الأربعينيات في
هذا القرن، غير ما قرأته له من نثرات صحفية
صغيرة طوتها الصحف والمجلات التي كانت
تصدر في ذلك الزمن القديم نسبياً، ولم يبق منها
الآن غير ذكريات الريادة ومحفوظات الأرشيف
الصفراء، وغير ما قرأته له من قصص قصيرة
تفاوتت في مستواها الفني تفاوتاً هائلاً، وهي على
أي حال كسابقتها من المقالات، وازالت منتشرة
هنا وهناك، دون أن يضمها كتاب يمكن أن تطلق
عليه مجموعة قصصية تحمل عنواناً مختاراً من
قبل كاتبها أو حتى توقيعه... بل ما الذي تعرفه
كاتبة تسعينية عن كاتب إنكفاً على ذاته المتعبة
ونقض يده من بلل الكتابة وهو الغريق فيها فعلاً

لن تزمجك سسوى
سيارات الطرق الفرعية.

وفيما كان ذلك الفتى مشغولاً بمطاردة
فراشات المدن تتشوق الشاعرة الى ذلك اللقاء
العفيف الذي تتعطل فيه لغة الكلام... وتتشرب
الفضيلة رداها عليه:

يا لها من معركة سلام
فيها يفتال كلام الحب .. ويبقى الحب
تستشهد أنوار النحو
ورموز الإعراب وينتصر القلب
تبتلى أربيتي
وتلوب ثيابك
في وهج الصبغة

ومن النماذج النقدية التي كتبتها الناقدة
سعيدة مفرح... المقالة تستعرض فيها كتاب (ذلك
الكاتب... تلك الأيام) الذي ألفه الاستاذ عبد الله
زكريا الأنصاري عن صديقه وزميله فهد الدويري
بعد رحيله عام ١٩٩٩... جاء في مقدمة تلك
المقالة:

أما الكاتب فهو الرجل الكبير فهد الدويري،
وأما الأيام فهي تلك الأيام التي شهدت بدايات

أرقى من أن يسكن في الكلمات
إن حـواري مع عـينيك
التائهتين كـمـصـفـورين
قد ضلّا دريها للعش .. الزاخر بالأفراخ
أعطى من أن تسمعني أنني .. أو أنك
أو أن قـبـلـيـلـتـنا ...
أسمى من أن يولد كي يحيا فينا
ثم يغادر عالمنا معنا أو ينسأنا
حين تغادر عالمنا الزاخر بالأوساخ
أبقى من فصل ربيع يتلاشى قبل الصيف
أو مد .. يتحاشى أن ينضب ماله
فيـعـلـني الوحدة والخوف ..

وسعدية صابر مفرح من مواليد مدينة الجراء
بالكويت عام ١٩٦٤م، تدرجت في مراحل تعليمها
حتى تخرجت من جامعة الكويت قسم اللغة العربية
عام ١٩٨٧م.

عملت محررة في جريدة الوطن وجريدة
القبس .. في عام ١٩٩٢م حصلت على جائزة
الإبداع الفكري من دار سعاد الصباح.
من أعمالها المطبوعة: آخر الحالمين كان،
تقيب فأسرج خيل ظنوني، كتاب الأثام.

الهوامش:

- (١) معجم البابطين للشعراء العرب ص ٢/٤٦٢.
- (٢) مجلة العربي العدد ٤٩١ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ.

منذ زمن مبكر جدا حتى وهو يعود إليها منذ
سنوات قليلة جدا بكامل لياقته الكتابية وحيويته
الإبداعية التي لا يبدو أنه غادرها أو أنه هجرها
فعلا إلا في سبيل المزيد من التعاطي، وبما ما يليق
مع ما وصل إليه من مستوى، ويأدواتها التي
تناسب روح العصر ونكهته الجديدة [٢].

وتعود مرة أخرى لتلمس تلك الأحاسيس
الناضجة بالأم:

هي الكف حين تجـوـع
تهز جنود الجـمـوع
ليسط فيها الحمى ناضجا وشهيا
فكـلي ... واشـشـريـي
ثم قـري عـيـون السطوع
أيتها المستجيـرة .. باللظى
بالدموع المسالة .. بالحصى
ببقايا الكف الكسيرة
كـالخطوة الأولى
على أي درب صوبين أنت
تكون الأخـيـرة

أما نبضات القلوب فتعبر عنها العيون ..
لذلك فإن سعدية تصف تلك التعابير:

إن حـواري مع عـينيك
الساقتطين ببـحـر القلب
أنفأ من يتـنـثر بالألفاظ
أقوى من أن تحمله الأصوات

خالد جندل

مجلة العرب الأدبية

الأدب والسياسة

الثقافة في

عالم العصر



○ حاضر يحفل

بالريادة

○ هناك الكثير ..

انتظر الاكثر ستحصل

على أكثر مما تتوقع



مجموعة المنهل الكاملة

٧٢ مجلداً

فاخراً

مفتاحك لعالم

الفكر والمعرفة

تصدر عن دار النشر للكتاب والكتاب للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى: ١٩٩٠م - ١٩٩١م - ١٩٩٢م - ١٩٩٣م - ١٩٩٤م - ١٩٩٥م

محاولات قتل الموت في بنية الفكر العربي قبل القرآن الكريم في ضوء الشعر

بالانتصار على الموت وقهره، وأثارت قضايا ما تزال تشغل الإنسان وفكره، وتؤثر في حياته العقلية والوجدانية، ومثلت ببراعة (ذلك الصراع الأزلي بين الموت والفناء المقدر، وبين إرادة الإنسان المغلوبة المقهورة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء والسعي وراء وسيلة للخلود) [٣]، وبرهنت بأسلوب مؤثر على حتمية الموت على البشر حتى لو كان شبيهاً لجلجامش، ذلك البطل الذي (نشأ من إله وثله الآخر بشر) [٤] - حسب معتقدهم - بسبب:

«إن الحياة التي تبغي أن تجد

حينما خلقت الآلهة العظام البشر

قدّرت الموت على البشرية

واستقرّت في الحياة» [٥]

ومن حقيقة أن مرور الزمن يصحبه النسيان، والنسيان فناء، والفناء مضاد للحياة، والحياة غاية في ذاتها، جاءت مواجهة الإنسان للزمن وأحاساسه بالعداء نحوه. وفي مواجهة ذلك أشيد بالذات الإنسانية. فردية أو جماعية، بقصد تخليد الإنسان

من رهبة الموت ومجهولية ما يأتي بعده أحب الإنسان البقاء وأراد أن يحيا أبداً. وكان أقسى ما جابهه في الحياة هو الشعور بتحديد حريته في البقاء، فحنّ إلى الأبدية، ونزع نحو اللانهاية، وتألم من مخالب الفناء التي أنشبهها الزمان في عنقه، فصار التناهي نسيج وجوده، وأيقن (أن الموت هو الحقيقة الوحيدة التي لا يرقى إليها الشك إلا إنه في الوقت نفسه السر الوحيد الذي ميهات للعقل البشري أن يتمكن من إمطة اللثام عنه) [٦].

وأجهد الإنسان القديم نفسه بحثاً عن سر الخلود والقضاء على الموت، ولكنه أيقن أيضاً أن سرمدية الحياة أمر مستحيل، وأن طلب البقاء ضرب من الوهم والمبالغة. وترينا ملحمة جلجامش الدائرة الصيت [٧] رغبة رافقت الإنسان العراقي القديم

بقلم : د. كاظم حمد المحراث

جامعة السابع من ابريل - ليبيا

الاتفات الى الخلف لكي يتحسس الخيبة والخسران والافخاق في الوصول الى سرّ الأزلية التي لا بداية لها، وتراجعه في جولة الفكر الغيبية ذليلاً منكسراً خائباً:

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجرٌ
تنبؤ الصوائدُ عنه وهو ملموم^[٩]

فإنه آمن بفكرة الموت على مضض، وأدرك أنه أفسد عليه الحياة:

وأعلمُ أن الباقي الحيّ منهمُ
إلى أجل أقصى مداهُ قريبُ
لقد أفسد الموتُ الحياةَ وقد أتى
على يومه علقٌ عليّ جنيب^[١٠]

وأنه لا سبيل الى الأبدية إلا بمفارقة الإنسان لإنسانيته، لأن عروقه وشجّت بالتراب:

الى عرقِ الثرى وشجّت عروقي
وهذا الموتُ يسألني شبابي^[١١]

ومع الإحساس بالأبدية والخلود تزدهر سعادة الشعراء الجاهليين بوصفهم طبقة المجتمع الأرفف

الفاني لنفسه وصنع نموذج الانسان الباقي، وفي هذا تتجلى صورة من صور رفض الانسان المتعدد للفناء^[٦]، ووقوفه بوجه الموت.

ويغيب اعتقاد الانسان بقوى عليا تنظم الكون بتعقل وحكمة، كان لمشكلة الموت في ضميره نصيب من التردد والقلق، اتصفت جميعها بصفة الإشكال، (فمن الناحية الوجودية نلاحظ أولاً: أن الموت فعل فيه قضاء على كل فعل، وثانياً: أنه نهاية للحياة، وثالثاً: أنه إمكانية معلقة، ورابعاً: أن الموت حادث كلي كلية مطلقة من ناحية، جزئي شخصي جزئية مطلقة من ناحية أخرى)^[٧].

(ويكون الموت مشكلة حينما يشعر الانسان شعوراً قوياً واضحاً بهذا الإشكال، وحينما يحيا هذا الإشكال في نفسه بطريقة عميقة، وحينما ينظر الى الموت كما هو، ومن حيث إشكاليته هذه ويحاول أن ينفذ الى سرّه العميق ومعناه الدقيق من حيث ذاته المستقلة)^[٨].

ويصرف النظر عن درجة إحساس العربي قبل الإسلام بغاية الوجود وسرمديته، وعن مدى قدرته على اختراق الزمان ببصره الى الامام لكي يشعر بالأمل والنفاز في حجب الأبدية التي لا نهاية لها، أو

حسباً بالحياة، والأكثر تعلقاً بها، والأشد حرصاً عليها، بحكم اتصال عملهم الإبداعي بوجود الإنسان المطلق أو فنائه فيها، ولتعلقه بالخلود، ويطلب استمرار الحياة في ظل غياب فكر ديني محدد، يبشر بوجود حياة سرمدية بعد الموت كذلك التي اكدتها كل الكتب المنزلة على رسل الله اجمعين وجاء بها القرآن الكريم. وتمخض إيمانهم بانتفاء ذلك واستحالة تحققه الى اتخاذ مواقف شتى في اختيار طريقة السلوك في الحياة، أما بالإغراق في انتهاب المتع واللذات، وممارسة الفعاليات التي يعتقدون أنها تحقق لهم بقاء معنوياً ما:

ألا ايهذا اللامي أشهد الوضي
وأن أحضرُ اللآذات هل أنت مُخلدي
فإن كنت لا تسطيعُ دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكك يدي [١٢]
هبتْ تلومُ وإيست ساعة اللامي
هلا انتظرت بهذا اليوم إصباحي
قاتلها الله تلحاني وقد علمت
أني لنفسي إفسادي وإصلاحي
ولا محالة من قبر يمحنية
وكفن كسرة الثور وضاح
كان الشباب يلهينا ويمجبننا
فما وهبنا ولا بعنا بأرياح [١٣]

أو في العزوف عن الحياة واتخاذ طريق الخير والحكمة بتحقيق الذات المحترمة بين الجماعة:
إن أمامك يوماً أنت مدرّكُ
لا حاضرٌ مُلّت منه ولا بادي
فانظرُ الى فيء ملك أنت تاركُ
هل ترسين أوخيه بلوتاد
الخير يبقى وإن طال الزمانُ به
والشرُّ أخْبُ ما أوعيت من زاد [١٤]

أو بانتهاج طرائق أخرى مفارقة تجد في الحياة فرصة فريدة لصنع المجد الذي يخلد الإنسان بعد موته بذكرى طيبة، أو حديث حسن، أو فعل حميد:

ألا هل أتى نبيان أن رماحنا
بكيشة عاليتها الجراحة والخذُ
فستقوا علينا لا أبا لإبيكم
بإحساننا إن الثاء هو الخلد [١٥]
وهاجس الخلود في فكر الانسان العربي قبل الإسلام ينتمي في قدمه الى قدم تشبث النفس البشرية بالوجود والبحث عن وسيلة للبقاء، إذ بقي حائراً قلقاً يتلقى ضربات الدهر بتحد مستمر، وعاش حياة محددة يتناوبه فيها - بعد قطع مرحلة الشباب - المرض والشيخوخة والهرم:

وأخذ الشعراء الجاهليون من أسطورة لقمان بن
عاد ونسوره مثلاً في استحالة الخلود:
ألم تر لقمان بن عاد تتابعت
عليه النسور ثم غابت كواكب [١٩]

كما أخذوا من شواهد البيئة أمثلة تبرهن على
رضوخ الإنسان للموت مهما طال به العمر وامتد به
الزمن. كما يظهر في تمثّل الشاعر الهذلي صخر
الغي لمجيء الموت على الإنسان والحيوان المتوحش،
إن يقول:

أرى الأيام لا تُبقي كريماً
ولا العصم الأوابد والنعاما [٢٠]

فجاءت نصوص الشعراء وأقاويلهم عن الحثف
الكامن للحيوانات المتوحشة في الوجود، وعن

نزل المشيبُ بوفده لا مرحباً
ورأى الشبابُ مكانهُ فتجنبا
ضيفُ بغيضٍ لا أرى لي عُصرة
منه هربت فلم أجد لي مهرباً
بُدلتُ بالعيش اللئذ ونعمة الد
عُمُرَينَ معاً شاهداً ومُغَيِّباً [١٦]

وأيقنت الأجيال بعد فشل محاولاتها في طلب
الخلود أن البقاء الأزلي ممتنع عن البشر:
إلى حُفرة يَأْوي إليها بسغيه
فذلك بيتُ الحق لا الصوفُ والشعرُ
وهالوا عليه الترابُ رطباً ويابساً
إلا كل شيء ما سوى ذلك يُجْتَبَرُ [١٧]

ويذكر المؤرخون أن (لقمان بن عاد وفد إلى
الكعبة مستسقياً لقومه يطلب الخلود، فدعا وتضرع،
فنادى: لقد أجيبت دعوتك، وأعطيت سؤلك، ولا سبيل
إلى الخلود، واختار إن شئت بقاء سبع نويات من
تمر، مستودعات في صخرة لا يمسهن ندى ولا
قطر. وإن شئت بقاء سبعة أنسر، كلما هلك نسر
عقب بعده نسر. قالوا: فكان أن اختار سبعة أنسر،
فتصرمت، وقد حاول الإبقاء على آخر نسوره - أبداً -
فما افلح [١٨].

أخذوا الموت
على أنه عدم مطلق
أغرقوا وأوقلوا
في النسيان
المع والمعدات

**** الموت في احساس
الجاهلي عدم لا يرغب فيه .**

**** الشعراء طبقة المجتمع
الارفف حساً بالحياة
والاكثثر تعلقا بها .**

أساطير شبائك الصيادين للطيور المحلقة بعيداً عن الأرض، وعن أساطير المعمرين الأوائل تفصح للشعراء انفسهم، وللآخرين عن عجز الكائن الحي بتأوانه كلها عن إدراك الخلود في الحياة، والبقاء فيها الى ما لا نهاية:

أين أهل الديار من قوم نوح

ثم عاد من بعدهم وشمود

أين أبائنا وأين بنوهم

أين أبائهم وأين الجدود

سلخوا منهج المنايا فبادوا

وأرانا قد كان منّا وروء[٢١]

ومن تعايش هذه الحقيقة، ومن لس وقوعها أدركوا (أن الانسان لابد أن يقع في قبضته مهما كانت قدرته وقوته، وكان هذا التعليل - كما يبدو - كافياً لتخفيف هول الصدمة التي كانت تنتاب الشعراء عند مصيبة الموت)[٢٢].

إن استحضار صور خوف الانسان العربي من

الموت، ومحاولة تجنب وقوعه، وأقراره بحتميته، ترتبط بمنطلقات النظر الديني السائد قبل نزول القرآن الكريم، ولا أجد جدوى في عرض أفاق ارتباط بعضها ببعضها الآخر، ولا بصور استفاد الشعراء منها لخروج ذلك عن خطة البحث وحدوده، ولكن بي رغبة في التعرض - بإيجاز - الى منافذ تفكير العربي قبل الاسلام في البحث عن بقاء بديل يرى فيه تعويضاً عن الخلود الزمني الذي بات مستحيلاً، ثم تقصي سبب استقرار العرب على خصال يعينها وامتداح الباذلين فيها . وهنا ليس مستطاعاً تفسير اعتناق الجاهلي فكرة الموت في الحرب، ونفوره من الهلاك والاستكانة على فراش المرض والعجز:

تلخرت أستبقي الحياة فلم أجد

لنفسى حياة مثل أن اتقيما[٢٣]

وليس بالمقدور تأويل نزعته للتبذير والإتلاف في

قرى الأضياف:

ومسألة هبت بليل تلومني

وقد غاب عيوق الثريا فعددا

تلوم على إعطائي المال ظلة

إذا ضنّ بالمال البخيل وصردا

تقوله: الا امسك عليك فلانني

أرى المال عند المسكين معبدا

يجب التمتع بصفات بيئية تمكن من مكافحة طبيعة قاسية شحيحة الموارد، تجعل عنصر الصراع والاقتتال حالة دائمة، ويصير بقاء الأقوى شعار العيش فيها. وأيقن الإنسان العربي أن استمرار الحياة في تلك البيئة القاسية يكمن في قدرة مزاحمة الآخرين، ويتم بفنائهم:

يُخربُ الدهرُ ويبني جامداً

وخرابُ الدهر للدار عمارُ [٢٧]

فكان لزاماً عليه التأهل للدفاع عن الأنا الفردية والذات القلبية، لكنه مرة أخرى يخضع للطرف البيئي الذي يحيله من طبيعة المدافع المستكن الى مهاجم غاز، وهكذا صارت حياته مبنية على خصيصة الكر والفر المستمرين. وأضحت رؤيته مصوِّبة باتجاه احترام خصيصة الشجاعة بوصفها سبيل الوقاية من الموت والإستمرار في الحياة، وإن الجبن سبيل القتل السريع والموت المعجل. وورد في بعض أقوالهم: ان الشجاعة وقاية والجبن مقتلة، وعد من

نريني وحالي إن مالك وافرُ
وكل إمريء جار على ما تعودا
نريني يكن مالي لعرضي جنة
يقي المالُ عرضي قبل أن يتبدأ
أريني جواداً مات هزلاً لعلمي
أرى ما ترين، أو بخيلاً مغلدا
يقولون لي: أهلك مالك فاقصدُ
وما كنتُ لولا ما تقولون، سيداً [٢٤]

ولا بالإمكان تحليل اعتقاده بتحول أرواح موتاه الى الحيوانات، أو الطيور، أو الإستقرار في الماء والأبار المهجورة المظلمة:

فزال بذى دوران منكم جماجمُ
وهامُ إذا ما جئته الليلُ صاحبُ [٢٥]

الا إذا فسرت تفسيراً يتساق مع رغبته المغيبة أو المدركة في طلب الخلود، ومحاولة قتل الموت عن طريق البطولة، والجد، والكرم، أو تناسخ الأرواح: خيلي إمامت يوماً وزُحزعتُ
مناياكما فيما يُزحزحُ الدهرُ
فمرّاً على قبري، فقوماً فسلما
وقولا: سقاك الفيثُ والقطرُ يا قبرُ [٢٦]

كان العيش في بيئة من نمط صحراء العرب

*** هاجس تخليد الذات دفع
بعض الجاهليين الى اصطناع
امجاد تغلدهم في الذاكرة.**

*** الشجاعة عندهم سبيل
الوقاية من الموت
والاستمرار في الحياة.**

الجبين أن يقتل الرجل منهم مدبراً أكثر من أن يقتل
مقبلاً[٢٨]، وقديماً قال شاعرهم:

فلسنا على الأعقاب ندمى كلومنا

ولكن على أقدامنا تقطر الدماء[٢٩]

وهكذا رسخت البيئة في طبع العربي الجلد
والخشونة، وقررت لأناسها التماثل في احتواء
صفات القوة والقدرة على المدافعة والعيش وسط
الأقواء، وشاعت فلسفة تمجد القوة بوصفها أساس
الحياة في الصحراء:

والموت خيرٌ للفستي

وليهلكن ربه بقيه

من أن يرى الشيخ البجا

ل، وقد يهادى بالمشية[٣٠]

غير أن الإحساس بوطأة البيئة على

الأفراد وخلقها شعباً مقاتلاً - وإن

ظلت صورته واقعية حتى بزوغ

فجر الإسلام - تلاشى في

المنظور الحسي عند أجيال

جاهلية لاحقة، وارتمى في

أحضان نظرة تبجل

الفروسية وتقرّم الفرسان

بوصفهم الفئة الأكثر تميزاً من

عموم ذلك الشعب المقاتل، ونظر اليهم أبطالاً قوميين
ضمن حدود قبيلة أو في إطار تحالف معين. وصار
طموح الجميع يتجه صوب ارتقاء هذه المكانة،
وتباروا في الوصول الى هذه المنزلة، لكن حظوتها
اقتصرت على أسماء تكاد تحصى، وتلك هي سمة
التفوق في كل مجال. وأصبح تمجيد البطولة ظاهرة
بارزة في المكونات البدائية للشعر الجاهلي، يرى
فيها الدكتور عادل البياتي انبعثاً عن عبادة رموز
متجلية في شعائر وثنية أدخلت الى الشعر معنى
سامياً رفع قوماً وحط آخرين[٣١]، وليست تلك
الرموز والشعائر البدائية التي يلح في ذكرها البياتي
سوى ذلك الإحساس الغيبي الحاوي على صفات
الخشونة والقدرة على المدافعة، والذي غرّزته البيئة
في أعماق نفس العربي، وغيب الزمن رسومه الأولى،
وأبقى على صورة الإحترام والتبجيل الظاهرة لها

ولحمتها، لأنهم القادرون على دفع الأذى،

ورفع الضيم عن الأهل والقبيلة،

ويدت صور تباري الناس على

ولوح منافذ الفروسية تحتمل

وجهة ظاهرة مؤداها التيقن

بحتمية الموت، وعدم إمكانية

الفرار منه، والرضوخ لمصير

مجهول لم تتمكن المعتقدات

الجاهلية من وضع الحلول له، وأن

عطية
الإنسان العربي
في جاهليته لم تكن
مفصلة عن الفكر
الإنساني العام
من حولها.

نكرم شائعاً بعد الموت، التفقوا الى الشعر، فوجدوا
في استحسان الناس له ومساءلتهم عن قائله
تعويضاً معنوياً عن بقاء الانسان حيا، وتخليداً لذكركه
في ضمير الأجيال ووجدانها:

وقافية مثل حدّ السنن

تبقى وينهب من قالها [٣٤]

وصفوة القول تنبج عن أن للشعر بعداً غيبياً
في النشوء والإرتقاء والنضج، والكرم والفروسية بعداً
بيئياً فرضته الطبيعة في ذات الإنسان العربي قبل
الإسلام، اتحدت هذه الخصال الثلاث (الشعر،
الكرم، الشجاعة) وأصبحت عماد الحياة الجاهلية،
ومورست على أنها حقائق ثابتة لا تنفصل عن
سجاياء العربي وطباعه بصورة تنويسي معها الأصل
الأول للنشأة والنمو والتكوين. ولما أراد الإنسان
العربي أن يحيا حياة سرمدية طرق الأبواب التي
تخلده كلها، فلم يجدها إلا في طريقة معنوية يجلبها
الجود والفروسية والشعر، ففرغ إليها بوعيه دون
إدراك ممكن نزوع الإنسان الأول إليها، وبهذا اللجوء
يكن سر عودة الإنسان الى الأصل.

ولا تغفل ما يمدنا التاريخ من أخبار تصور
عبادة الجاهليين للأرواح، ولا نفخ النظر عن
قصص الأخباريين المتعلقة بتصورهم لاستقلال
الروح وانفصالها عن الجسد بعد الموت، واتصالها

نيل الخلود الزمني أمنية بعيدة لا تنفع معها التماثل
والرقى:

لعمرك والمنايا غاليات

وما تُغني التميماتُ الحماما [٣٥]

لذلك انصرف الى تحقيق الذكر الحسن عن
طريق الفعال الحميدة، كانت الفروسية واحدة منها،
فلما منه بتواصل خلود الذكر بعد الموت مع الحياة،
وربما اعتقد أن الحياة تكمن في خوالد الأفعال حتى
إذا مات توقف عمله ليبدأ ذكره الحسن:

نريني ونفسي أم حسن أنني

بها، قبل أن لا أملك البيع مشترى

أحاديثُ تبقى والفتى غيرُ خالد

إذا هو أمسى هامة فوق صير [٣٦]

إلا أن هذه الوجهة الظاهرة تضرمت تحتها - في
حقيقة الأمر - أيضاً من الدوافع اللاشعورية احتفظت
بها الأجيال في ذاكرتها واستمرت تأثيرها على نمط
السلوك والمعتقد بكيفية لا تعرف ولا تترك على
المستوى الشعوري للشخص.

واسوة بالآخرين، فقد جالت أبصار الشعراء
في الكون تحاول دفع الموت، فأيقنوا أن البقاء الزمني
محال، وأن المصير ينتظرهم. ولما لم يقلحوا في
إيجاد الخلود إلا بمناقب حميدة، وفعال حسنة تبقي

بالقبر، ورفرفتها فوقه
إذا كان صاحبها
رجلاً مقتولاً ولا يؤخذ
بشاره، وأن نضع على
طاولة الفكر اعتقادهم
بأن النفس لم تزل عند
أهل الميت ومخلفه لتعلم

ما يكون بعده فتخبره[٣٥]، وذلك دليل اعتقاد
بعضهم بانفصال الروح عن الجسد وحلولها بعد
الموت في شجر أو حجر. وما اعتقادهم باستقرارها
في الأماكن المهجورة، والآبار القديمة إلا صورة من
صور الإيمان بأن موت الإنسان لا يمثل فناً تاماً،
وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ومن روح إلى
روح.

ويفيدنا تمثل الشعر في استنتاج فكرة ينبغي
التأني في الوصول إليها: فبإخراجهم حصص
موتاهم مما يأكلون:

يُقسم ماله فينا وندمو

أبا الصهباء إذ جنح الأصيل[٣٦].

وفي نحرهم النوق على قبور الموتى في
الشعائر الدينية التي لها علاقة بروح الاموات:

لا تتركُنْ أباك يعترُّ راجلاً

في الحشر يصرعُ لليدين وينكبُّ

واحملُ أباك على بعير صالح
وتق الخطيئة إن ذلك أصوبُ
ولعلَّ لي مما جمعت مطيَّة
في الحشر أركبُها إذا قيل اركبوا[٣٧]

إنما يقصدون استرضاء أرواح الاموات التي
تطوف في أرجاء الكون.
وفي الوقوف على الآبار المظلمة والمناداة على
الميت:

دعوتُ أبا المغوار في الجفر دعوة
فما أض صوتي بالذي كنتُ داعياً
أظنُّ أبا المغوار في قمر مظلم
تجرُّ عليه الذاريات السوافيا[٣٨]

إنما يعتقدون استقرار روحه فيه واحتمال
عودته للحياة الدنيا، وربما يوهمون أنفسهم بأنه
يسمع خطابهم ويرد جوابهم.

وفي وطء المرأة المقلدة لجثمان الشريف المقتول:
- تركن الشعثمين برمل خبث

تزرُّهما مقاليتُ النساء[٣٩]
- تظل مقاليتُ النساء يطئه

يقلُنْ ألا يلقى على المرء مئزرُ[٤٠]

إنما يعتقدون أن روح القتيل تتحول إلى روح
الجنين الساكن في بطن أمه فيقوى على الحياة بآثر

الإسلام لم تكن عقلية منعزلة، ولم تكن متخلفة عن الفكر الإنساني، وليست متغلقة، بل سيجد فيضاً من أمثلة فكرية كان الإيمان بها متماثلاً عند شعوب بدا العرب جزءاً منها.

ولو أعدنا معاينة فكرة إيمان العربي بتحول روح السيد القتيل الى حياة الجنين الذي لا يستمر عيشه طويلاً في بطن أمه (مقالات النساء)، وحاولنا مقارنتها بما عند الأمم الأخرى فسنعثر على أمثلة مقاربة لها في اعتقاد اليونانيين، إذ تركت لنا ملاحظتهم ما يشير الى أن آلهة الموت ومعاونيهم من الملائكة والجن والشياطين من الإنثا يحلقن على مقربة من ساحة الحرب، ويطرن (فوق ميادين القتال) خفيفات سريعات، وتتهلل أساريهن لمراى الأبطال المحاربين يتساقطون واحداً بعد الآخر، فينقضن

بشفاهن الدمية الحمراء على الجراح ليمتصن بشراة دماء المحاربين الفوارة وينتزعن منهم الأرواح) [٤٢]، وهذه الشواهد وكثير سواها تمثل صوراً من صور إنعاز الإنسان وتفكيره الطبيعي في البحث عن البقاء الى غير انتهاء، والتوق الى أن يظل حياً أبداً، ولذلك فإنه يعطف كثيراً من أوهامه وتخيلاته باتجاه إرضاء هذا الهاجس بما فيه من تخيل بقاء جوهر النفس وتناسخ الأرواح.

هذه الروح، وفي سقيا القبور والدعاء لها بالنعيم وصب الخمرة عليها:

رحمة الله والسلام عليه

وسقى قبره الربيع خريفاً [٤١]

إنما يرون - بوصف أبعد قليلاً - صورة من لهفة روح الميت وعطشها.

فهذه المعتقدات وما سواها، تكشف عن إيمان بعض الجاهليين بانفصال أرواحهم بعد الموت وانتقالها الى شجر أو حجر أو حيوان أو جن تماثل بشكل أو بآخر مع تصورات شعوب الحضارات القديمة، شرقية أو غربية، برضوخ بني البشر لرغبات الآلهة والشياطين في استلاب الأرواح، إذ يعتقد الفيثاغوريون - مثلاً - بأن (الذرات

الترابية التي نجدها في أشعة الشمس ليست إلا نفوساً إنسانية انفصلت عن أبدانها وعاشت محلقة في الهواء) [٤٢]، وهي النظرية نفسها التي سيأخذ بها أفلاطون في تناسخ الأرواح.

ومن يبحث في أساطير الشعوب القديمة ومعتقداتها ونشاطاتها وتصوراتها عن حياة ما بعد الموت، ويجري استقراء مقارناً فيها، سيتق بمقولة: إن عقلية الإنسان العربي قبل



الهوامش :

- (١) مشكلة الإنسان، زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٥٩م ص ١٥.
- (٢) دونت كاملة في المطلع البابلي القديم في حدود ٢٧٠٠ ق.م.
- (٣، ٤، ٥) ملحمة جلجامش، طه باقر، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٠م. الصفحات ٢١، ٥٦، ١١٧، ١٢١ على التوالي. ولزید من التفاصيل حول الخوف من الموت والبحث عن الخلود في الموروث الإنساني، ينظر بحثنا الموسوم بـ (الشعر والفكر الفيلسوفي في الموروث الإنساني) المنشور في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، العدد ٤٢٧ سنة ١٩٩٩م.
- (٦) الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، د. حسن عبد الجليل يوسف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت) ص ١٧.
- (٧) الموت والعبقريّة، عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت ١٩٤٥م. ص ٥.
- (٨) م. ن. ص ٥.
- (٩) ديوان تميم بن مقبل، تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٥٢م.
- (١٠) الملموم: الحجر المجموع بعضه إلى بعض، وهو الصلب المستدير، والحجارة مما يوصف بالظلود والبقاء.
- (١١) شعراء النصرانية، لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٤م. ق ٥ ص ٧٤٨. والبيتان لكعب بن سعد الغنوي. الطلق: كل ما علق به الإنسان من حب أو كره، ويقال معناها عند استحكام الأمر وانبرامه، الجنيب: الغريب.
- (١٢) ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي (برواية الأعلام الشنتمري ت ٤٧٦هـ) تحقيق الشيخ ابن أبي شنب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٤م. ق ١١.
- (١٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر بن القاسم الاتباري ت ٣٢٨هـ، تحقيق عبد السلام

- محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م. ص ١٩٢ - ١٩٣. والبيتان من معلقة طرفة بن العبد.
- (١٣) ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٧م. ص ١٤، اللاحي: اللاتم.
- (١٤) ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح حسين نصار، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٧م. ص ٤٩. وأخيه: حباله، أوعيت: حفظت في وعاء.
- (١٥) ديوان الحانرة، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م. ص ٧٢.
- (١٦) ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبار المعيب، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٥م، ق ٢٤. عصرة: المنجاة والمجأ.
- (١٧) شعر الأقبه الأودي ضمن كتاب (الطرائف الأدبية) صنعه عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) ص ١٥. يجتبر: يعوض.
- (١٨) تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣٠١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م. ج ١ ص ٢٢٣.
- (١٩) ديوان طرفة بن العبد، بشرح الأعلام الشنتمري، مطابع برطند، باريس ١٩٠٠م. الزيادات، ص ١٤٨.
- (٢٠) كتاب شرح اشعار الهذليين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٥م. ج ٣ ص ٦٣. العصم: الوعل والظباء الممتعة في الأعلى، الأوايد: الوحوش، قيل سميت بذلك لبقائها إلى الأبد، قيل إنها لم تمت حتف أنفها قط إنما موتها عن آفة.
- (٢١) ديوان عدي بن زيد العبادي (مصدر سابق) ق ٣٩.
- (٢٢) الطبيعة في الشعر الجاهلي، د.نوري القيسي، مطبعة الارشاد، بيروت ١٩٧٠م. ص ١٥٦.
- (٢٣) الحماسة، أبو عبادة البحتري، تحقيق كمال مصطفى، المطبعة الرحمانية، مصر ١٩٢٩م. ص ٦٢. والبيت للحصين بن الحمام، وهو شاعر وفارس جاهلي.
- (٢٤) شرح ديوان حاتم الطائي، شرح وتحقيق عباس ابراهيم، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٥م. ص

(٢٣) ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار صابر، بيروت ١٩٦٤م. ص ٢٥. والبيتان لعروة. هامة: يزيد أن الفتى يموت ويخرج منه طائر، صيّر: حجارة تُجعل كالحظيرة زدياً للغنم.

(٢٤) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٨م. ج ١٥ ص ٧٢.

(٢٥) للمزيد من التفاصيل ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألويسي، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، ط ٢، دار الكتاب العربي، مصر ١٣٤٢هـ، ج ٢ ص ٣١١. وتاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٥م. ج ٥ ص ٢٧ وما بعدها.

(٣٦) الحماسة (مصدر سابق) ص ٢٨٩. من قصيدة جاهلية للشاعر مخضرم هو عبد الله بن عنمة الضبي.

(٣٧) كتاب المحبر، أبو جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥هـ، تحقيق إيلزه ليختين، دار الألاق الجديدة، بيروت (د.ت) ص ٣٢٣. يُعتر: يُقتل.

(٣٨) بلوغ الإرب (مصدر سابق) ج ٣ ص ٢. أض: عاد.

(٣٩) م.ن. ٢٤٠ ص ٣١٨، ولم يذكر قائل البيت. والشعثماني: شعثم وشعث ابن معاوية بن عامر بن نهم بن ثعلبة. مقاليت النساء: مفردتها المقلاة، هي التي لم يبق لها ولد، وقيل هي التي تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك. وكانت العرب تزعم أن المقلاة إذا وطئت رجلا كريماً قتل غداً عاش ولداً.

(٤٠) تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، مادة (ق ل ت). والبيت لبشر بن أبي خزم الأسدي.

(٤١) ديوان الخنساء دراسة وتحقيق، د. إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر ١٩٩٥م. ص ٤٠١.

(٤٢) ربيع الفكر اليوناني، عبد الرحمن بدوي، طه، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت ١٩٧٦م. ص ١١٥.

(٤٣) أساطير اليونان، د. عماد حاتم، الدار العربية للكتاب، طرابلس ١٩٨٨م. ص ٦٩.

٢٥ - ٢٦. العيقوق: نجم في السماء يلي الثريا، عرد: مال إلى السقوط، ضلة: على غير هدى، ضن: بخل، صرد: قل عطاؤه، معبداً: معبوداً، الجنة: البرج الذي يتقى به.

(٢٥) كتاب شرح أشعار الهذليين (مصدر سابق) ج ١ ص ٤٦٩. والبيت لمالك بن خالد، هو شاعر هذلي جاهلي مقل. ذي نوران: موضع. هام: جمع هامة، كانوا يقولون: إذا قتل رجل فلم يثر به يخرج من رأسه طير أسموه هامة تصيح اسقوني اسقوني. حتى يؤخذ يثأره.

(٢٦) ديوان المتلمس الضبي، برواية الأثرم ت ٣٢٢هـ، ورواية أبي عبيدة ت ٢٠٩هـ عن الأصمعي ت ٢١٦هـ، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، مطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر، مصر ١٩٧٠م. ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢٧) عشرة شعراء مقلون، صنعة د. حاتم صالح الضامن، دار الحكمة، الموصل ١٩٩٠م. ص ١٤. والبيت للفند الزماني، وهو شاعر جاهلي.

(٢٨) العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وزميلييه، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٨م. ج ١ ص ١٠٠.

(٢٩) الحماسة (مصدر سابق) ص ٦٢. والبيت للحصين بن الحمام أيضاً. الكلوم: جمع كلم، وهي الجراحة.

(٣٠) المؤلفات والمختلف، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى ت ٣٧٠هـ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦١م. ص ٢١٠ - ٢١١. البجال: يبجله الناس لكبر سنه ووقاره ونبله، يهادى: من هديته الطريق والبيت عرفته إياه، وهذه لغة أهل الحجاز.

(٣١) ينظر: دراسات في الألب الجاهلي، مباحث تراثية ونصوص دينية وتراجم، د. عادل البياتي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ١٩٨٢م. ص ٤٢.

(٣٢) كتاب شرح أشعار الهذليين (مصدر سابق) والبيت لصخر الفي أيضاً.

المرأة واللغة: الحقيقة والوهم

عبث مدمر :

وكان الجواب النبوي فيما رواه ابن عباس: «يلتقى

الماءان - أي ماء الرجل وماء المرأة - فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أُنكرت وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت».

وفي صحيح مسلم: «وإذا اجتمعا فعلا مَنِي المرأة مَنِي الرجل أنثا» [٢].

فنسب «الإيثار» أي الإتيان بأثني إلى الرجل والمرأة معاً، لأن الجنين قد تكوّن من نطفة الرجل وبويضة المرأة.

فالرجل «يؤنث» أي تولد له أنثى حينما يسبق الحيوان المنوي المؤنث إلى البويضة فيلقحها، وترجع ملايين الحيوانات المنوية التي تتضمنها النطفة لتواجه الموت بعد أن لم يبق لها مجال للتلقيح.

والمرأة «تذكر» أي تلد ذكراً تكوّن من حيوان منوي مذكر من الرجل ومن بويضتها التي لقّحها هذا الحيوان.

وإن فمصدر الأنوثة في حيوانات الرجل المنوية المؤنثة. كما أن مصدر الذكورة الحيوانات المنوية المذكرة، وليس للمرأة شأن في عملية التذكير والتأنيث. وقد أدركت هذه الحقيقة المرأة العربية التي كانت تلد إناثاً.. فهجرتها زوجها «أبو حمزة» عقاباً لها على ذلك فأنشبت وهي تُرَقِّص وليدتها:

ميا لبي جـمـرة لا يثينا

يظل في البيت الذي يلينا

ليس هناك فصل بين عالم الذكورة وعالم الأنوثة، فهما متداخلان متعانان.. ومن هنا فإن تصور عالم مستقل للذكورة وعالم آخر للأنوثة منافي تماماً للعلاقة الحقيقية بين النوعين اللذين هما من جنس بشري واحد ومن نفس واحدة.

كما قال الحق سبحانه: {فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض} [١].

ومحاولة إحداث التقايف والتقاطيع بين هذين النوعين أو إعلاء شأن أحدهما وخفض شأن الآخر إن هي إلا محاولة مضادة للفطرة ومنافية لمصلحة الرجل ومصلحة المرأة على السواء.. أو هي هدم لأساس الأسرة وتقويض لبناء المجتمع!

وفي معاجم اللغة: أنثت المرأة إذا ولدت أنثى فإذا غلب عليها هذا فلم تلد إلا إناثاً سميت «مئنثاً» أي كثيرة ولادة الإناث. لكنها إذا ولدت ذكراً قيل لها «أُنكرت» كما في الحديث الشريف الذي رواه أحمد في مسنده: «كيف تؤنث المرأة وكيف تُذكر» [٢].

وكان هذا من أسئلة اليهود الخمسة التي وجهوها إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) لاختبار صدق نبوته كما زعموا.



بقلم: د. مصطفى عبد الواحد

- جامعة أم القرى -

ولا تضادها .. فالنوعان يجتمعان معاً .. لكن غلبة أحدهما على الآخر هي التي توجه كلا منهما وجهته وتحدد له مجاله .

وهذا معنى قوله تعالى: [يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة]، فالفطرة الإنسانية واحدة وأصل الخلق واحد، وليس هناك ذكورة لا تحتاج الى الأنوثة ولا تعايش معها .. والعكس بالعكس .

لكن «حركة التمركز حول الأنثى» في العصر الحديث تتجه الى العبث المدمر .. كما قال الدكتور المسيري:

«وبينما تعترف حركة تحرير المرأة بالاختلافات بين الرجل والمرأة وتحاول ألا يكون هناك تفاوت اقتصادي أو إنساني نتيجة هذا الاختلاف .. فإن حركة التمركز حول الأنثى لا ترفض التفاوت فحسب .. بل ترفض الاختلاف ذاته .. وبينما تعترف حركة تحرير المرأة بأن هذا الاختلاف يؤدي الى اختلاف في توزيع الأدوار وتأمل ألا ينجم عن هذا الاختلاف ظلم أو تفاوت اجتماعي، فإن حركة التمركز

غضبان أن لا نلد البنينا

تالله ما ذلك في أيدينا

وإنما نأخذ ما أعطينا

نُنْبِتُ ما قد زرعوه فينا

فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقيلَ رأسي امرأته وابنتها [٤] .

والعلم الحديث يقرر أن الرجل يحمل في دمه «هرمونات» ذكورة وأنوثة .. ولكن الرجولة تقتضي غلبة الهرمونات المذكورة على المؤنثة . فإذا حدث خلل في تلك النسبة ظهرت على الرجل بعض علامات الأنوثة في الصوت والشكل وغير ذلك .

كما أن المرأة تحمل في دمها هرمونات أنوثة كثيرة وأخرى ذكورية أقل منها .. فإذا اضطربت النسبة فغلبت هرمونات التذكير في المرأة على هرمونات التأنيث ظهرت عليها بعض أعراض الذكورة في الصوت والشكل والتصرفات .

وبهذا الأحكام في الخلق فإن الذكورة لا تنفي الأنوثة ولا ترفضها .. وكذلك الأنوثة لا تنفي الذكورة

**** حركة التمركز حول الأنثى: ترفض الاختلاف في الجنس وترفض التفاوت وتوزيع الأدوار .**

**** هذه الحركة تعني الانفلات الكامل عن كل قواعد الخلق والتكوين .**

**** حقوق المرأة
وأجندة تخفي
وراءها أهدافاً
شريرة هدامة
تقوض البناء
الاجتماعي
وتشيع الفوضى.**

**** انهم يدعون
لـ (استرجال
المرأة) و(تخثت
الرجل).**

**** حرية المرأة،
وحقوقها،
حركة تفكيكية
تسبب مدمرة.**

**** المصباح
بالتشريع
واللغة، يأتي
متناسقاً مع
المصباح بالمرأة.**

**** اللغة علاقة
بشراكة بين
الرجل والمرأة ..
لا تخضع الأنوثة
أو ذكورة.**

حول الأنثى ترفض توزيع
الأوار، وتطالب أن
يصبح الذكور آباء أو
أمهات، وأن تصبح
الإناث بدورهن آباء
وأمهات! بل إن الأمر
يمتد ليشمل الأساس
ذاتها. فالمرأة عندهم -
يجب ألا تختلف
مشاعرها عن مشاعر
الرجل .. ويمتد الأمر
لرؤية الإنسان للإله [ه].

ثم ذكر المؤلف في
هذه النقطة الأخيرة
أفكاراً كافرة شريرة تفوه
بها أصحاب هذه الفلسفة
الصهيونية الضالة التي
يحتذيها المقلدون من
المسلمين!.

والقضية عند هؤلاء
أخطر من البحث عن
حقوق المرأة المسلمة كما
يزعمون .. بل إن لها
أهدافاً هدامة شريرة
تقوض البناء الاجتماعي
وتشيع فيه الفوضى
والخراب!

وقد رتب الدكتور المسيزي المراحل التي تستهدفها
حركة التمركز حول الأنثى على هذا النحو:
«وتصبح القضية ليست جعل الذكر مثل الأنثى،
بل ينتج عنها ثنائية صلبة تصبح ثنوية، فيتم عزل
الأنثى تماماً عن الذكر باعتبار أن ما تحس به الأنثى
لا يمكن للذكر أن يحس به، وباعتبار أن التجربة
التاريخية للأنثى مغايرة تماماً للتجربة التاريخية
للذكر. ويمكننا هنا أن نرى تطوراً تاريخياً في قضية
علاقة الذكر بالأنثى، من مساواة للذكر بالأنثى إلى
ظهور «الخنثى» وأخيراً ظهور الأنثى التي لا علاقة لها
بالذكر ولا بالأنثى، كما نعرفها!

وحينما يصل الأمر إلى هذه المرحلة فإننا لا
نتحدث عن برنامج للإصلاح .. بل عن برنامج
«تفكيكي» تخفي فيه كل المقولات الثنائية التقليدية
مثل: إنسان/طبيعة، إنسان/حيوان. ذكر/أنثى.
ويختفي المركز تماماً ويصبح التمييز مستحيلاً. عند
هذه المرحلة تلتحم حركة التمركز حول الأنثى بحركات
«حولية» مماثلة كالدفاع عن «السحاق» وعبادة الأرض،
فهي كلها حركات تفترض أن ما هو مطلق لا يتجاوز
المادة بل يكمن ويحل فيها. فهو «الأرض» بالنسبة
لعبداء الطبيعة. وهو الأنثى بالنسبة لحركات التمركز
حول الأنثى وهو «الطبقة العاملة» بالنسبة للفكر
الشيوعي، وهو «المنفعة واللذة الفردية» بالنسبة
للبرالية. وهذا المطلق عندهم هو «الحال» - بتشديد
اللام - الذي يحرك التاريخ. ويساوي بين كل الكائنات
ويسويها الواحدة بالأخرى [6].

وهذا كلام خطير ينبغي أن نتوقف أمامه طويلاً

الناعون بقضية السلطة الذكورية الظالمة - في نظرهم - وعلى الأسرة «الأبوية» التي يكون فيها الرجل قوَّماً على أهله .. ثم يمتد عبثهم الى التشريع واللغة والأدب .. زاعمين أن الرجل اغتصب اللغة من المرأة وأضفى عليها طابع الذكورة .. متناسين أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن لفرد أو أفراد أن يسيطروا عليها .. كما سنبين ذلك في موضعه .

إن الذين يزعمون أن المرأة المعاصرة قد أسست لغتها الخاصة وحررتها من سيطرة الذكور جاهلون أو متجاهلون .. فليست هناك لغة خاصة للذكور وأخرى للإناث .. وإلا فلن يفهم أحدهما الآخر .

وليس هناك في العالم القديم أو الحديث مجتمع عرف التمييز بين لغة الذكور ولغة الإناث .. فما دام النوعان من نفس واحدة .. وما داما ينتسبان الى الحقيقة الإنسانية فلا بد أن تكون اللغة بينهما علاقة مشتركة تعبر عن الذكور كما تعبر عن الإناث .. وكما تعبر عن الكون والحياة .

- البحث صلة -

الهوامش :

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٥ .

(٢) المسند ١/٢٧٤ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الحيض، حديث رقم ٣٤ .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١/١٠٥ .

(٥) اليد الخفية، ص ١٨٢ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) المرجع السابق .

لندرك أن ما يتصايح به المقلدون والاتباع في عالمنا العربي من استنكار السلطة الذكورية ومن الدعوة الى المساواة المطلقة بين الانثى والذكر والزعم بأنه لا فرق بين الجنسين . وإقناع المرأة بأن «تسترجل» أي تشبه بالرجال في كل شيء .. وإقناع الشيباب بتقليد الفتيات في النعومة والطفة والأزياء .. إن هو إلا استجابة لهذه الفلسفات الخادعة المدمرة التي يخطط لها الأشرار من كل قبيل!

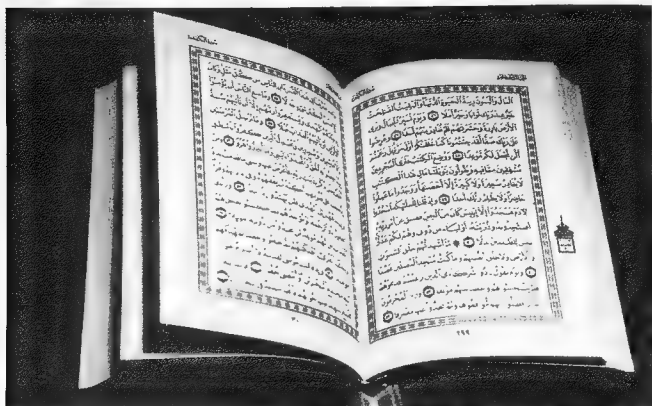
ويقرر الدكتور «المسيري» أن المرأة اليهودية كانت مرشحة أكثر من غيرها لأن تتخبط في صفوف حركات تحرير المرأة ثم حركات التمركز حول الأنثى في الغرب لأسباب عديدة منها:

١ - ارتفاع معدلات «العملة» بين الإناث اليهوديات في الغرب بنسب تفوق مثيلاتها لا بين أعضاء المجتمع الغربي فحسب .. وإنما بين الذكور اليهود أنفسهم!

٢ - أن الفكر اليهودي «الحلولي» ولد لدى الإناث اليهوديات قابلية عالية للغاية لتقبل نزعة التمركز حول الأنثى والدعوة لها .

ويلاحظ أن مقولة: يهود/ أغيار - أي يهود وغير يهود - تقابل عندهم مقولة: أنثى/ ذكر . كما أن التمركز حول الأنثى يشبه التمركز حول الهوية اليهودية ورؤية تاريخ البشر كتاريخ ظلم وقمع واضطهاد لليهود وللإناث هو الآخر عنصر مشترك، ويشترك الفريقان في البرنامج «التفكيكي العدمي» [٧] .

وفي ضوء ما كشفت عنه تلك الدراسة وما قدمت من وثائق وأعمال قام بها دعاة حركة التمركز حول الأنثى، فإننا ندرك عمق الهاوية التي يقف على شفيرها



أسلوب الإيقاع الموسيقي للقرآن الكريم:

ان من أهم خصائص أسلوب القرآن الكريم الوزن أو الإيقاع الموسيقي الذي يتميز بتخير الألفاظ العذبة المنظمة في نسق خاص. كما أنه يجمع بين النثر والشعر من أجل التعبير عن أهدافه ومقاصده. ولا يمكن اعتبار آيات القرآن الكريم أبياتا شعرية أبداً - فالفرق كبير جداً بينهما كما أن هناك تشابهاً بين أسلوب القرآن والسجع الذي نبغ فيه العرب نظراً لتأثيره على المشاعر والأحاسيس النفسية.

أسلوب التشبيه في القرآن الكريم:

التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى يجمعهما، وقد احتوى القرآن الكريم على

إن الإعجاز القرآني يشمل كل الجوانب والمناحي اللغوية والأدبية والعلمية والتشريعية.. وهذا الإعجاز المتعدد بين عظمة القرآن الكريم وعظمة الله سبحانه وتعالى خالق الكون والحياة والإنسان ولعل من أهم مظاهر الإعجاز القرآني أسلوبه الذي يتميز بخصائص كثيرة (لقد اختص القرآن الكريم بكثير من الفنون البلاغية كالتشبيه والاستعارة والإيجاز وضرب الأمثال وغير ذلك مما يجعلك عند تلاوته متذوقاً سحر بيانه وروعة أسلوبه ويعرف فضل القرآن من إكثار النظر والإمعان فيه، ومن اتساع علمه وفهم مذاهب العرب وقنونهم في الأساليب وما امتازت به لغتنا العربية دون جميع اللغات [١])

اسلوب الاستعارة في القرآن الكريم:

لقد احتوى القرآن الكريم على صنف من الاستعارة البلاغية التي تظهر منزلته في التعبير. قال تعالى: {اشتعل الرأس شيباً} (مريم/٤)، إن سعي الشيب في الرأس هو بمثابة أو منزلة النار التي تشتعل في الفحم.

قال عز وجل: {وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وثُفِّخَ في الصور فجمعناهم جمعا} (الكهف/٩٩). إن كلمة يموج استعارة ليس فقط لمعنى الاضطراب بل صورة لخيال الجمع الحاشد من البشر الذي لا يدرك بالعين المجردة. (وتوحي الآية الكريمة قدرة الله تعالى على جمع كل البشر وحسابهم في وقت واحد مما يشعرهم بالخوف والخشوع من الله تعالى فيعمل كل منهم جساياه لهذا اليوم ويعد نفسه للقاء الله وهو محسن) [٢].

الإيجاز في القرآن الكريم:

الإيجاز هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ. والقرآن الكريم يدل بالكلمة الواحدة على معان كثيرة ومثال ذلك في قوله تعالى: {إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون} (النحل/٩٠): أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بكل معروف ونهى عن كل منكر وختم الآية بأبلغ موعظة لها من أجل التأثير الوجداني والنفسي كل ذلك بألفاظ قليلة.

أنواع كثيرة من التشابه البلاغية التي تهدف إلى التأثير في النفوس، وفيما يلي بعض الأمثلة من هذه التشابه التي توضح الأمور المعنوية بالصور المرئية: قال تعالى: {مثل الذين اتخضوا من دُون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون} (العنكبوت/٤١).

تشبه الآية ضعف ما اعتقد فيه المشركون في عباداتهم لغير الله بالعنكبوت، تلك الحشرة الضعيفة التي تجهد نفسها في البناء لكنها لا تبني إلا أوهن البيوت.

قال عز وجل: {مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء} (ابراهيم/١٨).

يشبه القرآن الكريم أعمال الذين كفروا بربهم بالرماد الذي هبت عليه الرياح بشدة فنثرته ولم يبق له أثر. إذا كان صاحب الرماد المتطاير لا يمسك بشيء منه فإن الكافر يوم القيامة تذهب أعماله سدى بدون ثواب.

قال تعالى: {إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارة فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس} (يونس/٢٤).

لقد شبه القرآن حال الدنيا والمغتربين بقوتهم فيها ومآل حالهم من أجل التأثير في نفوس الناس.

نارا تضيء طريقه فعرف الى أين يسير ثم شمل المكان ظلام دامس فأصبح لا يدري فيه السائر: أن يضع قدمه.

قال تعالى: [إِلْ كَذِبُوا بِمَا لَمْ يَحِيطُوا بِعَلَمِهِ] (يونس/ ٣٩) وهو كالمثل المتداول: (من جهل شيئا عاده). وقال عز وجل: [وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا] (الفرقان/ ٦٧) وهو كالمثل المعروف: (خير الأمور أوسطها).

تكرار معاني القرآن الكريم من أجل التأثير النفسي:

يشتمل القرآن الكريم على أسلوب التكرار بعبارات مختلفة ولكن المعنى يبقى واحداً وحكمة ذلك تتجلى في قوة التأثير على النفس البشرية وتبليغ المراد والهدف والإقناع وتركيز الرأي والعقيدة وتوكيد الجزر والوعيد والتذكير والموعظة. ويعد أسلوب التكرار ضرباً من ضروب القدرة التعبيرية التي اختص بها القرآن الكريم.

الهوامش:

- (١) راشد عبد الله الفرحان - تفسير القرآن - منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.
- (٢) عفيف عبد الفتاح طيارة - روح الدين الإسلامي - دار العلم للملايين - بيروت.

وفي قصبة وصف طوفان نوح إيجازاً بليغاً وإعجازاً قال تعالى: [كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ نوحَ فَكُنُوا عِبَدَنَا وَقَالُوا مُجْنُونٌ وَازْجِرْ فَعَمَّا رَبِّهِ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ] * ففتحن أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر] (القمر/ ١٤٨).

إن هذه الآيات الكريمة تصور الطوفان بالفاظ قليلة ومعانٍ بليغة. ويصل الإعجاز البلاغي نروته المتمثل في الإيجاز حين وصف القرآن انتهاء الطوفان بهذا القول البليغ: [وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين] (هود/ ٤٤).

الأمثال في القرآن الكريم وآثارها النفسية:

قال تعالى: [وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] (الزمر/ ٢٧). إن ضرب الأمثال يعد من أهم خصائص الأسلوب القرآني الذي من أهدافه التذكير والوعظ والإرشاد والتأثير النفسي والوجداني في المستمعين. وهذه بعض الأمثلة: قال تعالى: [مَثَلُ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ، صُمُّ بَكْمٍ عَمِيَ فِيهِمْ لَا يَرْجِعُونَ] (البقرة/ ١٦-١٧). شبهت هذه الآية حيرة المتنافقين واضطراب أحوالهم بالذي يسير في الليل وقد أوقد



حب الوطن

حب الوطن أجمل مشرق من مشارق

العشق الأبدى !

لا يعترف حب الوطن بأي شكل من

أشكال الغروب !

بأي لون من ألوان الليل !

بأي وجه من أوجه الضياع !

بأي درجة من درجات الشك !

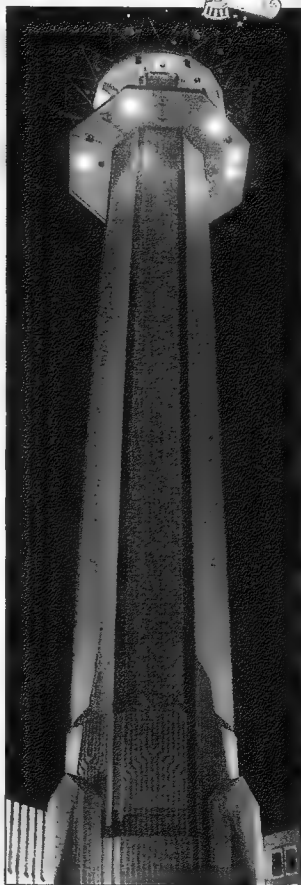
يعترف فقط أن نسير عُشاقاً متحررين

من سطوة الزمان والمكان !

فحب الوطن لا يعترفُ بحدود الزمان والمكان !

إنما يعترفُ فقط أن نكون أحراراً حتى في حبنا

له !



علمني الوطنُ كيف يخفقُ قلبي بحبه، كيف
تتكونُ القصائد الغرامية بحبه، كيف يصيح
ويمسي قلبي في لحظة من لحظات حبه عصفوراً
مفرداً لا يشابهه في عنوبة صوته عصفوراً آخر في
العالم !

علمني الوطن الحبيب كيف أحيا بجواره وفي
صدري مكتباتُ الحب، وفي قلبي وعقلي دواوينُ
الحب وفي قلبي الحبرُ المخصص للحب !

لا أملك في حب الوطن لغة واحدة، بل لغات
مختلفة فحروفي كلها لغات، وأشعاري كلها لغات،
ونبضات قلبي كلها لغات، وأنا في حب الوطن
لوحدني لغات !

ولكن كل هذه اللغات في حب الوطن لا تحتاجُ
إلى مترجم !

أعطوني الشمس والقمر ! أعطوني المشرق
والمغرب ! أعطوني كنوز الدنيا ! أعطوني ملايين
النجوم والمجرات !

من دون الوطن أفقدُ كل هذه الأشياء !

وعندما نقولُ نفعُ، وعندما نحِبُ تتساقط
أمامنا كل أصناف القيود، كل طاولات اللعب، كلُ
معاجم الوحشية والهمجية !

كيف لا نحب الوطن؟ والوطن علمنا كيف يكون
الحب، وكيف تشتمل كلماته هياماً، وكيف يخلقُ
الهيامُ به أحلاماً، وكيف نذوب في قارورة عطره،
وكيف نفوح مسكاً عندما نذكرُ اسمه، وكيف نتحول
في لحظات إلى رياحين وياسمين تتناثر من الشوق
له على جنات شوارعهِ أنفاماً وألحاناً !

وكيف نحول أحلامنا وأوراقنا وأشعارنا
وألحاننا التي باقية ورد تُقدم له في يوم ميلاده !

على كل ذرة رملٍ من رمال الوطن أجمل
قصيدة عشق لم تكتب بعد !

وفي كل قطرة ماء من حياء الوطن أجملُ لؤلؤة
لم يستخرجها الغواصون بعد !

وفي كل سخاية من سحبهِ رُجات الحب
السرمدية !

وفي كل شجرة من أشجاره غاباتُ الشغف
الوردي !

وفي كل لون من ألوان طيفه وجهُ الربيع وهو
في أجمل ريفه !

عبد الله علي الأقرم القطيف



حَدَّثْ فَإِن الصَّبَح كَاد يَرشُنَا

بِالنُّور كَيْمًا يَغْسِلُ الظُّلُمَاء

حَدَّثْ فَإِن السَّر يَكُلُ بَعْضُهُ

فِي صِيْمَتِنَا وَيَحَاذِرُ الْأَعْدَاء

حَدَّثْ فَإِن الْعَيْن كَانَتْ تَهْتَدِي

لِمَكَانِنَا، وَتَحْرُكُ الدُّهُمَاء

خَلَصَ خِيَوَطِي مِنْ خِيَوَطِكَ إِنَّمَا

نَجْنِي مِنَ الْعَهْدِ الْوَثِيقِ عَنَاء

حَطَمَ كَوْسًا أَتْرَعْتَ مِنْ لَهَوْنَا

يَكْفِيكَ رِيَا أَنْ تَسْغِيغَ الْمَاء

شَعْرِي عَصَاةً أَضْلَعِي أَسْقِيْتَهَا

قَلْبِي فَبَفَاضَتِ رَحْمَةِ وَدَمَاء

يَشْدُو بِهِ الْحَرُ الْمَعْنَبُ بِرْمَةً

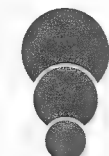
وَيَعْتَوِدُ يَشْكُو الظُّلَمَ وَالْأَوَاء

إِيَّاهُ .. فَمَا دَمَعَ الْكَرِيمُ كَنَانِعَ

نَثَرَتْ عَلَى خَسَدِ التُّرَابِ رِيَاء

لَكِنَّهُ الْجَمْرَاتُ تَشْوِي جَفَنَهُ

حَتَّى يَنْوِبَ صَبَابَةُ وَشَقَابَاء



لشعري عصاة أضلعي



صالح بن عبد الكريم العبردي - بريدة

(متن...ول)



كنت ألتجئ على نفسي، أداري الخجل الآتي

كحقل ضاع من ذاكرة النبع،

وتاريخ الفصول

قلت: يا شيخ...

فما أمهلني، فتح الكيس، وأعطاني رغيث

كان بالباب مقيماً فاتحاً كفيته نحوي

وبيعيته حكايات وأسرار قديمه

كان يمتد على خارطة الحزن نبشيداً أبدياً

حاملاً أشياء لا يعرفها

مرة يرنو إلى الدرب ومرات إلينا

كان سلطان من القهر على جبهته

كان يبكي، لم تكن دمعاته بذرفها

كان في صرخته المخوفة أشباح الهزيمة

وعصاه صبرت عشرين عاماً

وستبقى معه حتى القيامه

كان يهتز كعصفور شتائي بلا مأوى

وإن يفتح لي راحته طارت إلى الأفق يمامه

قال: أمضيت سواد الليل في الثلج

على كتف الرصيف

قال لي: أولادي الخمسة سيكون من الجوع

يجفون كإوراق الخريف

قال لي:

ما عدت أدري ما أقول

عز الدين سليمان سليمان - الرياض



البيان في ذكر الالفاظ الدالة على العيه وما حولها

البيان العبري من جهة الالفاظ من الكلمات
والاصطلاحات التي يستعملها ذلك الشعب في وصف
الشخصية وطبعه بالذات في الابن انشأ سطر في ذكر
الاصناف والاعمال في ذكره ما يعبر عن كل صفة
عن كلم من الالفاظ التي رويها المفسرون عباد
عباده من جهة الالفاظ من خلالها في تفسيرها
مفسرين المفسرين في الالفاظ من جهة الالفاظ
في وضعه.

وهذا ما دللنا على ان الالفاظ التي رويها المفسرون
حولها

والالفاظ العبرية التي استعملت في وصف
عباده

منها اسلمح جليل العيون الا انهم لم يلاحظوا
والمرأة لخصاء

افا قيل علم المفسرين انهم لم يلاحظوا
الجفون

ما دللنا على ان الالفاظ التي رويها المفسرون
حاشية



وأديب العربية الكبير الجاحظ صاحب
البخلاء والبيان والحيوان عدا عن رسائله الكثيرة
أشهر من أطلق عليهم هذه الصفة.

- أما إذا كان في العين رطوبة فهو ضعيف
النظر برطوبة.

- إذا اشتد سواد العين فالرجل أدمع والمرأة
دعاء.

- إذا اسودت أطراف العين فهو اكحل فيبدو
كأن الكحل في عينه.

- إذا استوى السواد وصفا البياض واتسع ما
بين الأجناف فالرجل أحور والمرأة حوراء.

وفيها يقول الشاعر:

إن العيون التي في طرفها حور

قتلنا ولم يحيين قتلاتنا

- إن خالط السواد خضرة يسيرة فالرجل

أشهل والمرأة شهلاء

- إن خالط البياض حمرة فالرجل أسحر

العينين والمرأة سحراء.

- إن خلصت الخضرة الى الزرقه أي عند تحول

الاخضر للأزرق في العينين فهو أزرق العين وهذه
صفة تغلب علي ذوي البشرة البيضاء والشعر
الأشقر.

- إذا اشتدت الزرقه فهو أشقر العينين.

- أما إذا غلب البياض على الأزرق فالرجل

يطلق عليه أبلج.

- أما إذا اختلف لون العين كأن تكون إحدهما



زرقاء والأخرى سوداء فالرجل أحيف العين اليمنى فهو أخفش.

أو اليسرى والمرأة حياء. - أما إذا لم يعد يرى الاجسام القريبة فهو

- أما إذا كان اتجاه النظر في العين باتجاه ^{أكبس} أكبس:

الانف وكلا العينين تنظر للأخرى فهو أقبل. - إما إذا لم يعد يستطيع أن يرى النور فهو

- أما إذا ارتفع مستوى العين باتجاه ^{أجهر} الأعلى:

فهو أدوش والمرأة دوشاء. - إما إذا انقلب جفن العين فهو أشر.

- أما إذا حال شعر الأجفان فهو أوطف.

- أما إذا كانت العينان بخلاف بعضهما

- وإذا تساقط شعر الاجفان فهو أعمش.

البعض كأن تكون إحدى العينين بالطرف الأيمن

- وإذا خسر إحدى عينيه فهو أعور.

والأخرى بالطرف الأيسر فهو أحول العين اليمنى

- أما إذا فقد النظر فهو أعمى.

أو اليسرى.

- أما إذا كانت العينان مفتوحتين ولم يعد يرى

النور فهو قاتم العينين.

أما من جهة النظر :

- فإذا قلَّ النظر ولم يعد يرى الأشياء البعيدة

أبراهيم علي ابن رمان الرياض

(أهاسيات مسافرا)



شعراً يقاتل بالبروق وبالعود

فجر عروق الشوق

بحر دماء لا يجف

دفع الله يرمف ابن عاتلة الشمرية

قف .. لا ترتجف

كف عن الحديث لا تصف

دع الغرام والكلام واعتكف

ودّع زمانك

ودع مكانك

قف صنوبرة، لا تمت، لا تجف

لا تحاور أو تناور

لا توافق أو تختلف

أبعد عن دروب العشق

لا تنافس .. لا تقاوم أو تعترف

دع القصيد والنشيد

اركب صهيلك عبر صحراء الظما

وبالظلام التحف

قف .. لا ترتجف

ارسم بعوج هواك

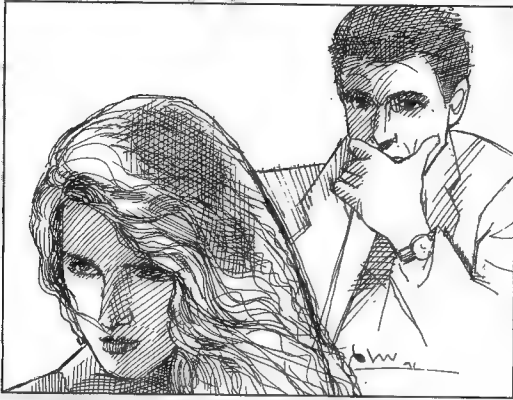
في الأفاق البعيدة

سحباً تسافر بالوعود

شمساً تضيء لك الوجود



ن ص ر ي م



أنها ستكون أفضل بعيداً عني، ستجد من يحقق لها
أمنياتها أكثر مني ..

وبعته ويودي لو يودعني
صفو الحياة وأني لا أودعه

هذا ما قاله لي أحد الأصدقاء عندما أتاني ليلقي
بهمه من على كاهله - وهذا حال أصدقائي يوماً -
فسألته: هل هي من أرادت الفراق؟

فقال :

وك تشفع لي يوم الفراق ضحني
وانمعي مستهلات وأبمع

فقلت له: يا صاحبي، إن كنت تظن أنك بهذا

ألم وحسرة، نار تتأجج في قوادي، أحزان
تعصف بقلبي، كل هذا وأكثر لأنني فارقتها ..

الهمُّ مُجْتَمِعٌ والشمل مفترق
والدمع مستبق والقلب محترق

زاد الغرام على من لا قرار له
وقد ضناه الهوى والشوق والقلق

يا رب إن كان شيء فيه لي فرج
فامن علي به ما دام لي رمق

فارقتها رغم أنني أريد أن أبقى معها، ابتعدت
عنها ، أغضبتها وأنا ما أردت يوماً غير رضاها،
أحزنتها وأنا ما سعيت يوماً إلا لإسعادها، أحزنتها
وأنا أشد منها حزناً بذلك، فعلت ذلك كله لأنني رأيت

إنما تكون قد ضحيت من أجلها لو علمت أنها
تحب أحداً غيرك وأن سعادتها ستكون معه، فإن
الحب يقدم سعادة من أحب علي سعادته..

سررت بهجرك لما علم
حت أن لقلبك فيه سروراً
ولولا سرورك ما سرتني
ولا كنت يوماً عليه صبوراً

رغم أنه من أعظم البلاء أن يكون من تحب،
يحب غيرك..

ومن البليبة أن تحب
ومن تحبه يحب غيرك

وأعظم بلاء منه فراق الأحبة بعد وصل
ومودة..

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم
وجداً لنا كل شيء بعدكم مدم

فإن الحياة بعد فراق الأحبة هي حياة بلا أمل
ولا معنى..

طال الفراق ودام الهم والوجع
والدمع في مقلتي يا صاح منهمل
والقلب وبعته يوم الفراق وقد
بقيت فرداً فلا قلب ولا أمل

قد ضحيت من أجلها فانت مخطيء، فما هكذا تكون
التضحية، وإن كنت تظن أنك أسعدتها بهذا فقد
أخطأت الصواب، لأنك بهذا قد أدميت قلبها، أطلقت
عليه رصاصة من عيار ثقيل وتركته ينزف وهريت..
نعم هريت، لأنك لم تكن بقدر المسؤولية، كنت جباناً،
اخترت أن تقتل حيك وتهرب بدلاً من أن تدافع عنه
وتحميه..

عُدْ إلى حيك، عُدْ إليها، انطلق قبل أن يموت
الحب في قلبها، انطلق لعلك أن تدرك حيك قبل أن
يلفظ أنفاسه الأخيرة.. عُدْ إليها لعلك تكون كمن
قال:

ولقد ندمت على تفرق شملنا
هراً وفاض الدمع من أجفاني
ونذرت إن عاد الزمان يلعبنا
لا عدت أنك فرقة بلساني
هجم السرور علي حتى إنه
من فرط ما قد سرتني أبكاني
يا عين صار الدمع منك سجيبة
تبيكين من فرح ومن أجزان

فإن متع الدنيا ولذاتها لا تساوي شيئاً من غير
حب، فالحب هو الذي يعطي معنى للأشياء وبدونه
تفقد الأشياء معناها..

وما سرتني أنني خفي من الهوى
ولو أن لي ما بين شرق ومغرب

عبدالله ناصر بن تيان



نبضات

نبضتي والخرابُ

والمدينة مَوْغلةً في التوحُّش، مَوْغلةً في الغيابِ

الظلامُ انتهى نحو آخر حدٍّ

على شاطئتي كوننا

والضياء انزوى تحت أسطورة الاغترابِ

موقعي لم يَدُرْ مثُلها دارت الأرضُ ..

ياه .. من سيفتح بَوَّابة القلب منْ

سعيدي إلى نهرنا روعة الانسيابِ؟!

المساء ثقيلٌ

كما لو تشكل منْ ضجر العالمينْ

نفسي لم يعدْ كافياً للحياة ..

الظلامُ .. الظلامُ

يُهيمن في كل زاوية من زوايا السنينْ

صُورٌ تستبيح مخيلتي

تتشابك في شكل أنسجة

ثم تهربُ حين أحاول أن أستبينْ

حرقة الشوق، شيء من الكبرياء

وبعض الملامح لم أستطع أن أفسرها

رغبتني والحنينْ

بعض خيط من الضوء يظهرُ خصلات شعرك ..

لكنها تختفي فجأة

ويسود الظلام .. الظلامُ اللعينْ

الظلامُ ، أحاول أن أقرأ الآن

عينيك في لونه ..

غير أنني أفقد الضوء يا أنت

ها إنني الآن منتظر ..

للقراءة، هل تقرئين؟!

ليلة ، ليلتانْ



دراجي السليم الخواطر

طوتنا نقتي الزمان

قيسُ ذاك المعفّر بالعشق حدّ الجنون ..

اختفى من قبيلته

نبضتي لم تجد ترجمان

ليلتان وأثار حلم قديم تبّد

من أين أبداً أقصوصتي المنتهية

على طرفي اللسان!!

رافضٌ للنساء

سوى امرأة

قيل كانت تعلمني متعة الحب

توقظ في رغبة لم يسعها المكان

قيل كانت .. وكانت

وكتّ هنا

أتوسدُ حلماً غفا

عند أوّل منعرج

آه يا امرأة من دُخان ..

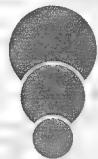


يامن تعلق بالهوى

يا مَنْ تَعْلُقُ بِالْهَوَى
والحُبُّ أَرْقُ مُقْلَتِيْـنِ
والقلبُ بِالْجَمْرِ اكْتَوَى
ضَيِّقْتُ أَحْلَامِي لَيْلِيْـنِ
أَعْطَيْتَهُ السَّرَّ الَّذِي فِي خَافِقِيْ
أَهْبَيْتَهُ عَطَرُ الْفَوَادِ الْعَابِقِ
صَلَّيْتُ مِنْ أَجْلِ الْهَوَى يَا خَالِقِيْ

مَاذَا إِذَا نَاجَيْتَهُ ؟
مَاذَا إِذَا نَافَيْتَهُ ؟
مَاذَا إِذَا أَهْبَيْتَهُ ؟

قَلْبِي لِيَخْفُقَ فِي يَدِيْـنِ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُنِيْ
لِيَعُودَ يَسْأَلُ مَا بِهِ أَهْمُنِيْ ؟
أَتَرَى تَنَاسَى فِي الْهَوَى كَمْ ضَمْنِيْ ؟
وَضَمَمْتُهُ خَوْفًا وَتَحَنُّنًا عَلَيْهِ ؟
سَأَلْتُ أَسْنَنَ رَارِي لَهْ
وَوَهَبْتُ عَمَمَ رِي كَلَهْ
وَأَضَلْتُ بَيْتِي عُلَهْ
إِنْ ضَاعَ يَسْتَهْدِي إِلَيَّ
يا مَنْ تَعْلُقُ بِالْهَوَى
والحُبُّ أَرْقُ مُقْلَتِيْـنِ



خب



يلقاه طلق الحبيبا
أوقسائل: يا أخويا
يُنْذِرُكَ مَسْتَبْشِرًا إِنَّ
كَانَ الْأَمْرُ سَنِيًّا
حَتَّى إِذَا مَا نَالَ خَيْرًا
رَامَ مَكَانًا قَصِيًّا
وَإِغْتَابَ ذَا الْخَبْ شَهْمًا
لَوْ شَاءَ طَالَ الثَّرِيًّا
تَالِلهِ مَا نَالَ عَزًّا
مَنْ كَانَ نَذْلًا دَنِيًّا
هِيَ هَاتِ يَسْمُو قَمِيًّا
مَا دَامَ عِبْدًا شَقِيًّا
يَا خَلِّدِ الرَّأْيَ هَلَّا
أَرْغَوَيْتَ مَا نُمْتُ حَيًّا
فَالْأَفْرُ يَمْضِي حَثِيًّا
فِي الْأَمْرِ أَنْظِرْ مَلِيًّا
هَلَّا تَسْنُو مَتَ نَرُو
ةَ الْمَجْدِ، تَغْدُو أَبِيًّا
فِي الْمَنْزَقِ أُمُّ الْخَلَلِ
جَرَاهُ تَخِيًّا صَفِيًّا
يُطَرِّدُكَ خَلْقٌ وَتَرْقِي
يَوْمًا مَقَامًا عَلِيًّا

محمد صالح الصغير - تونس



أحلام أدبية



أنجح العلاج في كسب الأزواج



* روت دنانير جارية يحيى البرمكي [١] ما وقع
لنسوة من ذوات الحجا والحجال، والماء والمال،
والدّل والدلال، قالت: لما فشا في المدينة أن
الفرزدق [٢] طلق النوار اشتد على نسوتها الأوار،
فتداعين لإخماد النار، وإلجام أفواه الأزواج عن حرف
الطاء ومفارقة الغطاء، وحقن أفئدتهم بحرفي الحاء
والباء، وتداولنا بإشفاق ما صور الفرزدق من حال
النوار بعد الطلاق:

خَبَرُوهَا بِثَنِي قَدْ تَزَوَّجْتُ
فَظَلْتُ تَكَاتُمُ الْغَيْظِ سِرًّا
ثُمَّ قَالَتْ لِاخْتِهَا وَآخَرَى
جَزَعًا: لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا
وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءٍ لَيْبِهَا
لَا تَرَى دُونَهُنَّ لِلْسُرْسُتِ
مَالِي قَلْبِي كَسْئِهِ لَيْسَ مِنِّي؟
وَعِظَامِي كُنْتُ فِيهِنَّ فَتِيرًا
مَنْ حَسِيتُ نَمَى إِلَيَّ فُطَيْعٌ
خَلْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَغْظِيهِ جُمْرًا [٣]



بقلم : د. أحمد عطية السعودي - الأردن

قال: سأجلعه يندم، ويحنّ ويغتم، ويشقى بأولاده:
لبطة وسبطة وخبطة وركضة وزمعة.

قالت: كيف؟ قال: لا يسأل الساحر كيف؟ وإنما:
كم؟

قالت: كم درهماً تريد أيها الساحر العريذ؟ سئل
تُعط، فأموال أزواجنا مودعة في المصارف أكداً
مكدسة وقناطر مقنطرة، وفيها لأمثالك الدجالين
نصيب ثمين!

قال:

أريدُ مالا كثيراً
مخدة وحصيراً
ودار نوم وثيـره
كفرقة لأميره
أريدُ عطراً وكيساً
وجُبّة وقميصاً!

قالت: سنهيك إن وجدنا بقية من سجاد تبريز،
وفرو الإنجليز، وعطر باريس، وينطال جينز وثلاثة
برود نمينة وغرفة نوم المتنبئ التي فصلها في يابسة
السماوة واختصم في حسنّها الناس:

أنام مله جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جرأها ويختصم [٦]

وثارت ثائرة حلائل الشعراء: زوجة بشار، وأبي
نواس، والبحثري، وأبي تمام، وحرائر الفضلاء:
عاتكة المخزومية وعليه بنت المهدي، والفارعة بنت
طريق، وعائشة القرطبية [٤]، فأجمعن بعد حوار
ونزاع على إتيان ابن وحشية [٥] الساحر الماهر،
والكيميائي الباهر، والفلاح البائر!
فلما دخلن عليه خرّ مغشياً عليه، ثم أفاق
وأنشد:

يا ملاح الدلال والافتناج
ما أرى القلب من هواكن ناج!

فأجابته عليه بنت المهدي: خيب الله ظنك، ما
جئناك لتتغزل بنا، ولكن

لم يسلم الظبي على حسنه
يوماً ولا البدر الذي يوصف!

قال: ممن لم يسلم؟

قالت: من غدر الفرزدق الأحق وأضرابه الفسق
الذين يحسبون الحلائل كالأخوات في أيديهم
يخلعونهن متى رغبوا دون وازع من دين ولا رادع
من عقل أمين.

قَوْلُ الْقَائِلِ:

قال: رَضِيتُ بِعَهْدِ الْغَوَانِي، وَإِنْ كُنْتُ وَاثِقًا مِنْ

وَمَا تَمَسَّكَ بِالْوَصْلِ الَّذِي زَعَمْتُ

إِلَّا كَمَا تَمَسَّكَ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ [٧]

قَالَتْ عَلَيْهِ : إِنْ طَلَسْتُمْ أَزْوَاجَنَا نَهَبَ لَكَ «شَقَّةُ

الْحَرِيَّةِ» وَنَقَرَ عَيْنَكَ بِغُرْفَةِ نَوْمِ الْأَمِيرَةِ الرَّاحِلَةِ

دِيانًا [٨]!

قال : أَتَنْتَ السَّبَبُ، فَلَوْ أَصَابْتَ إِحْدَاكُمُ الزَّوْجِ

الْمَثَالِي وَالْعَرِيسِ الرُّومَانَسِيِّ لَمَا سَكَنَ قُلُوبُكُمْ هَلْعًا!

قَالَتْ : وَمَا صِفَاتُ الزَّوْجِ الْمَثَالِي وَالْعَرِيسِ

الرُّومَانَسِيِّ الْفَتَاةِ الْعَصْرِيَّةِ يَا بَنَ الْوَحْشِيَّةِ؟

قال : أَصَابِعُهُ مَرْقٌ، وَإِبْطُهُ عَرَقٌ، وَثِيَابُهُ خَرَقٌ، إِنْ

تَكَلَّمَ زَعَقٌ، وَإِنْ صَمَتَتْ أَنْغَلَقَ، وَإِنْ نَادَى نَعَقَ، وَإِنْ

تَعَشَّى شَرَقَ، وَإِنْ تَمَشَّى أَنْزَلَقَ، وَإِنْ تَمَطَّى انْفَتَقَ،

وَإِنْ تَغَطَّى انْفَخَقَ، وَإِنْ تَبَخَّرَ احْتَرَقَ، وَإِنْ تَنَاصَبَ

شَبَقَ، وَإِنْ عَطَسَ بَزَقَ!

قَالَتْ : مَا أَلْطَفَ لِيَاقَتَهُ، وَمَا أَحْلَى أُنَاقَتَهُ! فَمَا

يُنَاسِبُهُ مِنَ الْعَرَائِشِ يَا أَبَا بَكْرٍ؟

قال : تَنَاسِبُهُ عُرُوسُ أُنَانَةِ حَنَّانَةٍ، مَنَانَةٍ، فَنَّانَةٍ،

رَنَانَةٍ!

قَالَتْ : قَدْ فَهِمْنَا أَنَّ الْأُنَانَةَ مِنْ تَتْنٍ وَتَشْكُو سُوءَ

الْحَالِ، وَالْحَنَانَةَ مِنْ تَحْنٍ إِلَى زَوْجِهَا الْأَوَّلِ مِنْ

الرِّجَالِ، وَالْمَنَانَةَ مِنْ تَمَنَّ عَلَى زَوْجِهَا بِرَاتِبِهَا وَمَا

عِنْدَهَا مِنْ مَالٍ، فَمَا الْفَنَانَةُ وَالرَّنَانَةُ؟

قال : الْفَنَانَةُ هِيَ الْمَشْغُوفَةُ بِالْمُوسِيقَى وَالْأَغَانِي

وَتَرْبِيَةِ الْجَرَاءِ فِي الْمَبَانِي، وَأَمَّا الرَّنَانَةُ فَهِيَ الْمَشْغُوفَةُ

بِرَنِّ الْهَاتِفِ وَالْقُرْثَرَةِ مَعَ الْجَارَاتِ وَمَتَابَعَةِ الْأَزْيَاءِ

وَالْمُودِيلَاتِ!

فهذان العروسان متوافقان في المزاج، بعيدان

عن الانزعاج!

قَالَتْ : حَقًّا وَافِقٌ شَنْ طَبَقَةٍ، وَوَافِقٌ رَأْيُكَ الرَّصِينِ

أَفْكَارُ قَاسِمِ أَمِينٍ [٩]!

قال : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟

قَالَتْ : زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا ظَهَرَ بِأَرْضِ الْكِنَانَةِ يُقَالُ

لَهُ الشَّيْخُ قَاسِمُ بْنُ أَمِينٍ قَدْ احْتَالَ عَلَيْهِ صَعَالِيكَ

الْفَرَنْسِيْسِ فَعَادَ بِهَا عِمَامَةً، وَجَمَعَ النِّسْوَةَ فِي مِيدَانِ

رَمْسِيْسٍ، وَوَعَدَهُنَّ بِرِيَاشِ الشَّانَزَلِيَّةِ، وَتَحْرِيرِ الْبَلَدِ

مِنْ غَاصَبِيَّةٍ، وَنَزَعَ أَسَاوِرَ بَرَجَنْتِيْفٍ مِنْ يَدَيْهِ، إِنْ هُنَّ

خَلَعْنَ الْحِجَابَ، وَحَرَقْنَهُ فِي مَظَاهِرَةٍ وَإِضْرَابَ، وَنَبَذْنَ

قِيمَ الْأَعْرَابِ، وَقَابِلْنَ الْأَخْدَانِ وَالْأَحْبَابِ، وَقَلَدْنَ

الْخَوَاجَاتِ الْأَغْرَابِ!

قال : فَهَلْ تَحَقَّقَ لَهُنَّ وَعْدُ ابْنِ أَمِينٍ مِنْ تَحْرِيرِ

الْأَرْضِ وَصَوْنِ الْعَرَضِ؟

قَالَتْ : بَلْ رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ، وَمَا وَجَدَنْ

غَيْرَ السَّرَابِ!



قال :

لهذه ليلة ولتلك أخرى

غُتَابٌ دَائِمٌ فِي اللَّيْلَتَيْنِ!

خَدَعُوا بِقَوْلِهِمْ حَسَنًا

وَالْغَوَانِي يَغْرَهُنَ الثَّنَاءُ

قالت: خَلِيقٌ بِنَا أَنْ تَغْلُقَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ أَمَامَ نَوَاطِرِ
أَزْوَاجِنَا فَهِيَ لِأَحَادِيثِهِمْ رَادَعَةٌ، وَلَأَمَانِيهِمْ صَافِعَةٌ! ثُمَّ
تَنهَّدَ ابْنُ وَحْشِيَّةٍ، وَأَبْرَقَ فِي قَوَائِدِ شِعَاعِ صُحُوفِ
فَقَالَ: أَوَّلَا أَدْلِكُنَّ عَلَيَّ مَا يُسْكِنُ الْأَزْوَاجَ فِي
وَرِيفِ الظَّلَالِ بِالسَّحَرِ الْحَالِ؟!

قُلْنَا : بَلَى . قَالَ : فَيَمُنُّ شَطْرَ بَاعُونَ بِأَرْضِ
عَجْلُونَ فَفِيهَا عَالِمَةٌ جَلِيلَةٌ وَأَدْبِيَّةٌ رَقِيقَةٌ تَسْمَى عَائِشَةُ
الْفَقِيهَةِ [١٠] ، فَقَصَدْنَا الشَّامَ حَتَّى إِذَا وَصَلْنَا
الْمَضَارِبَ أَلْفَيْنِ فِي مَجْلَسِ الشَّيْخَةِ وَفُودِ الْمُتَعَلِّمَاتِ
وَالْمُعَلِّمَاتِ وَنِسَاءٍ مُثَلِّهٍ سَائِلَاتِ مُسْتَطَلَعَاتِ .

قَالَتْ عَلِيَّةٌ فَقُلْتُ : جَنَّاتُكَ يَا عَالِمَةٌ بَاعُونَ مِنْ أَرْضِ
سِيحُونَ وَجِيحُونَ تَسْتَفْتِيكَ عَنْ رَوَادِعِ الدِّينِ الَّتِي
تَمْنَعُ الرِّجَالَ الْمُتَهَوِّرِينَ الْمُعْجِبِينَ بِالْمَطْرِبِينَ وَالْمُثَلِّينِ
وَالرِّيَاضِيِّينَ مِنْ ظُلْمِ ذَوَاتِ الْعِفَّةِ وَالْحَشْمَةِ وَالْخُلُقِ
الْمَكِينِ .

قَالَتْ : صَاحِبُ الدِّينِ الْمُتَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ مُأْمُونٌ ،
لَأَنَّهُ مُلْزَمٌ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : {وَعَاشِرُوهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ} [١١] وَمَعْنَى بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ {صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» [١٢] وَقَوْلُهُ :
«وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» [١٣] . وَأَمَّا اللَّاهُوتُ عَنْ
زَوَاجَتِهِمُ اللَّاهُوتُونَ وَرَاءَ الْحَرَامِ فَلْيَسُوا مِنَ الْكِرَامِ بَلْ
أَضَلُّ مِنَ الْأَنْعَامِ!

قَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ تَكْسِبُ قُلُوبَ
أَزْوَاجِنَا عَلَى الدَّوَامِ؟

قال : بِرَبَائِعَاتِ الْخِيَامِ! قَالَتْ: فَمَا هِيَ؟

قال : خَشُونَةُ الْكَلَامِ ، وَقَبَاحَةُ الْهَنْدَامِ وَإِسَاءَةُ
الطَّعَامِ ، وَبُرُودَةُ الْمَنَامِ!

قَالَتْ : عَجِبَا لِهَذِهِ الْأَنْسَامِ! وَكَيْفَ يَكْسِبُ الْأَزْوَاجَ
قُلُوبَ زَوَاجَتِهِمْ رَبَّاتِ الْحِجَالِ؟

قال : بِإِضَاعَةِ الْمَالِ ، وَإِهْمَالِ الْعِيَالِ ، وَالضَّرْبِ
بِالنَّعَالِ ، وَالتَّعَلُّقِ بِأَحَادِيثِ الرِّجَالِ!

قَالَتْ : فَمَا أَحَادِيثُ الرِّجَالِ؟ قَالَ : الزَّوْاجُ مِنْ
النِّسَاءِ مَثْنَى وَثَلَاثَ وَرَبَاعٍ ، كَمَا فَعَلَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ
الرَّعَاعَ . قَالَتْ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ : تَزَوَّجَ أَعْرَابِي
بِاثْنَتَيْنِ فَوَصَفَ مَا وَقَعَ لَهُ شِعْرًا :

تَزَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ لِفَرْطِ جَهْلِي

بِمَا يَشْقِي بِهِ زَوْجَ اثْنَتَيْنِ

فَقُلْتُ أَصِيرُ بَيْنَهُمَا خُرُوفًا

أَنْعَمُ بَيْنَ أَكْرَمِ نَعِيجَتَيْنِ

فَصُرْتُ كَتَمِجَةٍ تَضْحِي وَتَمْسِي

تَدَاوِلُ بَيْنَ أَخْبَثِ نُبَاتَيْنِ

قلت : ألدك سحر حلال يُعدل المزاج ويستتب

الأرواح؟

قالت : نعم . التعهد لموضع عينه ، والتفقد لموضع أنفه : فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح . والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب ، والتعهد لوقت طعامه والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة . والاحتفاظ ببيتته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله [١٤] ، وإياك والفيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك والمعاتبة ، فإنها تورث البغضاء [١٥] .

قلت : هنيئاً لزوجة عاقلة تتصف بما قلت . قالت :

هي التي عنها الشاعر ومدحها بقوله :

فلو كان النساء كمثل هذي

لأفضلت النساء على الرجال

فما التقيتُ لاسم الشمس عيبُ

ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال

قلت : فما رأيك في اللائي أرسلن أظفارهن

وصففن أشعارهن كأسنمة البخت [١٦] وإيسن

القصير؟

قالت :

قل للجميلة أرسلت أظفارها

إني لضوف كنت أمضي هارياً

إن المخالب الوحوش تخالها

فمتى رأينا للظباء مخالبها

بالأس أنت قصصت شعرك غيلة

ونقلت عن وضع الطبيعة حاجباً

من علم الحسنة أن جمالها

في أن تخالف خلقها وتجانبا؟

قلت : توغّب في أن تملي علينا شيئاً مما فُتح

عليك من جواهر الحكمة ويدائع الكلم قبل أن

نرتحل .

قالت : اعلمن أن أصل البلاء :

نظرة فابتسامة فسلام

فكلام فموعد فلقيام

وأن المغالاة في المهور شجرة تنبت العنوسة ،

وتجلب للمجتمع السوسة . وأن خادما البيوت أشد

على الرجال من الإصبع على الريموت! وأن الطريق

إلى قلب الرجل ليس مسعدته ، بل لين الكلام ودفع

النام! وأن الرجل الشهم أنفع من غيث وأشجع من

ليث يحمي العشيرة ويحسن السريرة ، ويرعى

الحليلة .

قلت : قد زعم ابن الوحشية أن سيندم الفرزدق

على تطلق زوجته نوار ، فهل صدق؟



الفارعة بنت طريف: شاعرة رثت أخاها الوليد بن طريف:

أيأ شجر الخابور مالك مورقا

كفك لم تحزن على ابن طريف

- عائشة القرطبية: أديبة شاعرة، مدحت الملوك، كانت

لها مكتبة كبيرة ولم تتزوج (ت ١٠١٠).

(٥) ابن وحشية: أبو بكر أحمد الكسداني، عالم بالكيمياء والفلاحة والسحر والسموم، كان يدعى أنه ساحر، له «السر والطلسمات» و«السحر الكبير» و«شوق المستهام» (ق ٤هـ).

(٦) البيت للمعتبي، يريد به اللغة.

(٧) البيت لكعب بن زهير في «بردة» بانت سعاد.

(٨) طلسم: عمل الطلسم وهو خطوط وأعداد وعزائم شيطانية يعملها الساحر (ج) طلسم. «شقة الحرية» رواية للكوكور غازي القصيبي.

(٩) قاسم أمين: ولد بمصر وتعلم في الأزهر، ودرس القانون بفرنسا، دعا إلى سفور المرأة في كتابيه: «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» ت ١٩٠٨م.

(١٠) عائشة الباعونية: عالمة وفقهية وشاعرة رقيقة، ولدت في باعون إحدى قرى عجلون شمال الأردن، تعلمت في مصر ودمشق، لها ديوان «فيض الفضل» ت ٩٢٢هـ.

(١١) النساء/ ١٩.

(١٢) متفق عليه.

(١٣) رواء الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(١٤) من وصية أعرابية ابتنتها ليلة زفافها.

(١٥) من وصية عبد الله بن جعفر ابنته ليلة زفافها.

(١٦) البخت: الإيل. وعمل النساء هذا من علامات الساعة التي أخبر عنها الصادق المصدوق وأمركتاه في هذا العصر.

قالت: أبشر بطول شقاوة يا فرزدق! نعم قد

قرع سن الندم من ذاته فقال:

نعمت ندامة الكسفي لما

فردت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها

كانم حين أخرجه الضرار

ولكن ابن الوحشية ساحر ماكر خدع الأوانس

والعرائس برسالاته المشهورة: (أنجع العلاج في

كسب الأزواج)!!

الهوامش:

(١) دنائير: جارية يحيى بن خالد البرمكي، كانت أروى الناس للغة القديم وللشعر، رثت البرامكة بعد نكبتهم.

(٢) الفرزدق: أبو فراس همام بن غالب، شاعر النقااض والفخر، ومداح الخلفاء، كان يرمي بالفجور والخلاعة ثم تاب في شيخوخته على يد الحسن البصري، وشعره حجة عند أهل اللغة والنحو حتى قيل فيه لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة. توفي بالبصرة ١١٠هـ.

(٣) ليست هذه الأبيات للفرزدق. القتر: الضعف. نعي: أسند ورفع.

(٤) عائكة المخزومية: شاعرة فصيحة مدحت عضد الدولة ببغداد - عليّة بنت المهدي: أخت الرشيد، سيدة عباسية جليظة، من أحسن النساء وأظرفهن وأعقلهن -



قال تعالى :

« والوالداتُ
يَرْضَعْنَ
أَوْلَادَهُنَّ
حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ
أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرَّضَاعَةَ »

٢٣٣ البقرة

○ الرضاعة الطبيعية احساس

الحنان دفء الطمأنينة

○ الرضاعة الطبيعية هي الشريان

الرئيسي لتنشأة طفل قادر على العطاء

عزيزتي
الام :

مع نصيحت **د. محمد** مجلة العرب الأدبية

تصدر من دار النمل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٨٢٥ ت ٢٤٢٢١٢٤ فاكس ٢٤٢٨٨٥٢

المرأة العربية بين الأنوثة والإبداع :

من أين تبدأ
إشكالية ومنهج
المرأة العربية
المبدعة ؟

الإعجاز

في القراءات

الثقافة الاجتماعية
مفهومها، صلتها
بالإنسان وأهميتها

أوراق زوجية





الإعجاز فى القراءات

وها أنذا أحاول أن أكشف النقاب عن وجه واحد من أوجه إعجاز القرآن الكريم هو الإعجاز فى القراءات القرآنية. فالقراءات هي قمة البلاغة والإيجاز لأن الكلمة البسيطة تغني عن الجملة الطويلة والحركة الإعرابية تغني عن جملة. وكلما قرأت بقراءة انكشف لك معنى ودلالة لم تكن فى القراءة الأخرى. وكلما قرأت القرآن بقراءة وجدته معجزا بليغا لا عيب فيه ولا نقصان. فاقراءه بأي وجه شئت تجده كما هو فى بلاعته وإعجازه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد).

فأي عظمة فى هذا الكتاب كلما قلبته على وجه يبقى معجزا مبهرًا يأسر الأبواب ويفيض على من أقبل عليه بأنوار وأسرار لا يدركها إلا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وعلم القراءات هو علم بكيفية نطق حروف القرآن واختلافها منسوبة لمن نقلها نقلًا متواترًا واختلاف بيننا اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

وقد بدأ هذا العلم بمراحل:

المرحلة الأولى:

تعليم جبريل لرسول الله (صلى الله عليه

وسلم).

يقول النقاد والمنظرون إن أفضل النصوص هي تلك التى تقرؤها مرة واثنين وثلاث فلا تشعر بالملل لأنك فى كل مرة تكتشف دلالات جديدة وما ذاك إلا لثروة النص اللغوية والدلالية وعمق مضامينه، ولا يوجد نص فى الوجود على مر الزمان والمكان تعرض للتحليل والشرح كالنص القرآنى الكريم. ويدلنا على ذلك الكم الهائل من التفاسير التى ألفت ومازالت تؤلف. كل يغترف من بحر القرآن الواسع، والبحر لا ينضب بل كلما ازدادت فيه ولوجا تفتحت عيناك على أسرار وأسرار، وكلما حاولت الوصول إلى شاطئه أدركت أن العمر قد ينتهي لكن كلمات الله وعجائبها لا تنفد.

ابتهاال محمد على البار - جدة

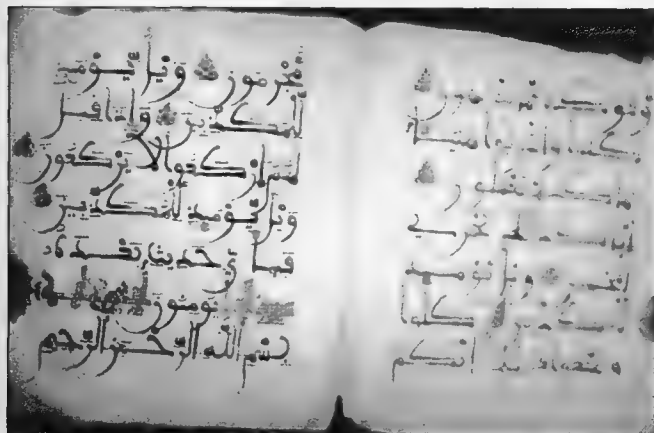
المرحلة الثانية:

مصعب بن عمير المدينة أنه نزل دار (الإقراء) والإشارة إليها بهذا الاسم تعطينا صورة عن تميز القراءة في المجتمع الإسلامي آنذاك وتكوينهم ما يشبه المدرسة أو المعهد.

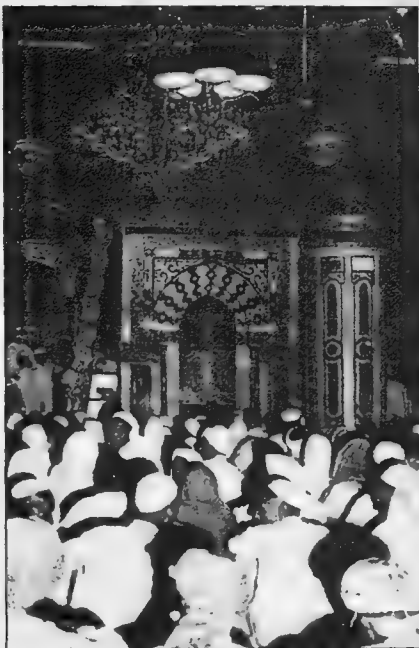
المرحلة الثالثة:

تمثلت في تصدي بعض الصحابة لحفظ القرآن عن ظهر قلب، ويعد الذهبي في كتابه (معركة القراء) سبعة ممن حفظوا القرآن في حياة النبي، وهم: أبي بن كعب وابن مسعود وأبو الدرداء وعويمر بن زيد، وعثمان

تمثلت في تعليم المسلمين بعضهم بعضاً أي القرآن وسورة بأمر النبي وإرشاده، روى البخاري بإسناده عن أبي إسحاق عن البراء «أول من قدم علينا (يعني المدينة) من أصحاب النبي مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلنا يقرئنا القرآن ثم جاء عمار ويلا، ولما فتح النبي مكة ترك معاذ بن جبل للتعليم، وكان الرجل إذا هاجر إلى المدينة دفعه النبي إلى رجل من الصفظة ليعلمه القرآن». وجاء في خبر نزول



أهل بلده بما سمع على لهجته حتى إذا امتد الزمان وكثر الآخذون عن الصحابة وقع بين أتباعهم شيء من الخلاف في بعض وجوه القراءات، فجمع المصحف في عهد سيدنا عثمان ووزعت المصاحف على الأمصار وبعث مع كل مصحف قارئاً ليقوم بتعليم كتاب الله مع وجوه قراءاته، وكثر الدارسون على القراء وبدأت وجوه القراءات تأخذ طريقها في الرواية والنقل بشكل أكثر، فكان في كل بلد قراء وتفرغ هؤلاء القراء لتدريس القرآن وتعليمه حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ووفد آلاف المتعلمين عليهم من كل مكان فنسبت القراءات إليهم فقالوا قراءة نافع وقراءة ابن كثير، ومنهم أئمة القراءات العشرة: نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمرزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف



وهي القراءات الصحيحة الموجودة الآن في العالم الإسلامي وما زاد على ذلك فشاذاً .

أما عن الحكمة من تعدد القراءات فلعل أبرز هذه الحكم هو التيسير على الأمة العربية ذات القبائل المتعددة واللهجات المختلفة، جاء في الحديث: «أتاني

بن عفان، وعلي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وزيد بن ثابت وقد علمهم النبي وجوه القراءات التي أنزلها الله، وعلى هؤلاء دارت أسانيد أئمة القراءات العشر» .

المرحلة الرابعة:

تفرق الصحابة في البلاد وكان كل مقرأ يقرأ



قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف بتضعيف الهاء،
من الخماسي «تَطَهَّر» وقرأ الباقر بنسكين الطاء وضم
الهاء من الثلاثي «طهر» وكلاهما مراد:

الأول: دال على طهارة الموضع بانقطاع دم
الحيض.

الثاني: دال على طهارة بالاغتسال وإسالة الماء.
وبذلك وضعت الآية شرطين لمقاربة الحائض هما:
انقطاع الدم والاغتسال.

- (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) (البقرة/ ٣٧)
قرأ ابن كثير بنصب «آدم» مفعولا ورفع «كلمات»
فاعلا، فدلّت هذه القراءة على تدارك الرب عبده برحمته
لما علمه من انتفاء قصد المعصية، فكانت كلماته التي
تداركه بها هي الفاعل وكان آدم مفعولا. وبذلك عبّرت
القراءة عن موقف الله لا عن موقف آدم. في حين قرأ
الباقر برفع آدم، فدلّت القراءة على اجتهد في توجيهه
نحو ربه بالتوبة صادقا في مسعاه، فقبل ربه منه ذلك
وألهمه الكلمات التي تعرب عما في قلبه وتعبر عن
موقفه هذا. فانتصبت «الكلمات» مفعولا ورفع «آدم»
فاعلا. وكنتا القراءتين مرادة في بيان الموقفين.

وبعد هذه الجولة بين آيات الله يتمثل لي قوله
تعالى: [ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا].

جبريل فقال اقرأ القرآن على حرف فقلت إن
أمتي لا تستطيع ذلك» حتى قال «اقرأ على سبعة
أحرف» فكان الهذلي يقرأ (عَتي عين) يريد (حتى حين)
لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ
(تعلمون) و(تعلم) و(ألم إعهد إليكم) والتميمي يميل
الألف حتى تخرج من شفثيه أقرب إلى الياء.

واضرب أمثلة لبعض القراءات:

- [قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات
والأرض بصائر] (الإسراء/ ١٠٢)، قرأ الكسائي بضم
التاء وذلك أنه أسند هذا العلم لموسى عليه السلام
حديثا منه لفرعون حيث قال: (إني لأظنك يا موسى
مسحورا) فقال له سيدنا موسى: (لقد علمت ما
أنزل...) فأخبر عن نفسه بالعلم بذلك أي أنه ليس
بمسحور. وقرأ الباقر (علمت) بفتح التاء، وذلك
بإسناد هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له
بذلك على وجه التوبيخ والتقريع لشدة معاندته للحق
ولذلك أخبر الله عنه وعن قومه (فلما جاءتهم آياتنا
مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظلما وعلوا).

- وقد تجمع القراءات بين حكمين مختلفين مثل قوله
تعالى: [فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقيوهن حتى
يطهرن] (البقرة/ ٢٢٢).



الثقافة الاجتماعية

مفهومها، صلتها بالإنسان، وأهميتها

مفهوم الثقافة :

ينقسم مفهوم الثقافة الى قسمين :

القسم الأول : يتضمن المعنى العام

والواسع للثقافة ويقصد به وأنماط السلوك الخاصة بمجتمع من المجتمعات سواء أكانت سادية أو معنوية والذي يضم تحت عنوان الثقافة كل ما اتصل بسلوك جماعة من الجماعات في مأكليها ومشربها وملبسها وتربيتها لأطفالها وتقاليدها في أفراسها وأتراسها وأداب اللباس والتحية عندها .
الى جانب ما أبدعته من فكر وأدب وفن وما يسود فيها من أعراف وعادات وقيم ومعتقدات ونظم وسوى ذلك» [٩] .

وتعدد تعريفات الثقافة وتختلف من مكان الى آخر ولعل ما تقدمه الدراسات الإنسانية (الأنثروبولوجية) حول تعريف الثقافة هو أكثرها دقة . ويوجد نوعان من الثقافة : الثقافة العامة ، والثقافة غير العامة ، وسنوضح فيما يأتي المقصود بهما .

الثقافة العامة : ويقصد بها كل ما أخذ عن طريق ما وصلنا من التراث المكتوب والمقروء والمحفوظ والمدون من آثار ويضم هذا التراث مختلف المجالات التي كتب عنها : الدينية والسياسية والاجتماعية والأدبية والفكرية والثقافية ، إضافة الى الإنتاج الجديد في هذا المجال وما يكتب حول هذه الأمور في المجتمع .

أما الثقافة غير العامة فيقصد بها ما أخذ عن طريق الإرث الذي يتم توارثه عبر الأجيال من عادات وتقاليد ومبادئ وقيم ، وما يتصل بالسلوك وطرق التعامل وتآدية الواجبات الاجتماعية وأداب الماكلي والملبس والمشرب وغيرها مما يتصل بأدق التفاصيل التي تميز كل أمة من الأمم عن الأخرى . ويتم اكتساب هذا النوع من الثقافة من المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان فهي ثقافة مكتسبة ، وهو يكتسبها عن طريق التقليد والمحاكاة ولا يدخل للعقل فيها [١٠] .

والثقافة غير العامة امتداد للعامة ولكنها قد تطور من قوانينها وأفكارها ، وقد تعدلها وهو ما قد يؤدي بتلك الأفكار الى التشوه والتغير في بعض الأحيان . ولا سيما عندما تغيب العلاقة التي يجب أن تتوفر بين العامة وغير العامة من جهة أن الأولى موجّهة للثانية وحاکمة لها إذ إنها تشكل مرجعية لها . وإذا حدث ذلك

أسماء أحمد معيكل - سوريا

الأجيال ولا يمكن القضاء على ثقافة ما إلا بالقضاء على أفراد المجتمع جميعهم، لذا فلاثقافة لا تموت بموت الفرد وتقنى إلا إذا انقرض المجتمع الذي يمارسها. وتشكل التنبؤية السمة الأهم من سمات الثقافة وتتطلب هذه السمة من كون الثقافة تحدد

أسلوب وسلوك الأفراد في المجتمع، وإذا فإنه يمكن التنبؤ بما يمكن أن يقوم به فرد معين من تصرفات إذا علمنا أنه ينتمي إلى ثقافة معينة تفرض عليه أسلوباً محدداً تجاه ما يواجه من مشاكل ومواقف في حياته اليومية. فمن خلال تصرف ما يقوم به الفرد أمام أمر يواجهه يمكن التنبؤ بالثقافة التي ينتمي إليها. ويتفق معظم علماء الإنسان على الاعتقاد بأن ثقافة أي مجتمع تتميز بالتكامل والترابط وبوجود صيغة كلية تجمعها ويظهر ذلك من خلال مجموعة القيم والاتجاهات في سلوك الأفراد وشخصياتهم[٤].

ويرى علماء الإنسان أن الثقافة تحمل بين طياتها فكرة التدخل الإنساني، أي إضافة شيء إلى حالة من الحالات الطبيعية أو إدخال التعديل عليها. وثقافة أي شعب هي ذلك المستودع الذي تتراكم فيه المعرفة والمعتقدات والأخلاق، والقانون والقيم والفنون وسائر أساليب حفظ البقاء التي اكتشفها الإنسان أو أوجدها لنفسه باعتباره عضواً يعيش بين جماعة تؤمن وتؤيد وتحافظ على ذلك التراث، وتشتمل الثقافة على كل تلك الأشياء وتتجاوزها إلى أكثر من ذلك فهي تعلم الناس كيف يتعامل أحدهم مع الآخر، وتدلهم على حل

الغياض فإن معارضة أو اختلافاً قد ينشأ شيئاً فشيئاً بين الشقافتين في التطبيق وذلك من خلال تطورات المجتمع التاريخية، فقد تختلف ممارسة الإنسان في الثقافة غير العالة عما نصت عليه أو نظرت الثقافة العالة وهنا يحدث تناقض بين المرجع والتطبيق.

والثقافة بالمفهوم الحديث مركب معقد يحتوي على المعرفة والعقائد والأخلاق والقانون والفن والعادات والتقاليد وغيرها من القدرات التي اكتسبها الفرد عضواً يعيش في مجتمع[٥]. وهذا هو المفهوم الذي نريد تناوله في هذا البحث.

وللثقافة أهمية كبيرة فهي تميز الإنسان من بقية المخلوقات. وتختلف هذه الثقافة من شعب إلى آخر، ومن أمة إلى أخرى، وحتى قد تختلف في الشعب الواحد بين مكان وآخر. وقد تختلف بين الأفراد أنفسهم، ولكن تبقى هناك خصائص عامة توجد في كل ثقافة من الثقافات. والمقصود هنا الثقافة غير العالة أو الثقافة الاجتماعية، ومن أهم هذه الخصائص أنها مكتسبة، وتعني أن الإنسان يكتسب ثقافته من المحيط الذي يعيش فيه منذ ولادته من خلال أسرته، ثم يستمر في اكتساب الثقافة من مجتمعه وبواسطة الناس الذين يعيش معهم ويخالطهم، وهذا يعني أن اكتساب الثقافة لا يكون غريزياً ولا فطرياً، وإنما يتم اكتسابه لها من خلال علاقاته مع الآخرين فيأخذ منهم ويعطيهم.

ومن السمات الهامة للثقافة الاستمرارية فالثقافة إنتاج جماعي وتراث يرثه جميع الأفراد وينتقل عبر

** الثقافة

يشمل كل ما يؤثر في
تكوين الإنسان من
مراحل حياته الأولى
وحتى نهايتها .

أما القسم الثاني:

فيتضمن المعنى الخاص
والضيق للثقافة، وهو كل ما

يتصل بالإبداع الثقافي الرفيع من

فكر وأنب وفن؛ فالإبداع الثقافي يحتوي على الجوانب
الثلاثة: الإبداع الفكري والإبداع الأدبي، والإبداع
الفني [٧].

ويقصد بالثقافة الاجتماعية المعنيين العام
والخاص للثقافة، فالثقافة الاجتماعية تشتمل عليهما
معاً، لأن الإبداع الأدبي والفكري والفني لا ينفصل عن
المجتمع الذي أنتجه وعن ثقافة هذا المجتمع وأفكاره
وقيمه ومعتقداته وطرق حياته وأساليبها .

١. الثقافة الاجتماعية والإنسان:

ينقسم الإنسان في وجوده الى ثلاثة مستويات:
الوجود الجسدي، والوجود الثقافي الاجتماعي،
والوجود العقلي .

ويقصد بالوجود الجسدي (المادي) وجود
الإنسان جسداً وغرائز، أي الوجود المادي الذي
يشترك فيه مع باقي المخلوقات الحية . ويتضمن
الوجود الثاني الثقافي الاجتماعي على كل ما يؤثر في
تكوين الإنسان من عادات وتقاليده وقيم ومبادئ
وعلاقات مع الآخرين، والذي يتم عن طريق الاكتساب

مشكلاتهم، وتعلمهم طرق

الحصول على طعامهم،

والطريقة التي يرتبط بها

الواحد بالآخر؛ كالزواج

والتعامل مع الأطفال

والعبادة وكيفيةها والوقوف

في وجه الأمراض والأمراض

حتى الموت، وتلعب الممارسة دوراً في

التعبير عن الثقافة السائدة من خلال الأدوات التي

يستخدمها الإنسان في بناء مسكنه، وأساليب حياته،

وممارسته العقائدية والاجتماعية، فالثقافة تتحدث عن

نفسها من خلال السلوكيات الإنسانية كلها [٥].

لقد تعلم الناس كيف يواجهون احتياجاتهم،

ويحلون مشاكلهم، ويوجدون التفسيرات لمشاكل الحياة

عامة، ثم قاموا بتعليم أبنائهم التراث الذي تراكم عبر

الأجيال . واستمرت الاكتشافات والاختراعات، وظلت

تضيف إلى ما هو موجود، ومن ثم أصبحت هذه

الأدوات ضرورية للبقاء الإنساني وأصبحت من

ممتلكات الأمة التي طورتها فأصبحت بذلك تقاليد

ونظماً وأعراف خاصة بهم تنتقل من الكبار الى

الصغار عن طريق الاكتساب والتدريب والتعليم والتربية

لا الوراثة . ويمكن فهم قدر كبير من سلوك الإنسان

إذا عرف الدارس تراثه الذي يسير عليه في حياته، أي

الثقافة التي تحدد مساره . والثقافة بهذا المفهوم هي

النمط الكلي للفكر، والسلوك المميز لمجموعة من

الناس [٦].

هذا هو المعنى العام والواسع للثقافة، ونلاحظ أنه



بالحديث عن الوجود الجسدي للإنسان فهذا موضوع علم الإنسان العضوي الذي يهتم بمعرفة الجسد الإنساني، وإنما سنهتم بعلم الإنسان الثقافي لأنه يبحث في ثقافة الإنسان التي تميزه من بقية المملكة الحيوانية [٨]. فـعلم الإنسان الثقافي هو «ذلك العلم الذي يعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكه النابع من ثقافته، وتهتم الأنثروبولوجيا بالثقافة والتثقيف وبناء الشخصية، وتدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع ذي ثقافة معينة، يسلك سلوك الجماعة المحيطة، ويدين بنظامها وقيمها وعاداتها، ويتحدث لغتها ويعيش حاضرها، وماضيتها، ويتبع ديانتها ويخضع لقوانينها ونظمها [٩].»

إن هذا النص هام جداً ونحن نتفق مع ما ورد فيه، فمن الطبيعي أن يعبر الإنسان عن المجتمع الذي ينتمي إليه وعن الثقافة السائدة فيه، وكل فعل معاكس يعبر الإنسان فيه عن ثقافة غريبة عن ثقافة مجتمعه فإنه عمل تغريبي يفصل بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه. وما دامت الثقافة هي مجموعة من الأفكار والعادات التي يتعلمها الأفراد ويشتركون في نقلها من جيل إلى آخر، وتزودهم بإجابات عن معظم تساؤلاتهم التي يواجهونها، وتشكل النماذج السلوكية التي يسلكونها ويحلّون مشكلاتهم الحياتية بوصفهم أعضاء يعيشون في جماعة معينة فإنها بهذا المعنى تكون ظاهرة اجتماعية نفسية تتركز في عقول الأفراد الذين ينتمون إلى نفس المجتمع والجماعة، وبالتالي فإنها المسؤولة عن الجزء الأكبر من تكون أية شخصية، وعملية تكون الشخصية تعود إلى عملية نقل الخبرات

من الوسط الاجتماعي. أما الوجود الثالث فهو الوجود العقلي، وهو أرقى المراحل إذ إنه يحقق معنى الوجود الإنساني من خلال ضبطه لكل من الوجود الجسدي والوجود الثقافي الاجتماعي. والأصل أن يرتقي الإنسان إلى الوجود العقلي ويجعله الضابط للوجودين الآخرين، أما إذا سيطر الوجود الجسدي على حياة الإنسان فإنه يقترب بذلك من الحيوان الذي تسيره غرائزه، مهملاً وجوده العقلي الذي يميزه من سائر المخلوقات.

إن الوجود الفردي للإنسان هو وجود معرفي، والإنسان العاقل إنسان ثقافي اجتماعي، ومكانته في المجتمع مرتبطة بوجوده العقلي، أما الموقف الاجتماعي فينشأ من خلال التراكمات المعرفية. ويتحقق وجود الإنسان من خلال علاقته مع الأشياء ومواقفه منها والتي تصدر عن اجتماع الوجود الثقافي الاجتماعي والجسدي والعقلاني، ولكن قد يتغلب أحد هذه العناصر الثلاثة على العنصرين الآخرين ومع ذلك فإن هناك ارتباطاً وتأثراً وتأثيراً بين هذه الوجودات الثلاثة. والوجود العقلي هو أرقى الوجودات وهو عام ومشارك بين جميع الناس على اختلاف أجناسهم لارتباطه بالملق. أما الوجود الجسدي فهو عام لكنه محكوم بالزمان والمكان، والوجود الثقافي الاجتماعي يحكم الجسدي، ولكنه قد يرفض المطلق أي العقلي إذا ما تعارض معه، وهذا ما يفسر الثورات الاجتماعية، وردود فعل المجتمع إزاء النابغين الذين قد يخرجون على أعرافه.

وفي كلامنا على الثقافة الاجتماعية لن نهتم

**** النمط الكلي للفكر والسلوك المميز لمجموعة من الناس يعده طبيعية ثقافتهم.**

تجاوز ما في مجتمعه محلاً وناقداً ومصطفاً، تظل القفزة التي يقوى على تحقيقها في هذا المجال مقيدة الى حد بعيد بما قدمه له المجتمع من زاد ومادة. وعندما يكون الزاد الذي يقدمه المبدع زاداً مجلواً أو هجيناً أو ملوثاً يظل من العسير على من يرتاده أن يخلقه خلقاً جديداً أو أن ينسلخ عنه ويتحرر من إساره [١١].

إن الثقافة التي لا تتبع من داخل المجتمع هي ثقافة هجينة ومستوردة وغير قادرة على التعبير عن هذا المجتمع؛ فالمجتمع هو الذي يوجي بشكل الثقافة وهو الذي ينتجها. أما عندما تجلب ثقافة مجتمع آخر يختلف في قيمه ومبادئه وعاداته وتقاليده وعلومه عن مجتمعنا فسيبقى هناك شرح بين الثقافة المستوردة والواقع المعيش، وسيبدو التناقض واضحاً بين الثقافة المسيطرة في المجتمع وبين الثقافة المستوردة. وفي هذا المجال يؤدي الأدب والأدباء دوراً في اتجاهين مختلفين: فإما أن يقوموا بالتعبير عن الثقافة النابعة من المجتمع ذاته وبذلك يلعبان دوراً هاماً في عملية التأسيس، وإما أن يقوموا بالدعوة الى ثقافة مغايرة ومناقية للثقافة السائدة وبهذا يلعبان دوراً تفرغياً حيث يتم إسقاط ثقافة مغايرة لم تظهر وتولد بشكل طبيعي في المجتمع وإنما تم الأمر بشكل قسري بتطبيق هذه الإسقاطات على الواقع.

والأديب العربي الأصيل، لا بد أن تتوافر له ثلاثة عناصر متكاملة من الثقافة وهي:

أولاً: المعرفة الوثيقة بالتراث الأدبي خاصة وبالثقافة العربية عامة.

الى الفرد، وتستمر هذه الخبرات في النمو بحيث يتكون لدى الفرد نتيجة لحياته في المجتمع إطار ثقافي محدد في بيئته المحددة

التي يحكمها نظام وتقاليد وسلوكيات خاصة بالجماعات المحيطة [١٠].

من خلال الحديث عن الثقافة العامة والثقافة غير العامة نود أن نكشف عن انعكاس هذه الثقافة في العمل الإبداعي وما هو دور العمل الإبداعي في التعبير عن الثقافة وهل يعبر عن الثقافة السائدة في المجتمع الذي أنتجه أم أنه يعبر عن ثقافة مضادة؟ وما هو دور الأديب في تأسيس الثقافة أو تغريبها؟ وما العلاقة بين الأديب وثقافته والثقافة الاجتماعية والمجتمع الذي يعبر عنه؟

هذه الأسئلة سنحاول الإجابة عنها من خلال الدراسة التحليلية للأعمال الروائية محور البحث، وقد اختبرنا الرواية لأنها نوع أدبي يولد ويتطور في المجتمع، يعبر عنه ويستمد شكله منه.

١. الثقافة بين الاصاله والتغريب:

تزداد أهمية التواصل بين تطور الثقافة وتطور المجتمع، عندما يكون الحديث منصباً على تأسيس الثقافة لا على تطويرها فحسب. والمثقف المبدع الأصيل هو الذي يستمد عناصر إبداعه من انتمائه بحياة مجتمع والتحامه بها، ومهما تكن قدرته على



بإسقاط ثقافة مخالفة، أما عندما يصدر عن ثقافة أخرى مع أنه يعيش في بيئة لا تتفق مع الثقافة التي يصدر عنها فإن هذا الأمر سيؤدي إلى وجود شرخ في شخصية المبدع وفيما يبدعه وسينعكس هذا الأثر في القارئ والمجتمع.

إن الأديب الذي يعيش بفكره في العالم الحديث مع أنه ينتمي اجتماعياً إلى عالم قديم يعاني من التمزق بين هذين العالمين لأنه يعيش في العالم القديم بفكر حديث، ويعيش في العالم الحديث بمشكلات عالم قديم.

إن هذا الانقسام ينتج عن انتماء الكاتب؛ فالكاتب منتم بثقافته إلى العالم الغربي الحديث، بينما هو منتم بعلاقاته الاجتماعية إلى المجتمع العربي، ومن هنا فإنه حين يكتب سيقوم بعملية تغريب لأنه سيسقط فكره المنتمي إلى العالم الغربي الحديث على مجتمعه العربي، وهو ما سيؤدي إلى شرخ أعمق لأنه سينو غريباً في مجتمعه لأن الفكر الذي يطرحه ليس نابعاً من صميم هذا المجتمع، وإن يتجاوب القارئ مع هذا الكاتب - إلا إذا كان يشبه الكاتب في انتمائه إلى

العالم الغربي الحديث - لأنه لا

يعبر عن همومه وقضاياها [١٢].

إن هذا الأمر سيؤدي إلى عملية تغريب أكبر، فالأديب سيبذل غامضاً في مجتمعه

ثانياً: المعرفة الكافية بالأدب الأجنبي وفنونه وأساليبه.

والعنصر الثالث والأخير هو أن ينغمس الأديب الانغماس الكامل في مجتمعه المحلي الضيق والعربي الشامل [١٢]، وإذا افترضنا صحة هذه العناصر وقبلنا بها فإن اختلال أحدها سيدل على عدم أصالة الأديب، فاعتماده على أحدها غير كاف، ويجب التنبيه أيضاً إلى **العنصر الثاني** فمعرفة الأدب الأجنبي وفنونه وأساليبه ينبغي أن تتم بحذر بعيداً عن الانبهار والتقليد الأعمى.

تظهر الثقافة الاجتماعية في العمل الأدبي من خلال رؤيا العالم التي يطرحها الأديب وهذه الرؤيا ترتبط بظروف البيئة التاريخية، ثقافة وزماناً ومكاناً، وهي محدودة بحدود الثقافة التي ينتمي إليها سواء أكانت مؤيدة أو معارضة لها، وذلك لأن تصور العالم يتوقف على المجموع الكلي لعناصر البيئة. وهناك شرخ في الذات العربية وانقسام في الهوية ولا سيما على مستوى النخبة المثقفة والمبدعة فهؤلاء تربوا جسدياً وثقافياً اجتماعياً في مجتمع له ذاكرة اكتسبوا منها الثقافة، أما ثقافياً وعقائدياً فقد اكتسبوا في غالبيةهم الثقافة الغربية فقد صاغ الأدباء أدبهم على نماذج غربية تنتمي إلى ثقافة عامة وغير عامة غربية عن ثقافتهم الأصلية ولذلك فإن إنتاجهم يعاني من شرخ، والشفرة المستخدمة فيه لا يمكن الاستئصال من حلها لأنها غريبة عليه لا يعرف مفاتيحها. فعندما تكون رؤيا الأديب صادرة عن الثقافة الاجتماعية التي ينتمي إليها تكون رؤيا أصيلة، ويكون الأديب أصيلاً لأنه يعبر عن الثقافة التي ينتمي إليها، ولا يقوم

**** المظهر**

السلوكي للفرد

أو الجماعة

يحدد توجهات

ثقافتهم.

**** تصور الصائم**

يتصور كيف تبنى

المجموع الكلي

لغناصر البيئة.

**** الانتهاء ظاهرة**

صحية تفيد منها

الثقافة ايجابيا لا

سلبا.

**** التفریب يمثل**

عامل سلب في

توجهات ثقافة

المجتمع.

ما يجب أن يطبق على الثقافة الاجتماعية، والعملية معقدة جداً وصعبة للغاية وتحتاج الى مشروع حضاري جدير؛ لأن معاناتنا من مظاهر الاستلاب إزاء الغرب تتبع من أننا نأخذ منه النتائج والثمرات ونعرض عن المبادئ والأسس، بمعنى آخر: نستورد منه لنستهلك وليس لتغرس ونستقبت. والتجّاح في عملية الغرس يتوقف بالطبع على إعداد التربة الصالحة، والتربة الصالحة لا تُستورد[١٤].

إذا كان الكلام السابق يدور حول مشكلة الثقافة بين التراث والغرب في الفكر فماذا عن هذه المسألة في الأدب والرواية تحديدًا؟ ولا سيما أن «هناك علاقة عضوية تربط الفكر، سواء بوصفه أداة أو محتوى، بالمحيط الاجتماعي الثقافي الذي ينتمي إليه هذا الفكر». إن عملية التفكير ذاتها لا تتم إلا داخل ثقافة معينة ويواسطتها. والتفكير بواسطة ثقافة ما معناه: التفكير من خلال منظومة مرجعية تتشكل إحدائياتها الأساسية من محددات هذه الثقافة ومكوناتها، وفي مقدمتها: الموروث الثقافي والمحيط الاجتماعي والنظرة الى المستقبل، بل النظرة الى العالم، الى الكون والإنسان، كما تحددها مكونات تلك الثقافة[١٥].

إن هذا الكلام كلام جوهري وهام، لأن الفكر لابد أن يعبر عن البيئة التي أنتجته، ومن خلاله نستطيع أن

يعبر عن فكر غريب عنه وسيندر غامضاً في العالم الحديث والمجتمع الغربي لأنه يغير عن مفاهيم وواقع غريب عنه أيضاً لأنه يعبر عن أمور تجاوزها الغرب منذ زمن. إن المجتمع العربي يعاني من حالة اغتراب مستعصية تظهر في تبعيته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويغاني من حالة تمزق بين عدة اتجاهات وقوى متناقضة. فالغرب استطاع اراحة الثقافة العالة عند العرب المعاصرين (التراث) وأحل محلها ثقافته هو؛ على حين لم يحقق النجاح ذاته فيما

يتعلق بالثقافة غير العالة ولكنه لازال يسعى الى ذلك عن طريق المثقفين العرب المدجنين ويوساطة وسائل الإعلام ولا سيما التلفاز.

ولقد حاول الاستعمار خلخلة ثقافة الشعوب التي استعمرها، وتقديم ثقافته كبديل عنها ولكنه لم يستطع تدمير الثقافة العربية ولا طمس معالمها؛ لأنها لا تزال ثقافة حية، فهي تمثل العقيدة والشرعية واللغة والأدب والفكر، فالعرب يمتلكون تراثاً ثقافياً حياً في نفوسهم وعواطفهم وعقولهم ورواها.

والتحضر هنا من الغرب في دائرة الفكر والثقافة يعني التعامل معه نقدياً أي الدخول مع ثقافته في حوار نقدي وذلك بقراحتها في تاريخيتها وفهم مقولاتها ومفاهيمها في نسبيتها، والتعرف أيضاً على أسس تقدمها والعمل على استنباطها في تربتنا الثقافية، وهذا



البحث، ملف الاثنين، ع ١١٠٦٤، ص ٨.

(٣) ناصر، ابراهيم ١٩٨٢ - الأنثروبولوجيا الثقافية، الجامعة الأردنية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان،

ص ٧٧.

(٤) ناصر، ابراهيم - الأنثروبولوجيا الثقافية، ص ١٠١

- ١١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥.

(٥) المرجع نفسه، ص ٨٧ - ٨٨.

(٦) المرجع نفسه، ص ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤.

(٧) مجموعة من الباحثين - التراث وتحديات العصر، ص ٦٨٨.

(٨) ناصر - الأنثروبولوجيا الثقافية، ص ١٠، ص ٤٧ - ٤٨.

(٩) المرجع نفسه، ص ٤٧، وينظر ص ٤٨.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٧٧ - ٧٨.

(١١) مجموعة من الباحثين - التراث وتحديات العصر، ص ٦٨٧ - ٦٨٨.

(١٢) مجموعة من الباحثين - التراث وتحديات العصر، ص ٧٠١ - ٧٠٢.

(١٣) عياد - المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، ص ١٢ - ١٣.

(١٤) الجابري، محمد عابد ١٩٨٩ - إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط ١ مركز دراسات الوحدة العربية،

بيروت، ص ٣٢ - ٣٣ - ٣٤. وأيضاً ص ٤٣ - ٤٤.

(١٥) الجابري، محمد عابد: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ص ٥٧ - ٥٨.

نكشف الثقافة التي ينتمي إليها والبيئة التي صدر عنها. ومن الطبيعي أن يظهر هذا الأمر في الأدب لأن الأدب يرتبط بالفكر والفكر يرتبط بالثقافة الاجتماعية وبالتالي فإن الأدب أيضاً يعبر عن الثقافة الاجتماعية التي ينتمي إليها. ولذلك نجد الاختلاف بين الآداب التي أنتجتها الشعوب المختلفة في أزمنة مختلفة.

والرواية نوع أدبي تقوم بالدور نفسه فهي تعبر عن الثقافة الاجتماعية التي ينتمي إليها الأديب من جهة، والبيئة التي أنتجتها من جهة ثانية. إننا نستطيع من خلال العمل الأدبي (الرواية مثلاً) أن نقرأ الثقافة الاجتماعية التي طرحها ويصدر عنها. وهنا قد يحدث التناقض في الانتماء، فقد ينتمي الأديب والعمل الذي ينتجه إلى ثقافة وبيئة مخالفة لثقافته وبيئته الأصلية وذلك من خلال انتماؤه الفكري فيبدو العمل الأدبي بعيداً عن البيئة التي يصورها لأن الأديب يقوم بإسقاط ثقافته الشخصية وفكره على واقع لم ينتج هذه الثقافة وإنما جاءت نتيجة تأثر الأديب بها. إن هذا الأمر سيؤدي إلى حدوث شرخ بين العمل الأدبي والواقع المعبر عنه لأنه يعبر عن هموم وقضايا ومشاكل بعيدة عن البيئة التي يتحدث عنها وبذلك يبدو غريباً عن هذه البيئة وهذا المجتمع الذي يعتقد أنه يدور حوله ويعالج قضاياها.

الهوامش :

(١) مجموعة من الباحثين - التراث وتحديات العصر، ص ٦٨٨.

(٢) الصديق، حسين ١٩٩٩ - الهوية والثقافة، جريدة





المراة العربية بين الأنوثة والإبداع:

من أين تبدأ إشكالية وضع المراة العربية المبدعة؟

السيدة منى واصف، الفنانة المعروفة تقول:

في مجتمعنا العربي تبدأ مشكلة المرأة من ذاتها، وهي لا تتجاوز هذه الاشكالية، إلا عندما تتجرر من الداخل، وتحقق ذاتها في أن تكون صاحبة القرار الموضوعي... في أن تمارس عملية الخيار المستند على قناعات وجدانية تجزئها المحاكمات العقلية المنطقية... ويقول المجتمع أن تلك الحالة هي حالة وجدانية شمولية وليست حالة تمرّد مرحلي... عندئذ فقط لن تحسن المرأة بالقمع، ولن تنفلق على ذاتها... وتكون قادرة على الإبداع، فالمشكلة كما تراها منى واصف تنصل بنظرة المجتمع الى سلوك المرأة وتقويمه لهذا السلوك.

●● ولكن، هل تنحصر المشكلة بالاحكام العامة... أم أن لها أساسها المادي؟

- الروائية والناقدة الككورة ناديا خوست (أكاديمية وأنبية)، تحمل المجتمع القسط الأكبر من المسؤولية، فالظروف الاجتماعية السائدة في مجتمعاتنا وزعت أعباء الحياة اليومية بين الرجل والمرأة بصورة غير عادلة.

وتقول: حتى الآن يعتبر البيت واجب المرأة وحدها،

الأنوثة... هل هي عامل إخصاب لإبداع المرأة العربية، أم أنها عيب إضافي يعوق إبداعها؟

ولماذا لم تستطع المرأة أن تشغل نفس المساحة الإبداعية في حياتنا؟

أين تكمن مشكلة المرأة المبدعة: في أنوثتها...؟ في وعي المجتمع لهذه الأنوثة؟ أم في الإبداع نفسه؟

هذه التساؤلات وسواها طرحناها على عدد من النساء المبدعات في سوريا، انطلاقاً من القناعة بأن المرأة المبدعة أقدر على تشخيص مشكلاتها من غيرها. ولأن الأنوثة أسبق من الإبداع حيث إن المبدعة هي امرأة أولاً، لذا فقد توجّهنا الى بعض المبدعات بهذا السؤال:

●● من أين تبدأ إشكالية وضع المرأة

العربية المبدعة؟

سميحة الصعبي - دمشق

المرأة أنه تو نفس قصير.. بمعنى أنها كالشجرة التي تطرح موسماً أو موسمين.. طفلاً أو طفلين.. ثم تنتهي.

●● غير أن نفي وجود الاشكالية أصلاً بين الأثوية والإبداع في وطننا العربي لا يحل القضية ولا يجيب عن التساؤلات العديدة التي تبحث عن إجابات مثل: إذا لم يكن الوضع الاجتماعي طرفاً في إشكالية إبداع المرأة فمن المسؤول عن الحضور المتواضع للمرأة العربية في مجال الإبداع؟ هل هي المرأة نفسها؟

الادبية دلال حاتم تنطلق من مسؤولية المرأة بالدرجة الأولى عن ضعف اسهامها في العملية الابداعية، وترجع ذلك الى سببين: أولهما: خشية المرأة من اقتحام حقل الإبداع الذي

يكاد يكون تاريخياً وقفاً على الرجل وحده.

وثانيهما: أن العملية الابداعية تصدر عن موهبة تحتاج الى صقل ومزاج طويلين.. وقليلات من النساء

وإذا قصرت جزء من هذا الواجب فهي مدانة وأثائية، لأنها فضلت العام على الخاص.. إن مستوى تطور حياتنا هو المسؤول عن وضع المرأة عموماً، والمبدعة على وجه الخصوص.. فغياب المؤسسات العامة عن حياة البيت يترك المرأة من دون أي مساعدة، فهي بذل مؤسسة التموين وأحياناً بدل مؤسسة الألبسة الجاهزة.. وهكذا فهي تتحمل عبء مجموعة من النواقص في الحياة العامة، وهي تدان إذا قصرت في أداء كل هذه الواجبات، ولا يدان الوضع الاجتماعي الذي لا يوفر لها الامكانيات للإبداع والتحقق.

أما الأديبة قمر كيلاي فتتلى وجود الاشكاليات

أصلاً.. حيث تقول:

أنا لا أرى أية عقبات تحول بين المرأة والإبداع، فالفرص المتاحة للمرأة هي نفسها المتاحة للرجل، بل لأن المرأة بحكم كونها امرأة، لها بريقها الخاص، حيث تجتذب اهتماماً أكبر من الاهتمام بالرجل، وهذا يعزز ويرسخ فرصتها للإبداع. خذ مثلاً العدد الكبير من المسلسلات بالاذاعة المرئية، العربية والعالمية، وخاصة التي تتناول قضايا الأسرة والمجتمع، تجد أن غالبية كتابها من النساء.. وإذا كان ثمة إشكالية في علاقة المرأة بالإبداع فإنها تتمثل في أن السمة العامة لإبداع

إمسا أن

تتصدر شي

للإبداع، أو أن

تكوني صبوراً

موظفة في عالم

الادبية

**** ابسط اع المرأة**

تتمتع بـ **الخصائص**

لا أن تعتبره ملك.. أنا أعيش هذه الحالة في علاقتي بالابدا ع.

**** قلیلات من**

يعملون على قتل

• **ایمان**

البكتورة نايبا خوست: انطلقت

من المقدمات نفسها، لتصل الى نتيجة مختلفة نوعا ما، حيث تقول: بشكل عام لا توجد امرأة اهتمت بشأن عام إلا فقدت شيئا خاصا. فالمرأة المبدعة قد يوقفها بكاء طفلها أو مرضه عن انجاز عمل إبداعي، ولكنني على الصعيد الشخصي لم أتوقف طويلا

أمام المعادلة، فقد حاولت التوفيق بين العام والخاص،
بفضل تنظيم دقيق جدا، وأحيانا بثمان باهظ.

أما دلال حاتم فترى: إن الإبداع يتطلب حيزاً كبيراً من اهتمام المبدع ووقته، وهذا لابد أن يكون على حساب شيء آخر... فإذا أرادت المرأة أن تخوض التجربة الإبداعية فعليها أن تضحي بأشياء كثيرة حتى بساعات نومها، وخاصة أن المرأة غالباً ما تبدأ التجربة الإبداعية من نقطة متأخرة عن الرجل، بسبب ظروف مجتمعنا الخاصة، ولهذا فإن تحقيقها على الصعيد الإبداعي يتطلب بذل المزيد من الجهد والوقت من دون أن يعنى ذلك تحللها المطلق من التزاماتها كأمراًة.

الأبيرة قمر كيلائی : تطرح قضية التوفيق بين

الواتي يعملن على صقل موهبتهن، لذلك
نقف أمام ابداعات شائبة عديدة، ولكن
هذه الابداعات تغيب فجأة، لأنها لا تملك
الرغبة أو الوقت لمتابعة التجربة
الابداعية. ولا ينبغي وضع الابداع في
مواجهة الأنوثة أو العكس، فالمرأة، وهذا
حقها الطبيعي لا تستطيع ولا ترغب في
الخروج من أنوثتها بمحتواها الانساني
المطلق، وفي الوقت نفسه تعزز المرأة
المبدعة باداعها وتمسك به.

●● ومن هنا طرح سؤالاً جديداً باعتبار خياراً

مصريا هو: كيف توفق المبدعة بين كونها كيانا اجتماعيا ضمن واقع محدد، وبين الإبداع الذي هو عملية خلق وتجاوز لكل ما هو محدد؟.

..الفنانة منى واصف تجيب عن هذا السؤال

باعترااف صوریع:

التوفيق صعب .. ولا شك أن أحد الاعتبارين سيتحقق على حساب الآخر. في حياتي الشخصية لم يكن ثمة توازن بين كونى امرأة (أُمًّا) وكونى فنانة .. كونى فنانة طغى كثيرًا. قد يكون هذا الكلام جارحًا للبعض .. ولكنها الحقيقة. إن الإبداع لا يقبل شريكا، فإِما أن تحبه وتعطيه حياتك كلها كالراهب، وإِما أن تكون موظفًا في عالم الإبداع .. لا شيء فيه ملكية منفردة مثل الإبداع .. فى هذه الحالة تكون ملك عملك

تحاول أصلاً خوض التجربة، استسلاماً للواقع أو إدراكاً لعدم الجدوى. لكن العنصر الجديد في المعادلة يظل عنصر الإبداع.. فهو السلاح الذي مكن عدداً من النساء (اللاتي حاولن ونجحن) بالفوز في معركة الحرية، حيث لا إبداع بلا حرية.

●● غير إن السؤال الذي يظل قائماً على الدوام:

هل امتلكت المرأة حريتها لأنها مبدعة أم لأنها تمكنت من الإبداع بعد أن امتلكت حريتها؟

وهنا تجزم الأنبياء قمر كيلائي

بالقول:

- الحرية هي الأصل .. فاستقلال

المرأة في بعض جوانب حياتها،

خصوصاً الجانب الاقتصادي، يحقق

لها حريتها من الداخل، وليس

بممارسة ما يمارسه الرجل .. وهذه

هي البداية لتحقيق المرأة قدراتها

التميزية التي تكون بدورها نقطة الانطلاق نحو الإبداع.

والخلاصة - إذن - أن الإبداع هو جزء من

ممارسة الإنسان لحرية، سواء أكان رجلاً أم امرأة..

والحرية - الموضوعية والمسؤولة - هي مدخل الإنسان

لكي يكون إنساناً أولاً.. والإبداع هو برهان إضافي

على أن المرأة جديرة بحريتها المحبذة بضوابط عقيدة

الأمة، وقادرة على ممارستها إلى حد يرقى إلى مصاف

** الإبداع جزء

من ممارسة

الإنسان

لحرية.

الأنوثة والإبداع من زاوية أرحب، فهي لا تتوقف عند بعض التعارضات القائمة فعلاً بين الأنوثة والإبداع، بل تضع يدها على الإيجابي الأصيل في هذه العلاقة.. فهي تقول: إن تجربة المرأة (الأم أو الزوجة) في إطار الأسرة هي تجربة غنية، تفجر عند المرأة مزيداً من الإبداع، ولا تحول دونه.. فمن هي المرأة التي تعيش وراء طاولتها للإبداع فقط؟ إنها تزخرف فسيفساء أو تنسج خيوطاً طويلة، لكنها عندما تعيش الحياة بكل زخمها تكتسب بعض النبض الواقعي، على الرغم من أنه نرف شريانها كل يوم.. ولا نقول أن

هذا امتياز للمرأة، بل هو مجال إخصاب لها ولعاناتها وتواصلها بالحياة بعمق وصنق.

إن المبدعة الحقيقية هي التي توفق بين مواقعها جميعاً.. وبالعكس، لعل أرضاً لها لإبداعها أكثر حبا للحياة

وانسجاماً معها ويخفف من متاعبها المزوجة كأمراً أولاً وكمبدعة ثانياً.

المسألة إذن تتمحور حول وضعية المرأة في مجتمعنا العربي، ولكن ينبغي التأكيد على أن المرأة المبدعة ليست هي النموذج المكرر للمرأة بصفة عامة.. إننا نتحدث عن حالة خاصة، عن عدد محدد من النساء اللواتي حاولن ونجحن في تجاوز حالة السلبية الأنثوية إلى عالم الإبداع الأرحب.. أما الغالبية من النساء فمنهن من حاولت التجاوز وأخفقت، ومنهن من لم



١١٥٨. أبو عواد:

لا يمتدحون المرأة لذاتها ولكن يمتدحون الرمز .
رمز تجدد الحياة واستمرارها ورمز الحب والعطاء
في ارقى وأنبّل صورهِ (حواء) . الأم .

١١٥٩. أبو عواد:

الزوج ان كان مقتنعاً بشيء ما ومصمماً على
عمله فلا اعتقد أن زوجته تكون حكيمة حين تحاول
أن تنثيه عنه رغم قناعتها أنه مؤهل لاتخاذ هذا
القرار أو ذاك . . . والزوجة الذكية هي التي تعرف
كيف تقنع زوجها ليتبنى وجهة نظرها إذا شاورها
في أمر ما لا سيما وأنه يطلب مشورتها يبدو
متربداً بعض الشيء .

١١٥٩. أم محمد:

لو كانت الزوجة مقتنعة أن زوجها مخطيء
وسيعرض نفسه وأسرته لمشكلة يتصرف ما . فلا بد
أن تستمر في محاولتها أن تنثيه عنه مهما كان من
أمر تصميمه عليه والحياة الزوجية أولاً وأخيراً
مشاركة وتبادل رأى بين طرفين متكافئين .

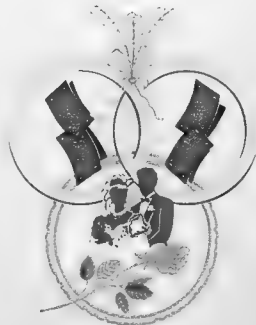
١١٦٠. أبو عواد:

أنا وأنت تتبادل الضغوط النفسية وكل
تصرف من طرف يعمق الهوة بينه وبين الطرف
الأخر ويزيد الأمور تعقيداً . . . كأن كل واحد منهما

إننا أمام امرأة اليوم نشبه الى حد كبير ذلك
الاب أو الجد الذي أفرط في تدليل ابنه أو حفيده
الصغير . . . وكان يستعذب منه أدبيات ساقطة
لقنها له، هو اليوم يفني بقية عمره في اصلاح ما
أفسد . . . سامح الله شعراء الغزل . . . والعاشقين
الذين أهدروا كراماتهم في بلاط حواء وتحت
أقدامها .

١١٥٨. أم محمد:

الشعراء الذين يمتدحون حواء في أشعارهم



أوراق زوجية



هذا الذى صنعتيه ألا تعرفين أن تطبخي شيئاً جيداً. في الحالة الأولى غالباً ما سيجد الزوج طبقاً مضبوطاً في اليوم التالى وفي الحالة الثانية سيجد قليلاً من الرمل مع الملح. وفي الحقيقة يستاهل.

١١٦٢. أبو عواد:

الأقوى من الحب - أماراته... ومؤثراته...
... لو لم أكن أحب ما فعلت كذا ولا قمت بـ
كذا... ولا... ولا... ألا يكفيك هذه الأدلة
والبراهين والقرائن التى تدينني بأني متورط في
حبك!! إن كل عمل أقوم به يؤكد ذلك فلماذا كل
هذا الاصزار من جانبك لحلمي على مسخ هذه
الكلمة - المعجم - بترديدها (كما يحصل مع مثلي
السينما) صباح مساء على منامك!!

١١٦٣. أم عمرو:

الأعمال التى تدل على الحب ليست بديلاً
كافياً للأقوال. الاثنان معاً مطلوبان، هكذا خلقت
المرأة ولا داعي للعناد... وبالنسبة لـ ليست المرأة
وحدها هى التى تحتاج للإطراء الشفهى فكم مرة
انبطح رجل على وجهه لسماع كلمتي اطراء من
امراه.

يتلذذ بتعذيب رفيقه... ترى أي سعادة ننتظرها
في هذا الجو المشحون بالتوتر؟... وأينا يكون
معنياً بتقديم التنازلات ولا يرى فيها انتقاصاً من
كرامته!!

١١٦٤. أم عمرو:

لا يجب أن يكون في الزواج تنازلات ولكن
يجب أن يكون هناك حوار ومشورة بحيث لا
ينتصر أو يهزم أى من الزوجين ولكن يكون
الانتصار للرأى الأنفع والأرجح.

١١٦٥. أبو عواد:

جميع الأزواج يدركون أن المرأة تستعذب
الكلمات الرقيقة والاطراء الصائِر من الزوج
بالدرجة الأولى... ولكن بعض الأزواج كبعض
المعلمين في المدارس لا يكتب لطلابه كلمة ممتاز إلا
إذا استبحقوا ذلك لكن النساء يرونها على قطعة
كلها أخطاء املائية!!

١١٦٦. أم عمرو:

حتى ولو كان هناك خطأ من جانب الزوجه
فإن الزوج يستطيع أن يعززه بصورة ايجابية.
فإذا كان طيق اليوم قد زاد فيه الملح اكثر من
اللازم فيمكن للزوج أن يقول لزوجته لقد كان طبق
الأمس ممتازاً في ضبط الملح. بدلا من أن يقول ما



الخطر الماثل :

الشتاء النووي

الشتاء النووي Nuclear Winter ظاهرة تصف الحالة الجوية التي يتوقع حدوثها عند نشوب حرب نووية شاملة تشترك فيها الدول العظمى، التي بحوزتها أسلحة نووية فتاكة، ويكون هدفها تدمير المواقع العسكرية والاقتصادية والمدن الكبيرة. وسيؤدي ذلك الى امتلاء الجو بالغبار والدخان الكثيف الناتج عن انتشار الدمار والحرائق الهائلة التي لم يسبق لها مثيل. يسبب امتلاء الجو بالغبار والدخان انحجاب الأشعة الشمسية فيسود الظلام لمدة طويلة قد تمتد لعدة شهور بعد توقف المعارك. وسينتج عن ذلك هلاك معظم الكائنات الحية على سطح الأرض. ومن المتفق عليه أن تأثير الحرب النووية سيكون كبيراً وسينتج عنها كوارث عالمية يصعب السيطرة عليها.

بقلم: د. علي أحمد غانم

كلية الآداب - الجامعة الأردنية

يزال أمراً محتملاً خاصة مع تزايد عدد الدول التي أصبحت تمتلك أسلحة نووية أو قادرة على إنتاجها. ويهتم العلماء بدراسة عواقب الحرب النووية على مختلف المجالات وخاصة البيئية منها، والتي ستؤثر على المجتمعات في مختلف بقاع الأرض. ويستقصي العلماء عواقب الحرب النووية عن طريق محاكاتها باستخدام النماذج الرياضية المتطورة. وعلى الرغم من التقدم الكبير في هذا المجال، إلا أن نتائجه تظل احتمالية وغير مؤكدة لأسباب عديدة منها: عدم وقوع حرب نووية شاملة، فلم يختبر الإنسان أثرها الحقيقي إلا على نطاق ضيق ومحدود جداً في هيروشيما ونيجازاكي، وكذلك لطبيعة الحرب النووية من حيث عدد وحجم القنابل المستخدمة ونوعية المواقع المستهدفة ووقت حدوثها في السنة، بالإضافة الى وجود نقص في المعرفة العلمية لمحاكاة العمليات الطبيعية والحيوية رياضياً والذي يمكن التغلب عليه تدريجياً عن طريق البحث العلمي.

تشير نتائج الأبحاث العلمية الى أنه سيكون للحرب النووية عواقب وخيمة على كل مجالات الحياة أهمها البيئية والبشرية. ويعد تغير المناخ من أهم العواقب المباشرة التي ستنتج عن انتشار كميات هائلة من الدخان والمواد المقتتة في الغلاف الجوي، وذلك من جراء الانفجارات والحرائق الهائلة التي ستنتشر في معظم الأقاليم الصناعية والمدن الكبيرة، وسيؤدي ذلك الى انخفاض كبير في معدلات درجات الحرارة على سطح الأرض والتي ستصل الى ما دون درجة التجمد،

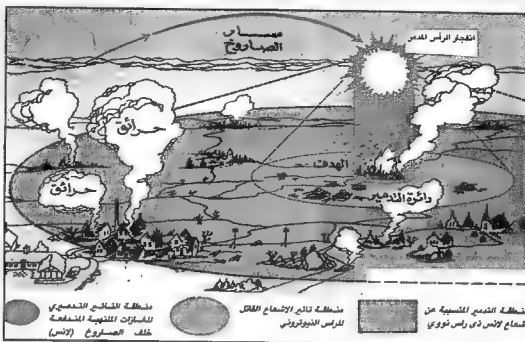
ويستطيع زوار المتاحف في مدينتي هيروشيما ونيجازاكي في اليابان مشاهدة معروضات لأشياء محروقة، وهي من مخلفات تأثير القنبلتين النووييتين اللتين ألقتهما الولايات المتحدة الأمريكية على المدينتين في عام ١٩٤٥م، ومن تلك البقايا المعروضة في المتاحف الساعات التي ما زال ظل عقاربها المحروقة متوقفة عند الساعة الثامنة والربع، لتؤرخ وقت بداية الصراع النووي، وهو وقت القاء القنبلة النووية الأولى على مدينة هيروشيما في ٦ آب ١٩٤٥م.

وتمثل هذه الحادثة التاريخية التجربة النووية الأولى التي علمتنا الكثير عن التأثيرات الطبيعية والبيولوجية والانسانية المحتمل وقوعها بسبب الانفجارات النووية. ويجب أن تكون توقعاتنا للخسائر أكبر من ذلك بكثير بسبب ازدياد القوة التدميرية للقنابل النووية الحديثة إذا ما قورنت بتلك التي ألقيت على مدينتي هيروشيما ونيجازاكي والتي كانت تأثيراتها الجغرافية محدودة، ومما خفف من الخسائر فيهما هو تلقي المصابين مساعدات وعناية طبية سريعة، وهو لن يتوفر في حالة حدوث حرب نووية مدمرة تشترك فيها الدول النووية ويطول تأثيرها الدول الأخرى غير المشاركة في الحرب. ولابد أن ينتج عن مثل تلك الحرب عواقب وخيمة لم تلاحظ في هيروشيما ونيجازاكي، وسيبحث بعضها في هذا الموضوع.

وعلى الرغم من انتهاء الحرب الباردة منذ سنوات، فإن الصراعات الدولية مازالت مستمرة في بقاع كثيرة من العالم، لذلك فإن حدوث حرب نووية ما

ارتفاع معدلات درجات الحرارة في الظروف العادية لفصل الصيف. ولكن انخفاض درجات الحرارة سيكون أقل تأثيراً إذا ما وقعت الانفجارات النووية وانتشرت الملوثات خلال فصل الشتاء الذي يتميز بالبرودة وكثرة الغيوم. فوقوع الحرب في الصيف سيؤثر أكثر مما لو وقعت في الشتاء.

ومن نتائج انتشار الملوثات في



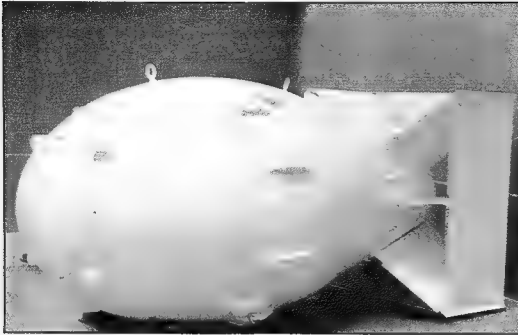
مكان انفجار قنبلة التيترون

** ملوثات البيئة العالقة في الهواء تُنزل من الأمطار سموماً تمتصها التربة.

الجو سقوط الأمطار السوداء الملوثة والناجمة عن تكاثف بخار الماء حول ذرات الدخان الذي يحتوي على السناج Soot، وربما يمكن الاستشهاد بسقوط الأمطار السوداء فوق منطقة الخليج العربي خلال عملية احتراق آبار النفط أثناء حرب الخليج في بداية التسعينيات من القرن الفائت والتي نتجت عن حرائق صغيرة جداً إذا ما قورنت بحرائق حرب نووية كبيرة. ومن العوامل المهمة التي تدخل في تحديد شدة التغيرات المناخية: معرفة كمية وحجم الدخان ووزنات الغبار وعلى أي ارتفاع ستصل في الغلاف الجوي، والذي سيحدده عدد وحجم القنابل المستخدمة وطبيعة المواقع المستهدفة. وأن ازدياد الارتفاع الذي تتركز

ويحدث هذا بسبب انجذاب الاشعة الشمسية بفعل الملوثات المنتشرة في الجو. وربما يسبب ذلك حدوث اضطرابات مناخية لعدة سنوات وسيمتد تأثير تلك الملوثات الى البلدان المحايدة التي لن تشارك في الحرب، حيث تعمل الرياح على نقل ونشر الدخان والغبار الى بقاع واسعة وثابتة من الأرض.

وأن مدى انخفاض درجات الحرارة يعتمد على وقت حدوث الانفجارات النووية، فانتشار الدخان والغبار في فصل الصيف الحار يؤدي الى حدوث انخفاض كبير في درجات الحرارة يقدر بحوالي ٢٠ - ٢٥ °م دون المعدل وخلال عدة أيام. وسيكون الانخفاض في درجات الحرارة ملحوظاً ومؤثراً بشكل كبير بسبب



الرجل البدين - أول قنبلة بلوتونيوم ألقيت على مدينة ناغازاكي اليابانية

فيه الملوثات في طبقات الجو العليا (إلى طبقة الستراتوسفير) يساعد على استمرار وجودها لسنوات أطول، بينما الملوثات التي تكون أقرب إلى سطح الأرض تسقط خلال فترة قصيرة بفعل غسل الجو بمياه الأمطار. ذلك بالإضافة إلى ضرورة معرفة مدى انتشارها في العالم، ويتوقع أن تصل إلى مناطق في النصف الجنوبي من

* ازدياد تآكل غاز الأوزون يزيد من تساقط الأشعة البنفسجية القاتلة على الأرض.

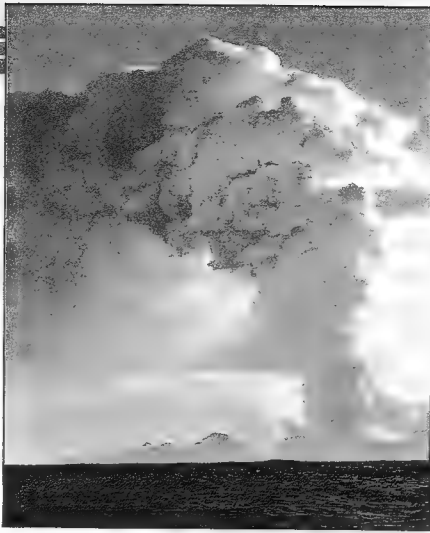
زيادة تركيز الأكاسيد النيتروجينية في طبقات الجو العليا حيث تتفاعل مع الأوزون كيميائياً فتقلل من كميته. وكما هو معروف أن نقص الأوزون يسبب انتشار الأمراض خاصة أمراض العيون والسرطان الجلدي وغيرها. بالإضافة إلى تأثيرها السلبي في اتلاف أغشية النباتات فتميتها.

وللمواد المشعة أثر كبير على الإنسان من الناحية الصحية وتوفر الغذاء. وقد يصل الإشعاع القاتل إلى جسم الإنسان عن طريق استنشاق الغبار المشع أو مع الأكل والشرب. فكثيراً ما نسمع عن مواد غذائية منع استهلاكها والمتاجرة بها لأنها تعرضت للإشعاع المتسرب من المفاعلات النووية المنتشرة في أماكن

الكرة الأرضية فيؤثر بمنأخها ولكن بدرجة أقل مما في النصف الشمالي.

ومن نتائج الحرب النووية على البيئة ازدياد التلوث الجوي والمائي الذي يبقى لمدة طويلة حتى بعد توقف الحرب. ويزداد تركيز الملوثات بسبب انتشار كميات كبيرة من المواد الكيميائية والغازات والمواد المشعة في الغلاف الجوي وعلى سطح الأرض وفي باطنها. وسيكون له تأثيرات سلبية كبيرة في الحياة على سطح الأرض. ومن تلك التأثيرات ازدياد تآكل غاز الأوزون في طبقات الجو العليا (الستراتوسفير) وهو الذي يحمي الأرض من الأشعة فوق البنفسجية القاتلة، ويتتج ذلك عن انتشار الحرائق ومساهمتها في

كثيرة من العالم.
وأن انتشار
المواد الكيماوية
والغازات في الجو
مثل أول وثاني
أكسيد الكربون
وثاني أكسيد
الكبريت
والهيدروكربونات
يؤدي إلى
تضاعف سقوط
الأمطار
الحمضية، وهي
ظاهرة تعاني منها
مناطق كثيرة من
العالم، والتي
ستزداد سوءاً
بالحرب النووية،
فهي تؤثر بشكل
مباشر على



مشهد لانفجار تجريبي نووي

*** الحرب النووية تدمر البيئة والانسان معاً *

للتلوث من جراء
تحطم السفن
وناقلات النفط
ومن تساقط
الملوثات الجوية.
ووجد أيضاً أن
الجليد المنتشر في
المناطق الباردة
من سطح الأرض
أكثر حساسية
للمواد والشوائب
الساقطة عليه،
مما يؤدي إلى
ذوبانه بسبب
انخفاض معامل
انعكاس الأشعة
الشمسية للجليد
الملوث ومن ثم
ازدياد الأشعة
المتحصنة التي

تذيب الجليد. وسيكون لذلك آثار مباشرة وغير مباشرة
على مجالات الحياة المختلفة على الأرض بسبب ارتفاع
منسوب مياه البحار والمحيطات.

وسيكون الانخفاض الكبير في الانتاج الزراعي
من أهم نتائج الحرب النووية التي تؤثر على حياة
ورفاة البشر. علماً بأن عدداً كبيراً من الدول تعتمد
في معظم غذاء شعوبها على المساعدات التي تقدمها
الدول الغنية وهيئة الأمم المتحدة، ولحساسية الزراعة
للتغيرات في العناصر المناخية، فقد تفشل الزراعة

النباتات وأشجار الغابات ومياه البحيرات المستخدمة
في تربية الأسماك والتي يعتمد عليها الإنسان لسد
النقص الغذائي الذي تعاني منه البشرية.

وسيكون للحرب النووية تأثيرات هامة على النظام
البيئي المتمثل في الغابات والأعشاب والمحيطات والمياه
العذبة. فسيزداد انتشار الحرائق في الغابات
والأعشاب بسبب ارتفاع درجات الحرارة في المناطق
التي تحدث فيها الانفجارات. وسيتأثر الحياة البحرية
بشكل كبير وذلك لتعرض مياه البحار والمحيطات

الكيمائية والاشعاعية التي حدثت من بعض المصانع والمفاعلات النووية في العالم - وقياساً علينا أن نتوقع خسائر أكثر من ذلك في حالة حدوث حرب نووية شاملة تلقى فيها أعداد كبيرة من القنابل النووية المتطورة.

هذا بالإضافة الى توقع ازدياد الكوارث الطبيعية كالزلازل، حيث أشارت بعض الدراسات العلمية الى أن ازدياد عدد الزلازل منذ الحرب العالمية الثانية كان بسبب ازدياد عدد التجارب النووية تحت الأرض والتي زادت عن ٢٠٠٠ تجربة منذ عام ١٩٤٥ - ولابد أن يكون للانفجارات النووية الكثيرة تأثير أكبر من تلك التجارب، فيزداد عدد الزلازل التي ستودي بحياة الكثير من البشر.

وسيموت الكثير من الناس أيضاً بسبب المجاعات الناتجة عن نقص المواد الغذائية والعلاجية خاصة في المناطق الفقيرة والناثية، بالإضافة الى انتشار الأوبئة الفتاكة. ويحدث ذلك لفشل الزراعة وتدمير المصانع وتوقف المساعدات الخارجية والمتمثلة في المواد الغذائية والطبية الضرورية، ويحدث ذلك لانقطاع الاتصالات وتوقف التجارة الدولية بسبب الحرب.

يمكن الرجوع الى كثير من المصادر منها:

Arju Makhijani, et al., eds, Nuclear Wasteland, The Mit press, 1996.

Lu dia Dotto Planet Earth in Jeopardy: Environmental Consequences of Nuclear War. John Wiley & Sons, NY. 1986.

بسبب الانخفاض في درجات الحرارة والأمطار وضوء الشمس، وهي عناصر ضرورية لنمو وحياة النباتات. فبالانخفاض في درجات الحرارة يؤدي الى وجود ظروف غير ملائمة لكثير من المزروعات وخاصة تلك التي لا تتحمل انخفاض الحرارة، بالإضافة الى دورها في تقليل طول فصل النمو مما يؤثر على الانتاجية الزراعية كماً ونوعاً.

وتتنبأ الدراسات التي اعتمدت على النماذج الرياضية بانخفاض كمية الأمطار بحوالي ٢٥٪ مع ازدياد نسبة سقوط الأمطار الحمضية، وكذلك انخفاض في كمية الأشعة الشمسية الضرورية لاستمرار عملية التمثيل الضوئي في النبات، وذلك بسبب انتشار الملوثات في الجو، ومن المؤثرات السلبية الأخرى التي تسهم في تخفيض الانتاج الزراعي الاضطرابات التي ستحدث بسبب توقف التزود بالطاقة والآلات الزراعية والسماد ولوازم مقاومة الأمراض والأفات الزراعية، وذلك لتوقف التعاون الدولي والتجاري أثناء الحرب التي ستعبر لها كل الجهود في مختلف المجالات. وسينتج عن ذلك كله انخفاض في مخزون الغذاء العالمي فتنتشر المجاعات التي تعد من أهم عواقب الحرب النووية على حياة البشر.

ومحصلة الحرب النووية هي الخسائر البشرية الهائلة، حيث ستموت أعداد كبيرة من البشر وربما مئات أضعاف الخسائر التي نجمت عن الحرب العالمية الثانية. وسيموت الناس أثناء وبعد الحرب لأسباب متعددة أهمها: الانفجارات والاشعاعات النووية التي ستحدث النسبة الكبرى من الخسائر. ولقد عايش العالم نتائج الحادثة المصدودة التأثير في كل من هيروشيما ونيجازاكي، وكذلك نتائج التسربات



مكتبات الذهب



أحمد أمين

طرائف من حياة كاتب كبير

٥٢١- ترجمة ذاتية :

يعجبني من كاتب الترجمة الذاتية أن يكون أقرب الى الصدق، لأن الصدق الحقيقي قد يكون مستحيلا، إذ لا تجوز للأديب الشرقي أن يفضح نفسه أمام الملا العام كما يفعل المتحللون في أوروبا، وقد قرأت كتاب (حياتي) للدكتور أحمد أمين أكثر من مرة، وتحدثت عنه أكثر من مرة لأنه يشعر القارئ بالقرب من الواقع، والبعد عن البطولات المزيفة التي يتخذها بعض كتاب السير الذاتية، ليرضوا أنانياتهم المريضة، وأنا أعرف كاتباً من هؤلاء شاء أن ينتقص أسرته، ويفترى على أبيه وأخيه وأقاربه، ليعلم القراء أنه اعتمد على موهبته وحدها، حين كان العالم من حوله يقف ضده، وفي القراء من يميل الى تصديق كل ما يقال، ولكن فيهم من يعرف كبوات القلم في هذه المزالت، وقد جنب الله الدكتور أحمد أمين كثيراً من هذه المزالت، لذلك رأيت أن أختار للقارئ ما يأخذ منه العبرة في بعض ما حكاه، والمسألة لا تزيد عن كونها تاريخاً يروى، فإلى كتاب حياتي.

يعترف الكاتب أنه من حيث مشاعره الخاصة يعيش في عالم وحده، إذ تقع الأحداث على وجدانه فينفعل بها انفعالا خاصا به، ويقومها التقويم الذي يسأل عنه وحده، لأن الحادثة الواحدة قد يبكي منها إنسان أشد البكاء ويضحك منها آخر أشد الضحك، ولا يبكي منها ولا يضحك ثالث كأوتار العود الواحد، يوقع عليها كل فنان توقيعا منفردا لا يوقعه فنان آخر.

٥٢٢. مواقف الرجولة :

يعجب الكاتب بمواقف الرجولة التي شهدناها ويثني على أصحاب هذه المواقف ثناءً متكرراً، ومن هؤلاء حسن عاصم باشا، وعاطف بركات باشا، وهما بالنظر لأبناء هذا الجيل يكادان يكونان مجهولين، أما من عاصرهما من الناس فيعلمون مكانهما العالي في دنيا السلوك الحميد .

لقد كان حسن عاصم باشا رئيساً للقلم الخديوي، وكان المنتظر منه أن يلبي رغبات الخديوي في أخص ما يطلب من الأمور، ولكنه عارضه معارضة جادة حين لزمته المعارضة، إذ أراد الخديوي أن يستبدل أرضاً جيدة بأرض ضعيفة من أراضي الأوقاف، فعرض الأمر على المجلس الأعلى للأمر فعارض الشيخ محمد عبده وعارض حسن عاصم، ومعارضه الشيخ محمد عبده منتظرة، لأنه كان يجهر دائماً بالحق أمام الرؤساء دون خشية، أما معارضة حسن عاصم فقد كانت شديدة الوقع على نفس الخديوي، وبادر فعزله من منصبه المرموق في السراي، فلم يعبأ الرجل، وكان أمراً ما لم يحدث، ومما ذكره الدكتور أحمد أمين عن عاصم باشا أنه كان المشرف العام على التعليم بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، وقد تبرع أحد أعيان المحلة الكبرى بأرض لبناء مدرسة للجمعية مع نفقات بنائها . . . ووقف عليها أملاكه، ثم أراد أن يدخل ابنه في المدرسة، وكانت سنة تزيد شهراً عن المدة المقررة، فآبى عاصم باشا، وقال: لقد تبرع هذا الرجل للجمعية بالأرض والنفقات فيجب أن نشكره، ولكنه أراد أن يخالف القانون فيجب صده وعدم الاستماع إليه، وأصر على موقفه رغم شفاعة الكبار، ومنهم الشيخ محمد عبده، وحسن عبد الرزاق وهما من أعضاء الجمعية، فلما ألحوا عليه قدم استقالته، فاضطروا للنزول على رأيه مكربين، وأنا

٥٢٣. (الامتحان الشفوي) :

تعرض الأستاذ للامتحان الشفوي بمدرسة القضاء الشرعي حين كان طالباً، فقال إن اللجان الشفوية كانت معتدلة ما عدا لجنة الشريعة والعلوم الأزهرية، فقد كانت من الصعوبة بحيث أعدت مواضع الامتحان في أصعب المقررات العلمية، إذ تتألف اللجنة من ستة أساتذة من الشيوخ الكبار، جلسوا على الأرائك، وجلس الطالب فوق فروة في الأرض، وبدأ يقرأ في الموضوع الأول من الكتاب المقرر، ويشرح ما يقرأ شرحاً صحيحاً، ولكن سرعان ما انتهالت عليه الأسئلة من كل أستاذ، فيجيب قدر ما يستطيع وقد غشاه العرق، وكاد يرتبك، وقد جلس على الفروة ست ساعات متواليات لا تتخللها راحة ما، ولم يشرب حتى كوب ماء، وكل من المتقدمين يخرج من حين إلى آخر يتمشى ويتريض، ومن حين إلى آخر تقدم إليهم القهوة والليمون، ثم أفرج عنه .

يقول الأستاذ « فلما حاولت القيام لم أستطع أن أمد رجلي، ولا أن أعدل قامتي، وأخذت في ذلك وقتاً، حتى عرفت كيف أقوم، وكيف أمشي، ولم أدر كيف ذهبت إلى بيتي، ولا كيف قضيت بقية نهارى وليلي، ومهما كان الأمر فقد نجحت، ولكن تأخر ترتيبتي - في الامتحان الشفوي - من الأول إلى السادس، وكان هذا الامتحان الأزهرى على هذا الوجه الشاق أول امتحان في مدرسة القضاء وآخره - إذ احتج عاطف بك على الطريقة المتبعة فيه، فقصرته مدته، وتساهل الممتحنون في درجاته . »

وأقول: إن هذه الطريقة الشاقة ظلت متبعة في الأزهر حتى عهد المراغى، ولكن مع اختصار الوقت إذ كان الطالب يقضي ساعتين، وحيناً أكثر أو أقل، ثم لا يرهق بالامتحان في كل العلوم شفوياً، بل تختار العلوم الأمهات، ويترك غيرها اعتماداً على النجاح في الامتحان التحريري.

٥٢٤. (عاطف بك بركات):

رجل في جده من طراز حسن عاصم باشا، وقد نال رتبة الباشوية فيما بعد حين صار وكيلاً لوزارة المعارف، ومن مواقفه أن الخديوى أوصى أن ينال الشيخ محمد المهدي الأستاذ بمدرسة القضاء الشرعى درجة مالية كبيرة في المدرسة، ولكن عاطف رأى أن غيره أحق منه، فاجتمع مجلس الإدارة برياسة شيخ الأزهر وعضوية كبار المسئولين في الدولة، وكلهم يرى أن المسألة صغيرة لا تستحق مغاضبة الخديوى من أجلها، فوافقوا على منح الدرجة للشيخ المهدي. وصمم على معارضته هذا الاتجاه، فلما جاءت أكثرية الأصوات مخالفة رأيه، صمم على أن تدون معارضته في المحضر، ومنح الشيخ الدرجة، وكان لا يعلم معارضة عاطف، فذهب إليه شاكرًا، فقال له لقد عارضت منحك، ولو استطعت لأوقفت المنح، فقال للمهدي، وإن، فالشكر لله وحده.

البيوت، وترى الشباب لتكون الواسطة ولها الأجر، وإذ ذاك يتقدم الشاب لخطبة من لم يرها من قبل لأنه اعتمد على الوصف فحسب.

يقول الأستاذ «كنت أتمس الزواج من أمثالي من الأوساط، لا أطلب الغنى ولا الجاه، ومع ذلك وقفت العمامة حجر عثرة في الطريق، فكم تقدمت إلى بيوت رضوا عن شبابي، وعن شهادتي، وعن مرتبي ولكن لم يرضوا عن عمامتي، فذو العمامة في نظرهم رجل متدين، والتدين يوجب عندهم بالترمز وقلة التمدن، والاتصاف بالرجعية، والفتاة يسرها الشاب المتدين، وقد رضى بي قوم وأحبوا أن يروني، فذهبت إليهم أحمل كتاباً انجليزي لأريهم أنني متمدن، وحشرت في كلامي بعض كلمات انجليزية فاستغربوا ذلك، وفهمت أنهم أعجبوا بي، ولكن بلغني أن الفتاة أطلت من الشباك عليّ، وأنا خارج، فرأت العمامة والجبة والقفطان، فزعبت، ورفضت رفضاً تاماً أن تتزوجني رغم إلحاح أهلها، وشاء القدر أن تتزوج هذه الفتاة - فيما بلغني - شاباً أنيقاً كاتباً في بعض الوزارات، ولكنه كان سكيراً عرييداً أذاقها المرار في حياتها الزوجية ثم طلقها، وما زال يسوء حالها حتى تزوجت بعامل تلغراف، وجاءت اليّ وأنا قاض في محكمة الأزبكية، تطلب من زوجها التفقة»

أليست هذه مفارقة!!

٥٢٦. (عقوب أم ماذا؟)

من أوجع ما كتبه الأستاذ أحمد أمين، ما اشتكى منه إزاء عقوب طلابه وزملائه بعد أن ترك عمادة كلية الآداب، ورجع أستاذًا، فرأى من التلون والوجود ما قال عنه:

٥٢٥. (قصة الزواج):

تحدث الأستاذ عن قصة زواجه، فقدّم للحديث بأن الزواج لعهد كان يخضع للتقاليد القديمة، إذ يسمع الشاب من أحد أقاربه أن لفلان بنتاً في سن الزواج، وقد يتأخر الخبر من (الخاطبة) التي تدور في



الترفيهية، رواها الأستاذ كما وقعت، دون افتعال، فكانت بصدقها البيزي داعيةً للإلتسام السار، ومن هذه المواقف ذكرياته عن بعض القرى الريفية في سويسرا وما شاهده من نظافة البيت الريفي، حيث ترعى الأبقار في المروج النظيفة ثم تعود الى مبيتها في قاعات نظيفة أضيئت بالكهرباء، وفرشت بالواح الخشب، وحدد لكل بقرة منامها، ومجرى ما يخرج منها، فلا ترى إلا نظافة وأناقته.

ثم سافر الأستاذ الى بروكسل ليلقي محاضرة عن أبي حيان التوحيدي في مؤتمر المستشرقين، فذهب قبل الموعد الى حلاق بروكسلي لا يعرف كلمة إنجليزية. وهو لا يعرف كلمة فرنسية، فكان إذا حدثه الحلاق بالفرنسية أجابه بالإيماء وهو لا يفهم ما يعنى، حتى كانت النتيجة أن الحلاق حلق رأس الأستاذ بالموسى ولم يترك بها سوى شعرات صغيرة، يقول الأستاذ:

«أنا مضطر عند دخولى قاعة المؤتمر أن أدخل قبعتي، فلم أجد بها شعراً يقاوم البرد، ولا يجمل النظر، وقصصت القصة على زميلي الدكتور طه حسين والدكتور عبد الوهاب عزام، فضحكا وأغرقا في الضحك، وقال الدكتور طه حسين: «إني سأضع رواية أسميها «حلاق بروكسل» على وزن (حلاق اشبيلية) ونظم الدكتور عبد الوهاب عزام قصيدة أذكر منها:

ونظر الأستاذ في المراية

فلم يجد في رأسه شعرايه

وهذه طريقة تصلح أن تكون ختاماً معقولاً لما سبقها، والكتاب سفر أدب وتاريخ وسياسة وسلوك فوق أنه ترجمة ذاتية مصطفاه!!

«هذا فلان كان صديقي يوم كنت أستطيع نفعه، فلما سلبتُ مني هذه المقدرة تلمس الوسائل ليكون عدوي، فإن لم يجد أسبابا اختلقها، وإن لم يجد فرصة لإظهار هذه الخصومة تعمد إيجادها، وهؤلاء الذين كانوا يتهافتون على إقامة حفلات التكريم لي يوم انتخبتم عميدا، فأرفضها وأرفضها، لم يفكروا في إقامة حفلة وداع يوم تركت العمادة، وهذه التليفونات التي كانت تدق كل حين للسؤال عن صحتي، وطلب موعد لزيارتي، لإظهار الشوق أولا، والاطمئنان على صحتي ثانيا، والرجاء في قضاء مصلحة ثالثا، لم تعد تدق إلا للأعمال الضرورية، التي ليس فيها سؤال عن صحة، ولا إعلان أشواق، وهذا صندوق البريد الذي كان يمتلئ بالخطابات المملوءة بالطلبات والرجاوات أصبح فارغا إلا من خطابات عائلية أو مسائل مصلحة، وهذه أيام الأعياد التي كان يوج فيها البيت بالزائرين من الصباح الى المساء يهنتون بالعيد، أصبحت كسائر الأيام، أجلس فيها على المكتب، فأقرأ وأكتب، ولا سائل ولا مجيب، وهذه صورة للناس لم تكن جديدة عليّ، فقد قرأت مثلها في الكتب كثيرا، وسمعت عنها كثيرا، ولكن لعل أسوأها أثرا في نفسي ما شاهدته من قلة الوفاء في بعض طلبتي، فقد كنت اعتقد أن الرابطة العلمية فوق كل الروابط، أما أن طالبا يخرج على أستاذه ويحرجه، ويقدر فيه بالكذب والأباطيل فشيء لم أكن رأيته، فلما رأيته استعظمت، وحز في نفسي، وبلغ أثره أعماق قلبي».

وصرت أشك فيمن أصطفاه

لعلمي أنه بعض الأنام

٥٢٧. (موقف ترفيحي):

لم يخل كتاب (حياتي) من ذكر بعض المواقف

حديث عن المرأة بمنظار أديب

أيها الشرقية احذري احذري. احذري، فإن في كل امرأة طابع شريفة متهورة، وفي الرجال طابع خسيصة متهورة. وحقيقة الحجاب أنه الفصل بين الشرف فيه الميل الى النزول، وبين الخسة فيها الميل الى الصعود، احذري أن تخدعي عن نفسك، إن المرأة أشد افتقاراً الى الشرف منها الى الحياة» [١]

وهذا نداء الفطرة والدين نقله لنا الرافعي بعبارات موجزة؛ فهو نداء الفطرة التي فيها الميل بين الجنسين كل منهما للآخر، ثم غيرة كل منهما على الآخر أن يشاركه في صاحبه أحد، وهو نداء الدين الذي يقول {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} (الروم/٢١). وهل يكون هناك سكن ومودة ورحمة إلا بأن تعرف المرأة رجلاً واحداً لا تعرف غيره في بيت زوجية ثابت الدعائم قوي الأركان... ثم لا تخالط الرجال في أعمالهم مهما كانت الظروف والأحوال.

ثم يؤكد الرافعي أن الحجاب هو الدرع الواقى من سهام الرذيلة، واللباس الواقعي من كل شعاع أو وهج يחדش الكرامة ويجرح العفة ويلوث العرض ويفسد الجمال الحسي والمعنوي.

وما قيمة حياة المرأة بلا شرف مصان وعرض كريم؟ إنها إن فقدت ذلك غدت سلعة وعرضاً يتبادلّه الناس للمتعة والهوى والمتاجرة الهابطة!!

ولأن هذه القضية الأخيرة هي مطلق الشرف وإطار الكرامة فقد أفاض فيها الرافعي وبسطها بعرض جميل مقنع. وما قاله في ذلك: «وأساس

كتب الكتاب للمرأة، وكتبوا عن قضاياها، وكتب عن نفسها، وقد جاءت الشريعة الإسلامية السماوية قبل كتابة من كتب منظمة لحياة المرأة المسلمة محددة مالها من حقوق، وما عليها من واجبات... وإذا ما ألقينا نظرة على واقع المجتمعات الشرقية والغربية وجدناها تتخبط في ظلمات الجاهلية المعاصرة، فتمتحن المرأة وتهينها إهانة لم تُعرف في أي عصر من العصور؛ فهي وسيلة دعابة، ومارضة أزياء وملكة جمال، وصورة غلاف... وهي فوق ذلك دمية يتسلّى بها العابثون، ويطفئون ما يتلظى في أجسادهم من نار الشهوة الحيوانية!!

كيف وصلت الحال الى ذلك؟ والجواب المختصر على ذلك هو: أن البشر تنكبوا الطريق، وحادوا عن النهج القويم وتجاوزوا شريعة الخالق سبحانه وتعالى فأصبحوا في معيشة ضنك وهي لهم في الآخرة إن لم يقيئوا الى رشد، ويصحوا من ضلالهم.

ومن أجود ما رأيت من الكتابات في قضايا المرأة، ما كتبه أديب العربية وفارس بيانها مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - في كتابه (وحي القلم)، فقد سطر بأسلوبه الأدبي وفكره الإسلامي وغيرته العربية الأصيلة سطر أحرفاً من نور يجدر بكل واحدة من نساتنا وبناتنا أن تقرأه قراءة درس وفقه وتربية وتهذيب... وفي السطور التالية أنقل بعضاً مما كتبه عسى أن يكون فيه الخير والفائدة.

يقول الرافعي «ليس لامرأة فاضلة إلا رجلها الواحد، فالرجال جميعاً هم مصائبها إلا واحداً. وإذا هي خالطت الرجال، فالطبيعي أنها تخالط شهوات. ويجب أن تحتر وتبالغ.

عبد العزيز بن صالح العسكر

- السعودية -

الأخلاق الكريمة، وحفظها للإنسانية.

قلت: ومن هذا يكون الإسراف في الأنوثة والتبرج أمام الرجال كذباً من ضمير المرأة [٤]، ويطول بنا المقام لو ذهبنا نستقصي كل ما كتبه هذا الأديب الفذ عن المرأة، وهو حديث لا تنقصه الصراحة وهو الحق الذي لا مرية فيه، وهو حديث العاطفة والذوق حينما يسترشدان بالعقل والضمير المؤمن والحس اليقظ والبصيرة النيرة.

وهذه دعوة لكل عاشق للفضيلة في ثوب الأدب، ومتلهف للشرف في لباس الخيال والإبداع، وهي دعوة لأرباب القلم وفرسان الكلمة أن ينهل أولئك جميعاً من معين مؤلفات إمام العربية وآدابها مصطفى صادق الرافعي وأن يفيدوا من لغته وأسلوبه وأفكاره ومعانيه... ويخاضة في كتابه النفيس [وحي القلم].

إن الرافعي قد ملك إحساساً مرفهاً، وموهبة نادرة، وعاطفة صادقة، فمكنه كل ذلك من امتلاك القلوب والعمل في النفوس... وكيفلا وهو طبيب بارع ومهندس متميز.

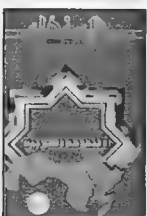
الهوامش:

- (١) وحي القلم ج ١ من ٢٠٠ - ٢٠١، الطبعة الثامنة، ضبطه وصححه وعلق على حواشيه محمد سعيد العريان، نشر دار الكتاب العربي في بيروت.
- (٢) هذا من كلام الرافعي نفسه.
- (٣) والحديث هنا للرافعي نفسه.
- (٤) وحي القلم ج ١ من ٢٤٠ - ٢٤١.

الفضيلة في الأنوثة الحياء؛ فيجب أن تعلم الفتاة أن الأنثى متى خرجت من حياثها وتهجمت، أي توقعت، أي تبذلت، استوى عندها أن تذهب يمينا أو تذهب شمالا، وتهايت لكل منهما ولأيهما اتفق، وصاحبات اليمين في كنف الزوج وظل الأسرة وشرف الحياة وصاحبات الشمال ما صاحبات الشمال.

قلت: [٢] هذا هذا، إنه الحياء، الحياء لا غيره؛ فهل هو إلا وسيلة أعانت الطبيعة بها المرأة لتسمو على غريزتها متى وجب أن تسمو، فلا تلقى رجلا إلا وفي معها حارس لا يفقل، وهل هو إلا هو سلب جمعته الطبيعة الى ذلك الإيجاب الذي لو انطلق وحده في نفس المرأة لاندفعت في التبرج والإغراء وعرض أسرار أنوثتها في المعرض العام. وكان هذا من حوار في موضوع بعنوان: الجمال الباش. وكان بينه وبين صديق له وامرأة وجداها في مكان عام يغشاه الناس جميعا...، ويضيف الرافعي الى ما سبق أن المرأة قالت: ذاك أردت فكل ما تراه من أساليب التجميل والزينة على وجوه الفتيات وأجسامهن في الطرق فلا تعدنه من فرط الجمال، بل من قلة الحياء، وأعلم أن المرأة لا تخضع حق الخضوع في نفسها إلا لشيئين: (حيائها وغريزتها).

قلت: [٣] يا عجبا! هذا أدق تفسير لقول تلك المرأة العربية: «تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها! فإن اختضعت المرأة للحياء كفت غريزتها، قالت: وجعلها الحياء صادقة في نفسها وفي ضميرها، فكانت هي المرأة الحقيقية الجديرة بالزوج والنسل، وتورث



اسم الحدث	تاريخ حدوثه
السن	شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ
الأمن والأمان	شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ
الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة	ربيع الأول والثاني ١٤٠٦هـ
الثقافة العربية	شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ
الدعوة والدعاة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٧هـ
الأثر والآثار	رمضان وشوال ١٤٠٧هـ
المجاهدة، البناء، والدعوى الهامة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٨هـ
العادات والتقاليد	رمضان وشوال ١٤٠٨هـ
مناهل الاطلاع الاسلامي	ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٤٠٩هـ
الاستخراج والمخترون	رمضان وشوال ١٤٠٩هـ
مكة المكرمة .. الحقام والارتحال	ربيع الأول والثاني ١٤١٠هـ
الابداع والمبدعون	شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ
الحديث النبوي والقدس .. رواية ودراسة	ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٤١١هـ
القرآن الكريم .. الهدى والامجاز	ربيع الأول والثاني ١٤١٢هـ
الهجرة الفكرية والتصدي الحضاري	شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ
المدينة المنورة .. دار الهجرة ومآزر الايمان	ربيع الأول والثاني ١٤١٣هـ
اللغة العربية .. آفاق مستقبلية	شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ
القدس .. مروس الملائك	ربيع الأول والثاني ١٤١٤هـ
الحجارة والمدينة الاسلامية .. مظا ومداول	جمادى أول وجمادى ثلث ١٤١٥هـ
النضد .. والنضاد	شوال والقعدة ١٤١٦هـ
الجغرافية والجغرافيون	شوال والقعدة ١٤١٧هـ
الملكية العربية السعودية في برآة المنهل	شوال والقعدة ١٤١٨هـ
الآصرة والمجتمع	شوال والقعدة ١٤٢٠هـ
التراث المعماري في الحضارة الإسلامية	شوال والقعدة ١٤٢١هـ

الاحتفالات السنوية الخاصة

« متوفرة لمن يرغب في اقتنائها » - الاتصال : ٦٤٣٢١٢٤ العلاقات العامة (جدة)

حالة فنانه

مجلة العرب الادبية



تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣



الإشتراك السنوي

مبلغ (١٥٠ ريالاً)

للإشتراك السنوي للأفراد تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) .

مبلغ (٤٠٠ ريالاً)

للإشتراك لمدة (٢) سنوات تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) ، وكذلك كتاب شذرات الذهب ،
وديسوان الانتصاريات ، ورواية (التوامان) .

مبلغ (٥٥٠ ريالاً)

للإشتراك لمدة (٥) سنوات تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) ، وكذلك كتاب شذرات الذهب .

شاملة
رسوم البريد

مجلدات المنهل

المجموعة الكاملة ١٣٥٥ - ١٤١٦ هجرية

(٧٢) مجلدا فائرا متوفرة في الاوان " الازرق - البني - الاسود "
للاستفسار الإتصال بإدارة العلاقات العامة بالمجلة ت : ٦٤٣٢١٢٤

لجبي الثقافة والمقني المجموعة



يتمدحتى نهاية هذا العام

السادة دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

بعد اطلاعي على شروط الاشتراك السنوي في مجلتكم (المنهل) والعرض الخاص
أرغب في الآتي

تفنون الشيكات أو التحويلات
باسم (مجلة المنهل)
فضلا

اشترك سنوي (١٥٠) ريالاً . ☐

(٣) سنوات (٤٠٠) ريالاً مع الإصدارات . ☐

(٥) سنوات (٥٥٠) ريالاً وكتاب شذرات الذهب . ☐

وارفق لكم طيه قيمة الاشتراك حسب ما هو موضح بالقسيمة.

(ا) شيك ☐ (ب) حوالة بنكية ☐

مبلغ رقم بتاريخ

الاسم:	اللقب:	العنوان:
القطر:	البلدية:	المنطقة:
بناية رقم:	شقة رقم:	ص.ب:
تليفون:	فاكس:	رمز بريدي:
		تلكس:



للجاريين
فى الشراء
.. والحريصين
على التميز

شقة فاخرة فى ارقى المواقع المطله على النيل الخالد بالقاهرة

- تطل على النيل مباشرة (كورنيش المعادي) .
- تطل على جزيرة الذهب ولها اطلالة على الاهرامات .
- موقع مثير يجمع بين الراحة والمتعة .
- تشاهد مدينتي القاهرة والجيزة حتى مابعد الاهرامات .

موقعك يدرك ولا يدرك

- مجهزة تجهيزاً كاملاً : أثاث فاخر ، ديكورات حديثة ،
تكييف هواء كامل ، أجهزة كهربائية .

للمعاينة الاتصال بجوال رقم (٠٠٢٠١٢٢٢١١٨٣٥) عناية المهندس ماهر (القاهرة)


للاستفسار الاتصال هاتف (٦٤٣٢١٢٤) ٠٠٩٦٦٢ جدة

كامري

تفاصيل تؤكد الريادة



شغف الريادة

مجموعة عبداللطيف جميل  تويوتا 